



أوراق هنري كورييل والحركة الشيوعية المصرية

دراسة: دكتور رءوف عباس

ترجمة: عزة رياض

محتويات الكتاب

4	تقديم
7	هنرى كورييل والحركة الشيوعية المصرية
10	هنرى كورييل
18	الحركة الشيوعية المصرية
28	مولد الحركة الديمقراطية للتححرر الوطنى (حدثو)
32	طرد هنرى كورييل من مصر
35	مجموعة روما
39	مراجع الدراسة
40	أوراق هنرى كورييل
54	هنرى كورييل - سيرة ذاتية
54	تحذير للقارئ
58	نبذة عن حياتى
60	العداء للشيوعية
62	ذكريات الميلاد (أو الميلاد الثانى)
	نضال الحركة المصرية للتححرر الوطنى منذ تأسيسها حتى إعلان الأحكام العرفية فى مايو
109	عام 1948
109	تمهيد
110	الفترة الأولى
113	الفترة الثانية
118	الفترة الثالثة
121	الفترة الرابعة
123	خاتمة
	المراحل الرئيسية للصراع داخل الحركة الديمقراطية للتححرر الوطنى فى عام الوحدة مايو
126	1947 – يونيو 1948
	وثائق مجموعة روما للحركة الديمقراطية للتححرر الوطنى مارس 1951 – أبريل 1958
150	
150	عن التوسع (الإنتشار) - تقرير من هنرى كورييل
153	الوضع داخل الحركة الديمقراطية للتححرر الوطنى
157	من أجل نضال منطقى لتحقيق الوحدة بين الشيوعيين المصريين
170	إلى اللجنة المركزية بالحركة الديمقراطية للتححرر الوطنى
	قرار مجموعة الحركة الديمقراطية للتححرر الوطنى بروما عقب إنشاء الحزب الشيوعى
174	المصرى الموحد P.C.E.U
175	الخط العام لعمل المجموعة القديمة للحزب الشيوعى المصرى بالخارج (1957) ...
177	خطاب إلى المكتب السياسى
	مذكرة لتعميق مدلولات بعض مظاهر النضال الإقتصادى للطبقة العمالية رقم 32 –
181	7/33 بتاريخ 58/3/7 إلى عائلة Jules

185	قرار المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى
188	مذكرة عن التناقضات الواجب طرحها وحلها
192	رد الفعل لقرار حل مجموعة روما
194	العداء
197	رسالتان من هنرى كورييل إلى نعو مى كائل من مايو – يونيو 1957
197	من هنرى كورييل إلى نعو مى كائل "فى السجن" 1957/5/10
200	من هنرى كورييل إلى نعو مى كائل (فى السجن) 7 يونيو سنة 1957

جميع الحقوق محفوظة لورثة د. رءوف عباس. ولا يحق لأى طرف أن يعيد نشر هذا العمل أو أى جزء منه بأى وسائل سمعية أو بصرية أو إلكترونية أو مطبوعة أو أى وسيلة نشر معروفة حالياً أو تستحدث مستقبلاً باللغة العربية أو مترجماً إلى اللغات الأجنبية إلا بعد الحصول على موافقة كتابية. للاتصال: info@RaoufAbbas.org

تقديم

رغم أن ندرة الوثائق وصعوبة الوصول إليها سمة بارزة من سمات تاريخ مصر المعاصر عامة، وتاريخ الحركات السياسية والأيدولوجية خاصة، إلا أن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية يعانى نقصاً خطيراً فى الوثائق التى تتصل بالمنظمات الشيوعية المصرية عبر ما يزيد على نصف القرن. ولعل ظروف الحركة الشيوعية المصرية كانت وراء ندرة الوثائق المتعلقة بها، فمنذ عدل قانون العقوبات عام 1924 وأضيفت إليه مادة جديدة تجرم النشاط السياسى الذى يدعو إلى تغيير نظام "الهيئة الإجتماعية" ويحرض طبقة على أخرى، أصبح النشاط الشيوعى محظوراً مطارداً من السلطة فى كل العهود، ومن ثم لجأ الشيوعيون إلى العمل السرى، ولما كانوا معرضين دائماً لملاحقة أجهزة الأمن وخاصة "البوليس السياسى"، فكثيراً ما كانوا يتخلصون من وثائقهم عند الإحساس بالخطر، وحتى تلك التى بقيت فى أيديهم ووقعت فى أيدي أجهزة الأمن أصبح الإطلاع عليها - بعد مرور السنوات وتغير العهود- من المحظورات التى تعد مستحيلة المنال بالنسبة للباحثين المصريين فسلطات الأمن تحتفظ بتلك الوثائق فى أرشيفها الخاص، وتعتبر أن ما تحت أيديها من وثائق "مادة جنائية" وليست تعبيراً عن حركات سياسية أنتجها تفاعل أجيال من شباب هذا الوطن مع واقع مجتمعهم، وليست تعبيراً عن رؤى سياسية وفكرية لأزمة المجتمع المصرى فى مختلف مراحل تطوره، ولهذا ظلت وثائق الحركات السياسية المصرية بعيدة عن متناول الباحثين.

ولكن ثمة القليل من تلك الوثائق التى أتيح للباحثين الإطلاع عليها، هى تلك التى ضمتها ملفات القضايا السياسية والتى كانت - إلى عهد قريب- متاحة للإطلاع بالمتحف القضائى المصرى، حتى جاء أنور السادات فمنع الإطلاع عليها وأصدر قراراً بمنع الإطلاع على الوثائق التاريخية قبل إنقضاء نصف قرن على الأحداث التى تتناولها، وهكذا أغلقت ملفات القضايا السياسية فى وجوه الباحثين، ما عدا تلك التى بقيت لدى بعض المحامين الذين ترفعوا عن المتهمين فى تلك القضايا أمام المحاكم الاستثنائية والجنائية، والإطلاع على ما لدى المحامين من ملفات يعتمد على الصلات الشخصية، وهو ما لا يتوافر إلا لقلّة من الباحثين.

وحتى الصحافة اليسارية العلنية التى صدرت فى الأربعينيات والخمسينات لا توجد نسخة كاملة منها بالمكتبة القومية (دار الكتب المصرية)، وإنما نجد بعض أعدادها، وحتى تلك الأعداد التى نجت من مكائد الدهر فى حالة يرثى لها، نتيجة تخلف نظام الحفظ بتلك الدار العتيدة.

ولم يعد هناك مفر أمام الباحثين الذين يتصدون للتأريخ للحركة الشيوعية المصرية من الإعتقاد بصفة أساسية على الروايات الشفوية للمناضلين القدامى الذين شاركوا فى صنع تلك الحركة وفى فعاليتها المختلفة (على نحو ما فعل رفعت السعيد)، وهى طريقة معيبة منهجياً -رغم أنها السبيل الوحيد المتاح للباحثين- لأنها تعتمد على الذاكرة، وكثيراً ما تخون الذاكرة المناضلين القدامى الذين مروا بتجارب نفسية وبدنية لا إنسانية خلال سنوات الإعتقال

الطويلة، والذين مزقتهم الإنقسامات والمشاحنات، والذين لا بد أن يبالغوا أحياناً فى الأدوار التى لعبوها أو لعبتها منظماتهم. ولعل من يقرأ مؤلفات رفعت السعيد يلحظ ذلك بوضوح، كما يتضح تحيزه كثيراً لمنظمة بعينها كان له حظ النضال فى صفوفها.

مجموعة واحدة من وثائق الحركة الشيوعية المصرية نجت من الضياع، وظلت محفوظة هناك.. فى باريس.. ولا تزال، هى وثائق المجموعة التى أطلقت على نفسها "مجموعة روما للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدثو)"، وهى المجموعة التى نظمها هنرى كورييل – الأب الروحى لحدثو – بعد نفيه من مصر عام 1950 وظلت تمارس نشاطها من باريس حتى صدور قرار "الحزب الشيوعى المصرى المتحد" بحلها فى أوائل 1958، وإن بقيت على صلة وثيقة ببعض كوادر حدثو، ومدت لهم يد العون المادى والأدبى خلال محنة الإعتقال.

وتتضمن وثائق مجموعة روما عدداً كبيراً من المراسلات المتبادلة بين كوادر حدثو وهنرى كورييل، كما تتضمن البيانات والمراسلات التى أصدرتها المجموعة (بإسم حدثو) ووجهتها إلى الأحزاب والمنظمات التقدمية العالمية فى مناسبات مختلفة، وكذلك التقارير التى كان هنرى كورييل يوافق بها حدثو من منفاه.

والوثائق التى ننشرها هنا من وثائق مجموعة روما التى يحتفظ بها "جماعة أصدقاء هنرى كورييل" بباريس، وقد حصلنا عليها من خلال باحث أجنبى شاب ربطتنا به صلة تعاون علمى، وللأسف لن نستطيع ذكر إسمه هنا – عرفاناً بفضلهم – لأنه حصل على هذه الوثائق لاستخدامه الشخصى، ولم تخوله "جماعة أصدقاء هنرى كورييل" حق إتاحة الإطلاع عليها للآخرين. وهذه المجموعة من الوثائق كتبت أصلاً بالفرنسية، فيما عدا الوثيقة الخاصة بإحتجاج المجموعة على القرار الصادر بحلها من الحزب الشيوعى المصرى، فقد جاء أصلها باللغة العربية منسوخاً على الآلة الكاتبة إلى جانب النص الفرنسى، وفضلنا هنا استخدام النص العربى.

وقد عكفت الأستاذة عزة رياض على ترجمتها إلى العربية بتكليف من دار سينما للنشر، وقمنا بمراجعة الترجمة مراجعة دقيقة على النص الفرنسى، ولكن لا يسعنا هنا إلا أن ننوه بالجهد الكبير الذى بذلته المترجمة فى تعريب هذه الوثائق.

وربما عن سؤال للقارئ الكريم عن مدى صحة هذه الوثائق، وهو سؤال منطقى لا يبرر عدم إثارته ثقتنا فى الباحث الأجنبى الذى حصلنا على هذه الوثائق عن طريقه. وقد تأكدنا من صحة هذه الوثائق من خلال مراجعة الكتاب الذى ألفه الفرنسى الصحفى جيل بيرو بعنوان "هنرى كورييل، رجل من طراز فريد" ونشر بالفرنسية عام 1984، ونشرت ترجمته العربية فى بيروت عام 1986، فقد إعتد الكاتب على مذكرات هنرى كورييل عن نشاطه فى مصر (التى ننشرها هنا كاملة)، وكذلك على بعض التقارير التى كتبها هنرى كورييل عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى والصراع داخل الحركة بعد الوحدة الأولى عام 1947 (وهى منشورة هنا أيضاً). كذلك راجعنا المعلومات التى أوردتها رفعت السعيد فى دراساته منسوبة إلى أرشيف "مجموعة روما"، فتبين لنا صحة ما بأيدينا من وثائق، وصحة نسبتها إلى هنرى كورييل ومجموعة روما.

وقد قسمنا مجموعة الوثائق التي ننشرها هنا إلى خمسة أقسام على النحو التالي:

1. "هنرى كورييل، سيرة ذاتية"، وهى عبارة عن ذكريات كتبها هنرى كورييل بخط يده أثناء إعتقاله فى فرنسا (أكتوبر – ديسمبر 1977)، ولم يتمكن من مراجعتها واستكمالها وإعدادها للنشر بسبب إغتياله فى 4 مايو 1978.
2. تقرير من هنرى كورييل إلى حدتو بعنوان: "نضال الحركة المصرية للتحرر الوطنى والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى منذ تأسيسها حتى إعلان الأحكام العرفية فى مايو 1948" ويحمل التقرير تاريخ سبتمبر – أكتوبر 1951.
3. تقرير من هنرى كورييل إلى حدتو بعنوان: "المراحل الرئيسية للصراع داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى عام الوحدة، مايو 1947 – يونيو 1948" ويحمل غلاف التقرير إشارة إلى أنه كتب فى نهاية عام 1955.
4. وثائق مجموعة روما، مارس 1951 – أبريل 1958، وهى مجموعة مراسلات صادرة بإسم المجموعة إلى حدتو والحركة الشيوعية المصرية ينتهى بالوثيقة الخاصة بموافقة المجموعة على قرار الحل.
5. رسالتان من هنرى كورييل إلى نعوى كانل (إحدى كوادر حدتو بالإسكندرية) أثناء وجودها بالسجن، وهما رسالتان تشيران إشارة واضحة إلى موقف هنرى كورييل من ثورة يوليو ومن إسرائيل.

ولما كان هنرى كورييل قد استخدم فى تقاريره – التى كانت أصولها تكتب عادة بالحبر السرى وترسل مع بعض المسافرين إلى مصر أو بطرق أخرى – الأسماء الحركية للكوادر التى وردت بتلك التقارير، فقد استعنا ببعض الأصدقاء للتعرف على الأسماء الأصلية لأولئك المناضلين، طالما أن أدوارهم النضالية أصبحت جزءاً من تاريخ مصر المعاصر، وقد لقينا فى هذا الصدد معونة الكثيرين، ولكننا نخص بالشكر الصديقين د. فتحى عبد الفتاح والأستاذ بدر رفاعى لعونهما الصادق فى هذا المجال. ورغم ذلك بقيت بعض الأسماء الحركية غامضة بالنسبة لنا، ربما لأن هؤلاء تركوا الحركة الشيوعية فى وقت مبكر، أو لأن ذاكرة المناضلين لم تسعفهم بالأسماء الحقيقية لأولئك الرفاق القدامى.

ولما كان "هنرى كورييل" صاحب هذه المجموعة من الوثائق، فقد رأينا أن نقدم لها بدراسة عن "هنرى كورييل والحركة الشيوعية المصرية"، ضمناها دراسة نقدية لكل من المجموعات الخمس من الوثائق التى يضمها هذا الكتاب.

وبعد .. عزيزى القارئ.. إن هذه الوثائق التى تلقى أضواء هامة على فصيل كبير من فصائل الحركة الشيوعية المصرية منذ الأربعينيات حتى الخمسينيات، حافلة بالتجارب النضالية التى تشكل – بسلبياتها وإيجابياتها – ركناً من أركان تاريخ مصر المعاصر، من حق الأجيال التى لم تعشه أن تتعرف عليه، وأن يكون لها حكمها الخاص عليه.

والله والوطن من وراء القصد.

القاهرة فى 15 سبتمبر 1987.

د. رعوف عباس

هنرى كورييل والحركة الشيوعية المصرية

ترجع الإرهافات الأولى للعمل الإشتراكي فى مصر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، عندما بدأت بعض العناصر الأجنبية بالأسكندرية تنظيم الجماعات الماركسية الأولى التى لا نعرف عنها إلا القليل من المعلومات التى وردت على لسان جوزيف روزنتال فى تحقيقات النيابة العامة الخاصة بالحزب الشيوعى المصرى، حيث أشار إلى أن العمال الأجانب بالأسكندرية نظموا -بإشرافه- حلقات لدراسة الإشتراكية كانت مقصورة على الأجانب وحدهم، ثم فكر هؤلاء فى تأسيس حزب إشتراكي عام 1921.

وكانت تلك السنوات سنوات مخاض سياسى بالنسبة لمصر، فقد وقعت ثورة 1919 نتيجة تراكم سخط المصريين على الإحتلال البريطانى، ومعاناتهم من عسف السلطات البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى؛ فجددت موارد البلاد الإقتصادية لخدمة المجهود الحربى البريطانى، وسيق شباب الفلاحين للخدمة ضمن ما سمي بـ "فرق العمل" و"فرق الجمالة" واستشهد عشرات الآلاف منهم فى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، وقامت السلطات البريطانية بتمويل قواتها فى مصر من الخزنة المصرية مقابل سندات تصدرها الخزنة البريطانية، ونتج عن ذلك ربط الجنيه المصرى بالجنيه الإسترلينى، وإحكام روابط التبعية الإقتصادية للإقتصاد البريطانى بما ترتب على ذلك من معاناة المصريين آثار التضخم، وزيادة تكاليف المعيشة زيادة كبيرة عما كانت عليه قبل الحرب.

وتحمل المصريون ذلك كله على مريض، على أمل أن تقدر بريطانيا لمصر مساندتها لها فى الحرب، فتمنحها الاستقلال عندما تضع الحرب أوزارها. وعندما بدأت الدلائل تشير إلى إقتراب الحرب من نهايتها، ذهب وفد من نخبة البورجوازية المصرية بزعامة سعد زغول (فى 13 نوفمبر 1918) يطلب السماح له بالسفر إلى الخارج لعرض مطالب مصر فى الاستقلال أمام مؤتمر الصلح، فقبل الطلب بالرفض. وعندما أيقن الإنجليز أنهم أمام حركة سياسية منظمة تحظى بالتأييد الشعبى، قاموا بنفى سعد زغول ورفاقه، فإنفجر بركان ثورة 1919 الشعبىة التلقائية التى شاركت فيها الجماهير المصرية، والتى أرغمت الإنجليز على التفاوض مع قيادات البورجوازية المصرية ممثلة فى "الوفد".

ولكن ما كانت بريطانيا على استعداد لتقديره كان دون المطالب الوطنية بكثير، فلم يكن الإنجليز على استعداد لإعطاء مصر الاستقلال التام، وإنما كانوا يعرضون على الوفد المصرى درجة من الاستقلال الذاتى يمثل - فى حقيقة أمره - حماية "مقنعة"، وإنتهى الأمر بإعلان استقلال مصر بموجب تصريح 28 فبراير 1922 مع سلب "الاستقلال" مضمونه الحقيقى بالإبقاء على جيش الإحتلال البريطانى فى مصر، وبالتحفظات الأربعة الشهيرة التى لم تغير مضمون الهيمنة البريطانية على مصر.

ورغم أن حظ "ثورة 1919" من النجاح كان محدوداً، خاصة أن الواقع الإقتصادى والإجتماعى لم يتغير، إلا أن مصر ما بعد الثورة لم تعد كما كانت قبلها. كان الشباب الذى شقت حناجره بالمطالبة بالاستقلال فى المظاهرات العارمة، وسقط منه الشهداء، غير مقتنع بما أسفرت عنه الثورة من نتائج، وخاصة أن الأزمة الإجتماعية كانت مستحكمة: فالقوارق

شاسعة بين الملاك والمعدمين، والبطالة تعض بأنيابها جيشاً جراراً من العمال العاطلين، وظروف العمل وشروطه بلغت درجة كبيرة من التدنى فى غيبة التشريعات التى تحفظ للعمال حقوقهم، وتعترف لهم بحق التنظيم النقابى، والسياسات الإجتماعية مصطلح مجهول فى السياسة المصرية، وشباك التبعية المصرية تنصب بإحكام حول مصر، فيمتص الأجانب خيرات البلاد، ويعيشون فيها فى وضع ممتاز، بينما تحول المصريون إلى غرباء فى بلادهم. ومن ثم شغل الشباب المصرى المثقف بمستقبل بلاده، وراح يبحث لها عن طريق أمثل للنهوض، من خلال تبنى مشروع جديد للنهضة.

أضف إلى ذلك تردد أصداء ثورة أكتوبر 1917 الروسية فى مصر، وإنكباب بعض شباب المصريين على التعرف على الفكر الإشتراكي وخاصة من درسوا منهم بالجامعات الأوروبية، فى محاولة للبحث عن علاج لما تعانيه مصر من أمراض إجتماعية.

وهكذا، شكلت جماعة من الشباب المثقف حلقة تسعى لتأليف "جمعية إشتراكية" لدراسة مذاهب الإشتراكية المتعددة حتى يهتدون عن طريقها إلى صياغة برنامج ملائم للنهضة المصرية، فكتبوا إلى جوزيف روزنتال يطلبون الإطلاع على برنامج حزبه، حتى إذا صادف هواهم إنضموا إليه، وإذا لم يرق لهم أسسها "جمعية" غايتها الدرس أكثر من السياسة، يضع أعضاؤها مصلحة مصر نصب أعينهم، ويكون غرضها نصره المبادئ الإشتراكية المعتدلة، وتبصير العمال بحقوقهم. وقد إتفق هؤلاء مع روزنتال على توحيد الجهود، وإقامة "الحزب الإشتراكي المصرى" ونشر برنامج الحزب موقفاً عليه من سلامة موسى، وعلى العنانى، ومحمد عبد الله عنان، ومحمود حسنى العرابى، وإتخذ الحزب مركزاً له بالقاهرة، وافتتحت له فروع بالأقاليم. وغلبت على برنامج الحزب الصبغة الإصلاحية وتضمن تأكيداً ضمناً على عدم أخذه بفكرة الصراع الطبقي.

وعندما أثار إعلان قيام الحزب رد فعل عنيف من جانب القوى الرجعية، تصدى رجال الحزب للرد على هؤلاء بتوضيح ما يرمى إليه حزبهم، فغلبت على ردودهم روح التأثير بالإشتراكية الفابية، مما أدى إلى نشوب خلاف أيديولوجى بين مركز الحزب بالقاهرة وشعبة الأسكندرية، أو - بمعنى أدق - بين المعتدلين من أبناء البورجوازية المصرية الذين ملكوا زمام قيادة الحزب، وبين المتطرفين من أعضاء فرع الأسكندرية الذين مالوا إلى الماركسية، أسفر عن عقد مؤتمر فى الأسكندرية (30 يوليو 1922) حضره مندوبون من جميع فروع الحزب، بينهم وفد من القاهرة، وتقرر بالإجماع إتخاذ فرع الأسكندرية مركزاً لقيادة الحزب والأخذ بالماركسية، وغير من برنامج وشعاراته بما يتلائم مع الإتجاه الجديد، وأوفد محمود حسنى العرابى لحضور المؤتمر الرابع للكونغرس المنعقد بموسكو لإتخاذ إجراءات إنضمام "الحزب الإشتراكي المصرى" إلى الدولية الثالثة (الكونغرس) وعندما عاد محمود حسنى العرابى إلى مصر أبلغ الحزب أن اللجنة المركزية للدولية الثالثة إشتربت لقبول الحزب فرعاً لها ثلاثة شروط:

أولها: فصل روزنتال، **وثانيها:** تغيير إسم الحزب من "إشتراكي" إلى "شيوعى"، **وثالثها:** إعداد برنامج للفلاحين.

وعقد الحزب مؤتمراً - رغم محاولة البوليس إعاقة ذلك- ووافق على التعديلات الجديدة بما فى ذلك البرنامج، وشكلت لجنة مركزية جديدة أصبح فيها محمود حسنى العرابى سكرتيراً عاماً للحزب، وبذلك أعلن قيام أول وآخر حزب شيوعى مصرى علنى فى يناير 1923. وخلال الفترة من يناير 1923 إلى مارس 1924، قام "الحزب الشيوعى المصرى" بتبنى خط "العمل المباشر" فالتحم بإتحاد نقابات العمال ونظم سلسلة من الإضرابات والإعتصامات العمالية، بلغت ذروتها بالأسكندرية، وأدت إلى تحرك السلطات للقبض على قيادات الحزب وأعضائه وكذلك قيادات إتحاد النقابات، وعدل قانون العقوبات بإضافة المادة (151) التى نصت على "معاقبة من يحرض على كراهة نظام الحكومة أو ينشر الأفكار الثورية المغايرة لمبادئ الدستور الأساسية، أو يحبذ تغيير النظم الأساسية للهيئة الإجتماعية بالقوة والإرهاب، بالسجن لمدة لا تتجاوز خمس سنوات".

وقضت محكمة جنايات الأسكندرية (أكتوبر 1924) بمعاقبة كل من محمود حسنى العرابى وأنطون مارون بالسجن ثلاث سنوات، كما حكمت بنفس العقوبة على الشيخ صفوان أبو الفتح والشحات إبراهيم، وإثنين من الأجانب هما إبرام كاتسى، وهليل زانبرج، وبالسجن ستة شهور على باقى المتهمين.

وترتب على ضرب "الحزب الشيوعى المصرى" وتصفيته نتيجتان على درجة كبيرة من الخطورة بالنسبة لتاريخ الحركة الشيوعية المصرية والحركة العمالية المصرية:

أولاهما: أن النشاط الشيوعى إتجه إلى العمل السرى وأصبح مطارداً من البوليس السياسى مجرمأ من وجهة النظر القانونية.

وثانيتها: أن البورجوازية المصرية حرصت على السيطرة على نقابات العمال لتتنأى بها عن الإتجاهات الإشتراكية، مما أدى إلى إضعاف الحركة العمالية المصرية وإنقسامها وتبديد طاقاتها.

وأصدرت وزارة أحمد زيور باشا قراراً بقانون (فى 25 مايو 1926) يطلق يدها فى تعقب الشيوعيين، نص على "معاقبة كل من يزاول نشاطاً من شأنه الإضرار بأمن البلاد الداخلى أو الخارجى أو بالنظام الإجتماعى بالسجن" وإتخذت عدة إجراءات (وقائية) منها منع البواخر السوفيتية من دخول الموانى المصرية، وإعتقال بعض الروس الموجودين فى مصر وترحيلهم خارج البلاد، وحظر استيراد الصحف والمجلات الإشتراكية والكتب الإشتراكية أو بيعها للجمهور.

وفى ضوء الحظر القانونى، ومطاردة السلطات للنشاط الشيوعى لم تتحقق المحاولات المتكررة لإقامة تنظيمات شيوعية النجاح، وكانت جميعاً محاولات أجنبية تقوم على عناصر يونانية وإيطالية مع قليل من كوادر الحزب الشيوعى المصرى القديم وبعض المثقفين المصريين. وظل النشاط الشيوعى فى مصر هزياً فردياً عاجزاً عن إقامة تنظيم حزبى حتى أواخر الثلاثينيات حين أعلنت الحرب العالمية الثانية، ودخلت الحركة الشيوعية المصرية فى سنوات الحرب وما بعدها فى طور جديد، لعبت فيه عناصر من اليهود

الأجانب الدور الأكبر فى بعث الحركة من مرقدها، وكان من أبرز هؤلاء: هنرى كوريبيل، وهلل شوارتز، ومارسيل إسرائيل.

هنرى كوريبيل

فى أقصى شمال الزمالك، على مقربة من نادى الجزيرة الرياضى، كان ثمة قصر صغير تحيط به حديقة باسقة، يضم سبع عشرة غرفة (غير غرف الخدم)، يملكه مليونير يهودى يدعى دانييل نسيم كوريبيل، كان يمتلك مصرفاً صغيراً بشوارع الشواربى، ولد صاحبنا هنرى كوريبيل عام 1914 والعالم عندئذ على شفا الحرب، حيث قامت الحرب الأولى بعد مولد هنرى بقليل.

ورغم أن هنرى كوريبيل لا يذكر لنا - فى سيرته الذاتية - معلومات كافية عن أصل أسرته، إلا أن جيل بيرو يعتمر فى كتابه "هنرى كوريبيل، رجل من طراز فريد" ذاكرة راؤول (الأخ الأكبر لهنرى) عن أصول الأسرة فيقول إنها ترجع إلى قرية فى مقاطعة فالادوليد بأسبانيا تدعى "كوريبيل"، وأن الأسرة بلغت درجة كبيرة من الثراء، حتى كان عهد محاكم التفتيش فى أسبانيا، فتشتت الجمع، إذ اعتنق بعض أفراد الأسرة المسيحية وظلوا فى أسبانيا، بينما هاجر البعض الآخر إلى البرتغال، وبعضهم الآخر هاجر إلى هولندا، بينما إنتقل الجانب الأكبر إلى توسكانة بإيطاليا حيث كان حكامها متسامحين مع اليهود.

ويحدد هنرى كوريبيل عام 1850 كتاريخ لهجرة العائلة من إيطاليا إلى مصر، وهو تاريخ أقرب إلى الدقة من التاريخ الذى يرجحه بيرو، والذى يجعل هجرة الأسرة إلى مصر زمن الحملة الفرنسية، لأن ظروف مصر فى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر كانت تسمح عندئذ بتدفق المستثمرين الأجانب - وخاصة المرابين - إليها، فقد تمت تصفية الطابع الاستقلالى للإقتصاد المصرى الذى تحقق على يد محمد على، عندما أجبرت مصر على فتح أسواقها أمام البضائع الأجنبية دون قيود، وعندما ألغى دور الدولة فى إدارة الإقتصاد. ولما كانت الدولة هى الممول الأساسى للإنتاج الإقتصادى وخاصة الزراعة، فإن غياب دور الدولة أوجد فراغاً هرع المستثمرون الأجانب لملئه فى ظروف سياسية وقانونية مواتية، فهناك الإمتيازات الأجنبية والقضاء القنصلى - ثم القضاء المختلط فيما بعد - تضع الاستثمارات الأجنبية تحت مظلة الحماية القانونية.

وهكذا تدفق المستثمرون الأجانب على مصر، وخاصة من بلاد جنوب أوروبا: اليونان، وإيطاليا، وفرنسا وغيرها، كانت مصر منجماً غنياً لتحقيق الثراء السريع من وراء استغلال الفلاحين المصريين الذين يحتاجون إلى القروض لتمويل زراعة القطن، وجاء أولئك المغامرون الأجانب للإشتغال بالربا وتجارة القطن معاً. ولا نظن أن ثمة ظروفناً أنسب من ذلك لهجرة نسيم كوريبيل - جد هنرى - إلى مصر، ولذلك نرجح أن تكون الهجرة قد تمت فى خمسينيات القرن التاسع عشر.

عائلة كوريبيل - إذن - كانت تنتمى إلى البورجوازية الأجنبية الكبيرة عند بداية الحرب العالمية الأولى، تمتلك مصرفاً، وضيعة فى المنصورية - فيما بين الفيوم وبنى سويف - تبلغ

مساحتها نحو المائتى فدان، بها "سراى" سيستخدمه هنرى – فيما بعد– لممارسة نشاطة السياسى السرى.

والبورجوازية الأجنبية –التي كانت تعيش على إمتصاص دماء الإقتصاد المصرى– كانت تنأى بنفسها عن مخالطة المصريين اللهم إلا البورجوازية المصرية الكبيرة التي تربطها بها مصالح مادية مشتركة، تحتفظ بجنسيتها الأجنبية، وتحترق كل ما هو مصرى، تعلم أبنائها فى المدارس الأجنبية التي إنتشرت فى مصر – عندئذ– وفى جامعات أوروبا – وخاصة فرنسا– وتتخذ من اللغة الفرنسية أداة للتخاطب فيما بينها، ولا تعنى باللغة العربية إلا فى أضيق الحدود التي يقتضيها التعامل مع الخدم.

وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن الجد نسيم كوريبيل، فإن هنرى يمدنا ببعض المعلومات عن والده دانييل الذى فقد بصره منذ طفولته، وكان شغوفاً بالموسيقى، يجيد العزف على البيانو، ويهوى المسكوكات، ويحتفظ بمجموعة نادرة منها، يهوى الأدب الفرنسى ويطلب زوجته بأن تقرأ له يومياً، ولكننا لا نعرف شيئاً عن نشاطه المصرفى فيما عدا تخصصه فى الرهونات وإقراض الأموال للفلاحين، وفيما عدا إشارة وردت فى سيرة هنرى الذاتية إلى تأثره بأزمة 1929 الإقتصادية ولكن يبدو أن أثرها على نشاطه المالى لم يكن كبيراً.

أما زفيرا ببهار – أم هنرى– فكانت تنحدر من أسرة يهودية كانت تعيش فى إستانبول، وتشتغل بتجارة السجاد التي حقق الوالد منها ثروة كبيرة بددها الأبناء بعد وفاته. وقد أدخلتها أسرتها مدرسة دير نوتردام دوسيون حيث إعتنقت الكاثوليكية، ويذكر هنرى أنها عمدته وأخاه راؤول سراً، وأنها كانت شديدة التدين توزع إهتمامها بين الكنيسة والكنيس.

الأسرة – إذن– يهودية ثرية تختلط فيها الدماء الشرقية والأوروبية، ذات ثقافة فرنسية، تحمل الجنسية الإيطالية، منعزلة عن المجتمع المصرى، مرتبطة بالجاليات الأجنبية، فيحدثنا بيرو عن الحفلات الراقصة التي كان يقيمها دانييل كوريبيل بحديقة قصره بالزمالك أيام الحرب العالمية الثانية، ويدعو إليها صفوة الأجانب وكبار الضباط الإنجليز وبالطبع البورجوازية اليهودية. حتى علاقة الأسرة باليهود المصريين كانت مقصورة على المعونات المالية للأعمال الخيرية التي توجه إلى فقراء الطائفة. وإعتادت الأسرة أن تقضى الصيف فى فرنسا، حيث كانت هناك إثنان من شقيقات دانييل تزوجتا من فرنسيين، وحيث كان للأسرة على ما يبدو مسكن دائم هناك.

لذلك كان من الطبيعى أن يربى الأبناء تربية فرنسية، فتلقى الولدان راؤول وهنرى تعليمهما الإبتدائى والثانوى فى مدارس الجزويت (اليسوعيين) فى الفجالة، وكان تأثر هنرى بأساتذته فى الفجالة كبيراً، وبعد أن حصل على شهادة البكالوريا الفرنسية، أوفد راؤول إلى فرنسا لدراسة القانون. ولكنه غير بعد ذلك ميدان دراسته ليتخصص فى الآثار الشرقية، أما هنرى، فقد فضل أبوه – على ما يبدو– أن يعده لإدارة المصرف الذى تمتلكه الأسرة فوجهه إلى دراسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة. مما أصاب هنرى بالإحباط فقد كان يتطلع إلى فرنسا حيث درج أقاربه على التوجه إليها طلباً للعلم، فعلى حد قوله: "كان من الصعب على يهودى إيطالى تخرج فى مدرسة فرنسية أن يجد نقطة إرتباط حقيقية فى بلد مسلم، وكانت فرنسا هى الوطن الوحيد الذى أشعر بالإرتباط به..".

ولعل هذا الشعور بالإحباط كان وراء حياة المجون التي عاشها هنرى كوريبيل فى الثلاثينيات، فيحدثنا بيرو عن تردده على مواخير القاهرة، ودعوته لأصدقائه لمشاركته صحبة المواخير "بحجة أن العاهرات يمثلن بالنسبة للبورجوازيين أقصر الطرق لتحقيق الوعى السياسى"!!! كما يذكر أن هنرى فتن بغانية رومانية كانت تعمل راقصة بكازينو الكيت كات، وظل ينفق عليها طيلة عامين. هذا فضلاً عن كوكبة الفتيات اليهوديات اللاتى أحطن به فى المناسبات الإجتماعية المختلفة للبورجوازية اليهودية، وكانت "روزيت العجم" واحدة من أولئك الفتيات. ولكنها تفوقت عليهن باستحوازاها على قلب هنرى، فأصبحت زوجته منذ فبراير 1943.

ومهما كان الأمر، فقد أصبح على هنرى أن ينزل إلى ميدان العمل بمصرف والده وهو فى العشرين من عمره، ولم يكن يهوى هذا النوع من العمل، فكان يؤديه فى حدود ضيقة، ويصرف وقته فى القراءة أحياناً، وصحبة الفتيات أحياناً أخرى، ويبدو أن إسراره فى السهر ونزق الشباب أدى إلى إصابته بمرض صدرى فأرسله أبوه إلى فرنسا للاستشفاء (عام 1937) حيث التقى بأخيه راؤول، ومكث هناك مدة عام واحد، عندما بدأت نذر الحرب تتجمع فى الأفق، فاستدعاه والده إلى القاهرة، فعاد إليها فى سبتمبر 1938 بصحبة أخيه راؤول.

كان لقاء الأخوين نقطة تحول فى توجهات وإهتمامات بل ومستقبل هنرى كوريبيل، فقد تأثر راؤول بالإتجاهات الإشتراكية فى باريس، وأصبح عضواً فى إتحاد الطلاب الإشتراكيين، وقرأ حول الماركسية كثيراً، وإتصل بالشيوعيين الفرنسيين، وتأثر هنرى بالإهتمامات الجديدة لأخيه راؤول، فبدأ يتعرف على الفكر الإشتراكي عن طريقه.

وعندما عاد الأخوان إلى مصر، وجدا البورجوازية اليهودية فى حالة هلع شديد، فالنازية تهدر أمواجها فى أوروبا، ومصر غير بعيدة عن متناول الفاشية حيث يوجد الإيطاليون على أبواب مصر الغربية.. فى ليبيا، وعلى أبواب مصر الجنوبية فى أثيوبيا، بل فكر بعض رجال الأعمال اليهود فى تصفية أعمالهم فى مصر والهجرة إلى جنوب أفريقيا أو غيرها، بعيداً عن الخطر المرتقب.

لا وقت – إذن – للعبث والمجون ونزق الشباب، فالخطر ماثل للعيان، ولكن أبناء البورجوازية الكبيرة لهم أسلوبهم المترف فى النضال ضد الفاشية، فقد قررت مجموعة من الشباب إصدار مجلة فرنسية بالقاهرة للدعوة لمقاومة الفاشية، ضمت راؤول كوريبيل وريمون أجيون (قريب راؤول)، والفنان جورج حنين وزميليه رمسيس يونان وكامل التلمسانى (وهم من ذوى الثقافة الفرنسية). وأطلقوا على المجلة اسم "دون كيشوت"، وإشترك فى تحرير المجلة هنرى كوريبيل وبعض شباب البورجوازية اليهودية. وأقامت المجموعة حفلاً راقصاً صاحباً إحتفالاً بصدور المجلة، ولجمع التبرعات من المدعوين والمدعوات.

شباب مترف تتراوح أعمارهم بين التاسعة عشر (ريمون أجيون)، والخامسة والعشرين (راؤول كوريبيل)، لا تنتفق أذهانهم عن سبيل لمقاومة الفاشية إلا من خلال مجلة تصدر بالفرنسية فى بلد عربى!!! لذلك لم تعمر المجلة أكثر من ستة شهور.

ويهمنا هنا المقال اليتيم الذى كتبه هنرى كورييل بالمجلة تعقيباً على خبرين وردا بجريدتين قاهريتين فرنسيتين.

أحدهما: يطالب بوضع الشركات التى يدفع أصحابها أجوراً كبيرة لعمالهم تحت الوصايا القضائية.

وثانيهما: يطالب بإقامة إتحاد لرجال الصناعة وحرمان العمال من حقهم فى التنظيم النقابى، فكتب هنرى كورييل تعقيباً على ذلك:

"إن ما تحتاجه مصر حتى تتقدم صناعتها بشكل أسرع هو اليد العاملة المتخصصة، وليس رءوس الأموال أو المواد الأولية أو المبادرات الفردية، فإذا ظل العمل بالنسبة للعمال جحيماً، فسوف يظل العمال على حالهم، أعطوهم أجراً مجزياً يحسن من وضعهم، وأتيحوا لهم أوقات فراغ تهئى سبل الراحة وتتيح لهم فرصة الثقافة، إمنحوهم المسكن الصحى الذى يعيشون فيه بمنأى عن الحشرات والأوبئة، عندئذ سيكون لدى الصناعات المصرية أيد حاذقة وقوية، تنمى فى آن واحد مردود الصناعة وأسواقها".

وهكذا يبدو هنرى كورييل فى ذلك المقال بورجوازيماً رحيماً إصلاحياً، يدعو إلى رعاية البقرة الحلوب (العمال) حتى تدر للصناعة المزيد من الأرباح، ولا يشير من قريب أو بعيد إلى تشريعات العمل أو حق التنظيم النقابى، وهى مطالب ناضل العمال فى سبيلها، ونظموا حركة إضراب شهيرة عن الطعام عام 1938، ولكن يبدو أن هنرى (الذى لا يعرف العربية) كان لا يدرى شيئاً عن مطالب الطبقة العاملة المصرية عندئذ.

وسرعان ما نفر هنرى من "دون كيشوت" وإنصرف عنها، وشغلته إهتمامات أخرى كالنزعة إلى العودة للطبيعة، فأصبح نباتياً، ينهك جسده بالسير لمسافات طويلة فى الصحراء بالسروال القصير، ويمارس السباحة والتنس، بالإضافة إلى سهرات الكيت كات حيث صديقتة المفضلة الراقصة ليديا الرومانية.

غير أن النوازع الإنسانية عند هنرى كورييل دفعته للإهتمام برعاية الفلاحين صحياً فى ضيعة والده بالمنصورة، فكان يتردد عليها بصحبة صديقتة روزيت (زوجته فيما بعد)، حاملاً قطرة العيون وبعض الأدوية، ولكن ما كان يعانيه الفلاحون من وضع إجتماعى متدهور لم تكن تفيد معه الأدوية أو قطرة العيون. كانت هذه هى المرة الأولى التى يدخل فيها هنرى بيوت الفلاحين، فصدمه بؤسهم وقرر الإنخراط فى العمل السياسى لخدمة الطبقة الكادحة البائسة (على حد قول روزيت فى حديثها إلى جيل بيرو)، ومن ثم حسم الأمر بإختياره للشيوعية.

ويقول جيل بيرو إن الدوافع الإنسانية والتأثر بسوء أحوال العمال والفلاحين كانت وراء إهتداء ذلك الجيل من أبناء البورجوازية اليهودية إلى الشيوعية، فمارسيل إسرائيل – الذى كان والده يملك محلجاً للقطن – راعه منظر الأطفال الفلاحين الذين يساقون سوق الأنعام للعمل ست عشرة ساعة يومياً فى جو يتنافى مع أبسط قواعد الصحة العامة، ويوسف حزان (الذى كان مهندساً زراعياً) هاله أيضاً سوء أحوال عمال التراحيل، والطريقة اللا إنسانية

التي يعاملون بها، وكذلك الحال بالنسبة لريمون أجيون وديدار روسانو وغيرهم، هزهم جميعاً بؤس الطبقة العاملة المصرية دون أن يعرفوا شيئاً عن واقع المجتمع المصرى الذى كانوا يعيشون على هامشه فى الأبراج العاجية للبورجوازية اليهودية.

كانت الأزمة الإجتماعية مستحكمة فى مصر عندئذ، فالبون شاسع بين طبقة محدودة من كبار الملاك الذين لا تتجاوز نسبتهم نصفاً بالمائة من مجموع الملاك الزراعيين يملكون ما يقرب من نصف أجود الأراضى الزراعية، وجماهير الفلاحين المسحوقين الذين تتآكل ملكيتهم الزراعية الصغيرة وتنتلاشى بسبب عجزهم عن سداد ديونهم. وهكذا تتسع شيئاً فشيئاً دائرة المعدمين من الفلاحين. وتأتى الأزمة الاقتصادية العالمية 29 - 1932 لتضرب الريف المصرى ضربة قاضية وتقذف بملايين الفلاحين إلى المدن طلباً للعمل، ويتسع جيش العاطلين ليضغط على سوق العمل فتتدنى الأجور وتزداد شروط العمل وظروفه سوءاً، ويتبدد نضال الطبقة العاملة المصرية من أجل إصدار تشريعات العمل والحصول على حق التنظيم النقابى أمام تصارع البورجوازية الوطنية للسيطرة على الحركة النقابية، ويدور نضال العمال فى حركة مفرغة بين ضغوط الأحزاب البورجوازية واستغلال الرأسماليين ومطاردة البوليس، وتشهد الثلاثينيات سلسلة من الإضرابات العمالية تبلغ ذروتها عام 1936، وتستمر الجذوة متقدة حتى بداية الحرب العالمية الثانية.

ومن الغريب أن أياً من ذلك كله لم يلفت نظر أحد من البورجوازيين اليهود الذين إنغمسوا فى العمل الشيوعى، فلا نجد إشارة له فى السيرة الذاتية لهنرى كورييل، ولا نجد أثراً له فى شهادات رفاقه التى أوردها جيل بيرو فى كتابه "هنرى كورييل رجل من طراز فريد". هزتهم جميعاً مظاهر البؤس والفاقة دون أن يدركوا شيئاً عن واقع الطبقة العاملة المصرية، أو حتى يحاولوا التعرف عليه، وهو أمر يثير الدهشة والتساؤل. وخاصة أن هؤلاء الشباب الذين كانوا يعيشون حياة الترف والدعة تحركت لديهم فجأة النوازع الإنسانية التى "هزت ضمائرهم". وهنا من حقنا أن نتساءل: لماذا شباب البورجوازية اليهودية بالذات وليس غيرهم من شرائح البورجوازية الأخرى؟! ولماذا لم يحدث ذلك إلا فى ظروف الحرب العالمية الثانية؟! أسئلة سوف تظل تبحث عن إجابة وخاصة إذا عرفنا بعد قليل أن هذه الطلائع الماركسية اليهودية جلبت للحركة الشيوعية المصرية داء "التكتلية" و"الإنقسام"، كما جلبت إليها داء الإغراق فى المناقشات النظرية والدخول فى مناقشات أيديولوجية مصطنعة دون الإهتمام بالنضال السياسى، حتى يبدو الأمر كله وكأنه "سيناريو" معد مسبقاً!!

على كل، إتجهت تلك المجموعة المحدودة من الشباب البورجوازي اليهودى التى هزت ضمائرهم مظاهر بؤس الطبقة العاملة المصرية إلى قراءة الأدبيات الماركسية - بشكل فردى وليس جماعياً أولاً - ومن بين هؤلاء هنرى كورييل.

وهنرى الذى تعرف على الماركسية عن طريق أخيه راؤول، تعرف أيضاً على شيوعى سويسرى كان صديقاً لراؤول، وكان يعمل مدرساً بالمدارس الثانوية المصرية هو جورج بوانتى الذى كان -عندئذ- فى الخامسة والثلاثين من عمره، وكان عضواً بحزب العمل السويسرى، وكان قد نظم حلقة لدراسة الماركسية ضمت بعض أصدقائه الأجانب

والمصريين. وكان تأثير بوانتى على هنرى كورييل كبيراً. فهو الذى أقنع كورييل بعدم جدوى الإغراق فى الجدل النظرى وضرورة الانتقال إلى العمل السياسى، ودربه على طريقة تجميع أكبر عدد ممكن من الأفراد حول أهداف تعبوية بسيطة. كان بوانتى أستاذ هنرى كورييل فى "الجهوية" التى أتقنها هنرى - فيما بعد- وجعلت خصومه السياسيين يصفونه بالإنتهازية. وكان بوانتى هو الذى صنع من هنرى شيوعياً، وظل هنرى كورييل يكن له كل تقدير، فحزن لموته فى الجبهة الفرنسية التى تطوع للقتال فيها ضد النازية، وكان أول إسم مستعار استخدمه عند دخوله فرنسا سراً عام 1951 هو "بوانتى".

وهكذا، مع بداية الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر حلقات دراسة الماركسية التى تضم عشرات من أبناء البورجوازية اليهودية وبعض المصريين من أبناء البورجوازية الكبيرة ذوى الثقافة الأجنبية، بالإضافة إلى بعض اليونانيين والإيطاليين الذين ما لبثوا أن شغلوا بقضايا بلادهم، وكونوا حلقاتهم الخاصة بهم. الجميع يعكفون على دراسة الماركسية دون دخول مرحلة التنظيم. ولكن ما لبثوا أن وجدوا أرضية مشتركة تمثلت فى النضال ضد الفاشية من خلال "الإتحاد الديمقراطى" الذى تأسس عام 1939 بجهود راول كورييل وجورج بوانتى ومارسيل إسرائيل، والإيطاليين ساندر وروكا وباجيلى، واليونانى كيبيريو، وأحمد الأهوانى وإنضم هنرى كورييل إلى الإتحاد، الذى استأجر مقراً خاصاً به، يضم قاعة محاضرات، وصلات إجتماعات، ومكتبة، ولما كان نشاطه موجهاً ضد الفاشية فقد تحمل دانييل كورييل (والد هنرى) نفقات الإيجار.

كذلك شارك هنرى كورييل فى تأسيس "جمعية الصداقة الفرنسية" التى تناصر "فرنسا الحرة"، وتؤيد الجنرال ديغول، وكانت روزيت (زوجة هنرى) تعمل بها بالإضافة إلى عملها بمكتب بعثة فرنسا بالقااهرة ومكتبة "الميدان".

ومكتبة "الميدان" هى الأداة الثالثة للعمل العام التى لجأ إليها هنرى كورييل، وهى مكتبة للأدوات المكتبية وبيع الكتب، أقنع هنرى والده بإفتتاحها بميدان مصطفى كامل لبيع الكتب الأجنبية، واستخدمها هنرى كورييل لترويج الأدبيات الماركسية - أساساً - فكان يستورد الكتب من إنجلترا والولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى، وفيما بعد ستلعب المكتبة دوراً فى تقديم سلسلة من الكتب العربية والمعربة للتعريف بالماركسية. وكانت المكتبة (التي تأسست فى يونيو 1941) تلعب دوراً هاماً كحلقة إتصال بين جنود الحلفاء الماركسيين من مختلف الجنسيات ومن بينهم جنود الفرقة اليهودية التى كونها الصهاينة فى فلسطين للخدمة فى صفوف الحلفاء، فكانت العلاقات وثيقة بين "مكتبة الميدان" وأولئك الجنود الذين كانت المكتبة توافيهم بالكتب الإيطالية والألمانية المعادية للفاشية لتوزيعها على الأسرى الإيطاليين والألمان فى معسكرات الإعتقال. وقد خص هنرى كورييل أولئك الجنود الصهاينة بالتقدير لما بذلوه من جهود للتعاون مع "المكتبة"، وسوف تظل علاقة هنرى كورييل بالصهيونية من النقاط التى تثير التساؤل، والتى سنعود إليها فيما بعد.

وكانت مجلة "حرية الشعوب" هى الأداة الرابعة للعمل العام التى لجأ إليها هنرى كورييل، التى استأجرها من صاحبها عن طريق "عبده ذهب" السودانى الذى تعرف عليه هنرى من خلال بعض الخدم النوبيين الذين يعملون بقصر والده، وعن طريق عبده ذهب أقام صلات

متينة مع بعض الطلبة والعمال السودانيين فى مصر. ويبدو أن عبده ذهب ساعد هنرى كورييل على التعرف على الأوساط الشعبية المصرية أيضاً، بقدر ما ساعده - على حد قوله- فى الحصول على نسخ من تقارير الأمن التى ترد إلى السراى عن النشاط الشيوعى، عن طريق أحد معارف عبده ذهب ممن كانوا يعملون فى خدمة أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى.

على كل، تولى عبده ذهب مسئولية مجلة "حرية الشعوب" وجند المحررين الذين يكتبون فيها، ومن بينهم النوبى عبد الرحيم، صلاح عرابى الذى قدم هنرى كورييل للضابط المصرى محمد نجيب (اللواء محمد نجيب فيما بعد) عندما أراد الأخير التعرف على موقف الشيوعيين من القضية السودانية، وعندما أوقف البوليس السياسى مجلة "حرية الشعوب". استأجر عبده ذهب مجلة أسبوعية أخرى هى "أم درمان" حملت بعد إصدارها الجديد عنوان "أم درمان - نضال مشترك"، وأصبحت هذه المجلة أداة "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" - المنظمة الشيوعية التى أسسها هنرى كورييل عام 1943 للعمل بين السودانيين، وحولها إلتفت الكوادر التى كونت - فيما بعد- "الحركة السودانية للتحرر الوطنى (حستو)" التى تحولت إلى "الحزب الشيوعى السودانى". ودافعت المجلة عن حق الشعب السودانى فى تقرير مصيره بعد التحرر من سيطرة الإمبريالية، ونادت بالنضال المشترك للشعبين المصرى والسودانى ضد السيطرة الإمبريالية.

وكانت الأداة الخامسة للعمل العام تتمثل فى توزيع المنشورات - عند إقتراب الألمان من العلمين- التى تندد بالفاشية، وتنبه المصريين إلى أن الألمان ليسوا أفضل من الإنجليز، وتدعو المصريين لمقاومة الزحف الألمانى، فى الوقت الذى كان فيه رأى العام المصرى مهيباً للترحيب بالألمان بإعتبار أن "عدو الإنجليز صديق للمصريين" وكانت تلك المنشورات يكتبها بعض أصدقاء جورج بوانتى من المصريين، ويقول هنرى كورييل إنه وجورج بوانتى قاما بتوزيع أربعة آلاف نسخة من هذه المنشورات ليلاً بالأحياء الشعبية.

هكذا كانت مجالات العمل العام التى أقدم عليها هنرى كورييل محدودة للغاية، مقصورة على دائرة الأجانب، وبعض السودانيين بعيدة كثيراً عن مجال الإحتكاك بالمصريين. حقاً، ربما عرف هنرى بعضهم من خلال "الإتحاد الديمقراطى" ولكن هؤلاء ينتمون إلى النخبة المثقفة ثقافة أجنبية، أما بقية طبقات الشعب المصرى فلم يكن هنرى يعرف عنها إلا ما يعرفه عابر السبيل، فقد كان يعيش حينئذ فى "الجيتو الأوروبى" - على حد تعبير جيل بيرو - أو عالم الجاليات الأجنبية المغلق الذى لا يعرف شيئاً عن واقع الشعب المصرى ولا يريد حتى أن يعرف، وكل ما كان يهمهم - عندئذ - هو مساندة الإنجليز والحلفاء ضد الفاشية، وبصفة خاصة اليهود منهم، ومن بينهم - طبعاً - هنرى كورييل.

غير أن هنرى تعرض لتجربة فتحت عينيه على حقائق لم يكن يدركها، فقد تم إعتقاله فى يونيو 1942 بمعقل الزيتون مع خمسين من ذوى الميول الفاشية، أعتقلوا بموجب قانون الأحكام العرفية وكانوا جميعاً من المصريين، ولما كان هنرى كورييل قد إختار الجنسية المصرية عند بلوغه سن الحادية والعشرين (عام 1935) بحكم مولده فى مصر، وتنازل بذلك عن جنسيته الإيطالية، فقد أودع معتقل الزيتون مع المصريين، بينما لو كان لا يزال

محتفظاً بالجنسية الإيطالية لأودع معسكرات الإعتقال المخصصة لرعايا إيطاليا (كما حدث لمارسيل إسرائيل الذى لم يفرج عنه إلا بتدخل ممثل فرنسا الحرة فى مصر).

ورغم أن إعتقاله لم يدم أكثر من ستة أو سبعة أسابيع، نظراً لتدخل والده - عن طريق معارفه من كبار المسؤولين - لإطلاق سراحه إلا أن إعتقاله كان - على حد قوله - أول غوص له فى واقع السياسة المصرية التى لم يكن يعرفها جيداً، فقد أتاح له إحتكاكه بالمعتقلين المصريين أن يعرف أن المواطن المصرى الحق لا يمكنه قبول أية مرونة تجاه الإنجليز، وأن ما كان يمارسه من نشاطه - قبل الإعتقال - للدعوة إلى مقاومة المحور لا يؤدى إلا إلى العمل بمعزل عن رأى العام المصرى، فكيف يقتنع المصريون بمساعدة عدوتهم بريطانيا؟! بدأ هنرى كورييل - عندئذ - يدرك أن الإقتراب الأمثل من الجماهير المصرية إنما يكون من خلال "الإنطلاق من موقف ثابت فى عدائه للإمبريالية، وتنمية أقوى حركة شيوعية يمكن إقامتها على هذه القاعدة"، بل داعبت خياله فكرة إعتناق الإسلام (التى إقترحها عليه محمود حسنى العرابى الذى كان سكرتيراً عاماً للحزب الشيوعى المصرى عام 1924 ثم أصبح من مشايعى النازية، وكان زميلاً له بالمعتقل)، فقد كان هنرى يتمنى فى هذه الفترة أن "يتمصر" وبدا له أن إعتناق الإسلام إحدى الوسائل لتوكيد "مصريته" وخاصة أن العديد من أصدقائه اليهود أسلموا وتعمقوا فى دراسة اللغة العربية، وأقبلوا على تناول الأكلات المصرية، ولكنه عدل عن الفكرة حتى لا يفسر إسلامه - على حد قوله - بمحاولة إنقاذ نفسه من الخطر النازى الذى يطرق أبواب مصر، بل عدل عن فكرة إعتناق العربية لأن ذلك - على حد قوله - لا يفيد أحداً سواه، ولأنه لن يصبح مصرياً إلا بالنضال من أجل "بلده وشعبه" وهكذا ظل يتحدث عربية ركيكة يستخدم فيها ضمائر المذكر والمؤنث فى غير موضعها، ولكن ذلك لم يمنعه من صوم رمضان أثناء الإعتقال، لأنه - على حد قوله - "من اللائق إحترام العادات الإجتماعية للوسط الذى يتواجد فيه الإنسان" وشارك فى إضراب عن الطعام استمر عشرة أيام بعد شهر رمضان قام به المعتقلون للمطالبة بعودة زميل لهم من الحزب الوطنى إنتخبوه ممثلاً لهم أمام سلطات المعتقل كانت إدارة المعتقل قد قامت بإبعاده.

وعندما أطلق سراحه من المعتقل بفضل العلاقات الخاصة لوالده، وضع تحت المراقبة الإدارية حتى نهاية فترة الأحكام العرفية (ثلاث سنوات)، ولكن أسرته استطاعت أن ترشو دائماً رجل البوليس الذى كان يأتى يومياً للتأكد من وجوده بالمنزل بعد غروب الشمس، مرتين أو ثلاث مرات كل ليلة.

إن تجربة الإعتقال القصيرة شددت أزر هنرى كورييل، وجعلته يتجه إلى بناء التنظيم الشيوعى المصرى بعزيمة أكبر، بعدما تكونت لديه قناعات ثلاث: إتخاذ معاداة الإمبريالية محوراً لنضال الشيوعيين، وحق تقرير المصير والكفاح المشترك بالنسبة للسودان، والموقف المحايد من الدين. وهكذا أسس هنرى كورييل "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" عام 1943، ولم يكن يعمل وحده، بل ضمن "جوقة" من الشباب اليهودى الذى إتجه - فى نفس الوقت - إلى إقامة تنظيمين آخرين.

الحركة الشيوعية المصرية

يرجع هنرى كوريبيل ظاهرة إعتناق الشباب اليهودى المنتمى إلى جنسيات أجنبية في مصر للشيوعية، إلى تأثير هؤلاء بالنضال الأوروبى وخاصة إنتصار الحزب الشيوعى الفرنسى والجبهة الشعبية فى إنتخابات 1936 بحكم ثقافتهم الفرنسية، وإرتباطهم الوجدانى بفرنسا، كما يرجع إلى تأثيرهم بالحركة الشيوعية الدولية بشكل أكبر من العناصر المصرية، هذا فضلاً عن نفورهم من الفاشية، وبعدهم عن الحركة السياسية المصرية وعدم إهتمامهم بها. ويتساءل: "كيف يتسنى ليهودى فى نهاية الثلاثينيات أن يصبح حراً دستورياً، أو حتى وفدياً؟ وهكذا كانت الشيوعية – فى رأيه – الخيار الوحيد أمامهم. ويضيف – فى موقع آخر – إلى ذلك، الإعجاب بتجربة الإتحاد السوفيتى والتأثر الكبير لمعركة ستالينجراد. ويرجع بعدهم عن الحركة السياسية المصرية فى الحقبة الممتدة من منتصف الثلاثينيات حتى مطلع الأربعينيات إلى إفتتان الكثير من الوطنيين المصريين بالفاشية، ولعله نسى أن يضيف لذلك عداء الحركة السياسية المصرية للأجانب، وخاصة البورجوازية الأجنبية التى كانت مصر بالنسبة لها كالبقرة الحلوب، ولكن هنرى كوريبيل يستدرك قائلاً: "إن أولئك الشيوعيين اليهود ذوى الثقافة والإنتماء الأجنبى نجحوا بحق فى إكتساب البعد الوطنى عن طريق إنخراطهم فى الشيوعية، فبإعتناقهم الشيوعية فى مصر أصبحوا شيوعيين مصريين". وكان موقع ممارسة النشاط الشيوعى يضيف الهوية على هؤلاء، وليس التعبير الصادق عن الطبقة العاملة المصرية التى يفترض أن يكون العمل الشيوعى تعبيراً عن طليعة تلك الطبقة، التى كان أولئك الشيوعيون الأجانب اليهود يجهلون كل شيء عن واقعها التعس عندئذ.

حلقات شيوعية على أرض مصر، ولكن بدون مصريين، وحتى أولئك الأفراد القلائل من المصريين الذين إختلفوا إليها كانوا من البورجوازية الكبيرة الذين أعجبتهم الرطانة الماركسية، والذين إنضموا إلى تلك الحلقات – على ما يبدو – من باب الخروج من روتين حياتهم الطبقيّة، والاستمتاع برياضة ذهنية جديدة، وفرصة للإلتحام بالجاليات الأجنبية التى كانوا ينبهرون بها.

يذكر جيل بيرو فى كتابه "هنرى كوريبيل، رجل من طراز فريد" أن مارسيل إسرائيل ذهب إلى لبنان للاستشفاء فى مطلع الأربعينيات، واستطاع أن يلتقى بميدويان مسئول الكونترن للشرق الأوسط بمساعدة صديقه نقولا الشاوى (الذى أصبح فيما بعد السكرتير العام للحزب الشيوعى اللبناي)، وأعطى مارسيل للمسئول الأسمى صورة عن إزدهار حلقات الدراسة الماركسية بالقاهرة والرغبة فى الإنتقال إلى مرحلة التنظيم، وبعد أن استمع إليه ميدويان جيداً، قال له: "والمصريين.. أين المصريون؟ إن واجبك الأول أن تحتك بالجمهير المصرية وتكون كوادر مصرية".

هكذا عندما عاد مارسيل إسرائيل إلى القاهرة، راح يبحث عن المصريين "الذين ولد بينهم دون أن يعرفهم"، وتمكن من تجنيد عشرة أفراد ما لبث أن إنضم إليهم طاهر المصرى الذى إنتسب إلى الحزب الشيوعى الفرنسى أثناء دراسته بباريس، لتتكون أول منظمة شيوعية سرية حملت إسم "تحرير الشعب" عام 1941. وحرص مارسيل على ترك القيادة

للمصريين مكتفياً بالدور الذى يلعبه فى التثقيف، وفى الإتصال بالحزبين الشيوعيين اللبنايى والفلسطينيى.

وإذا كان بؤس الكادحين المصريين والنوازع الإنسانية قد قادا مارسيل إسرائيل – ابن صاحب ملح القطن الذى تدهورت أحوال أسرته المالية وأصبح كاتباً بإحدى الشركات – وكذلك هنرى كورييل – ابن صاحب المصرف المالى – إلى الشيوعية، فإن هلال شوارتز دخل الشيوعية من باب الهواية، فهو ينجدر من أسرة يهودية رومانية استقرت بمصر عام 1914 ليعمل والده كطبيب بالجيش الإنجليزى، وكانت أسرته تحتقر كل ما هو عربى وتتجه بوجدانها صوب فرنسا التى كانت تحج إليها كل صيف.. ورغم أن هلال ولد عام 1923 على أرض مصر إلا أنه لم يكن يهتم بمصر مطلقاً، وحين إنحدرت أحوال أسرته المالية حاول السفر إلى أوروبا، ولكن ظروف الحرب حالت دون تحقيق رغبته تلك فالتحق بوظيفة كتابية، ولم تتغير مشاعره نحو مصر، فهو يؤكد لبيرو أنه كان يجد "البلد بشعاً وكريهاً، وكانت فرنسا منارتى الوحيدة التى أتطلع للعودة إليها" وبعد قراءات فى الأدبيات الماركسية، قرر أن يكون شيوعياً، فقابل هنرى كورييل ليعمل معه ولكنه نفر منه، وكون مجموعته الخاصة من بعض أصدقائه الأجانب وبعض أبناء البورجوازية المصرية الكبيرة ذوى الثقافة الفرنسية – عام 1943 – وأطلقوا على التنظيم إسم "اسكرا (الشرارة)" التى ركزت على الدراسة النظرية وإعداد الكوادر، وفيما بعد كانت واجهة النشاط العلنى تتمثل فى جريدة "الجماهير" الأسبوعية والمحاضرات التى كانت تلقى بدار الأبحاث العلمية التى يحضرها بعض الطلاب المصريين.

فإذا أضفنا إلى "تحرير الشعب" و"اسكرا" التنظيم الثالث الذى أقامه هنرى كورييل عام 1943 "الحركة المصرية للتحرر الوطنى".

أصبح لدينا ثلاث منظمات مستقلة تعمل كل واحدة منها بمعزل عن الأخرى، رغم صلات الصداقة التى كانت تربط مؤسسيها ببعضهم البعض بحكم إنتمائهم إلى البورجوازية اليهودية، وإلتقائهم شبه الدورى فى مختلف المناسبات الإجتماعية، راحت كل منظمة من المنظمات الثلاث تعتبر نفسها نواة الحزب الشيوعى المصرى، وتسعى للحصول على إعراف الحركة الشيوعية الدولية بها دون غيرها.

كان العرف السائد فى الحركة الشيوعية الدولية أن تتبع الحركة الشيوعية فى المستعمرات حزب البلد الأوروبى الذى تخضع له المستعمرة، فالحزب الشيوعى الفرنسى، مثلاً، يتولى من خلال "مكتب المستعمرات" رعاية النشاط الشيوعى فى المستعمرات الفرنسية، على أساس أن الطبقة العاملة فى المستعمرات، أوثق إرتباطاً من حيث المصالح المشتركة مع الطبقة العاملة فى البلد المستعمر. وكان من المفروض – وفقاً لهذه القاعدة – أن تدخل مصر فى نطاق مسئولية الحزب الشيوعى الإنجليزى، ولكن الأخير كان حزباً صغيراً، ولم يهتم بأمر مصر، ربما لأنها لم تكن – نظرياً – إحدى المستعمرات، على حين إهتم بالسودان، وحاول أن يقيم تنظيماً هناك، غير أن هنرى كورييل – الذى سبق الحزب الشيوعى الإنجليزى إلى العمل بين السودانين – حال دون نجاح مبعوث الحزب الشيوعى الإنجليزى.

ولما كان أقطاب المجموعة الشيوعية التى تكونت بمصر مع مطلع الأربعينيات ذوى ثقافة فرنسية، فقد كانوا ينظرون إلى الحزب الشيوعى الفرنسى بإعتباره "الأخ الأكبر"، غير أن جهودهم لإقناع الحزب الفرنسى بأنهم ممثلو "الشيوعية المصرية" باءت بالفشل، فالحزب الفرنسى ظل ينظر إلى أولئك البورجوازيين الأجانب الذين يدعون تمثيل الشيوعية المصرية نظرة شك وإرتياب، وخاصة أنهم موزعون بين ثلاثة تنظيمات، تدعى كل منها تمثيل الشيوعيين المصريين، كما أن الحزب الفرنسى كان يحذر -دائماً- المنشقين عن البورجوازية الكبرى، فلم يفعل أكثر من حثهم على الوحدة، كذلك فعل الحزب الشيوعى الفلسطينى الذى قامت جسور إتصال بينه وبين أقطاب المنظمات الشيوعية المصرية، والذى كان يحظى بإعتراف موسكو. ولكن الخصومات كانت قوية تعلو على الإختلاف بين البرامج، ولذلك لم تعر الحركة الشيوعية الدولية نشاط هؤلاء إهتماماً.

كانت الدولية الشيوعية "الكومنترن"، قد حلت عام 1943 فى ظروف التحالف التى فرضتها الحرب العالمية الثانية على الإتحاد السوفيتى، بل وقبل الحل بسنوات عديدة أهمل الكومنترن أمر مصر، بعدما يؤس من إمكانية إحياء الحزب الشيوعى المصرى الذى تمت تصفيته عام 1924، ولم تكن السفارة السوفيتية بالقاهرة (التي إفتتحت عام 1942) ترغب فى التورط فى نشاط أولئك الذين يتزعمون منظمات شيوعية رغم نعومة أظفارهم وعدم تمرسهم بالنضال فى حزب معترف به من قبل، ويبدو -أيضاً- أنها كانت ترتاب فى أولئك الأجانب الذين يدعون تمثيل الحركة الشيوعية المصرية.

ويروى لنا هنرى كورييل كيف حاول مد جسور التعاون مع السفارة السوفيتية بالقاهرة من خلال "مكتبة الميدان" ومقابله المثيرة لعبد الرحمن سلطانوف -مستشار السفارة عندئذ- فقد قال له سلطانوف إن الإتحاد السوفيتى لا ينوى القيام بأى نشاط فى مصر، بل طالب هنرى بأن تتوقف مكتبة الميدان عن توزيع الكتب السوفيتية حتى لا تسبب حرجاً للسفارة وبعد ذلك كتب سلطانوف مقالاً بإحدى المجلات السوفيتية أكد فيه عدم وجود شيوعيين مصريين. لم يفتنع الرجل -إذن- بذلك الشاب البورجوازى الأجنبى الذى يدعى التحدث بإسم الشيوعيين المصريين. ولعل موقف الحزب الشيوعى الفرنسى وكذلك الحزب الشيوعى الفلسطينى، ثم الحزب الشيوعى اللبنانى، كان قد اتخذ بتنسيق كامل مع موسكو.

إنهم من وجهة نظر الحركة الشيوعية الدولية -إذن- شيوعيون لقطاع لا تقبل الحركة الشيوعية الدولية تبنيهم وتصمهم بالإنتهازية، وتشم رائحة الشبهات فى نشاطهم، وترى أنهم ليسوا أكثر من "حفنة من البورجوازيين الكبار والصغار المنخرطين فى معارك ديوك لا تغتفر، تنتمى إلى العمل السياسى المبتذل أكثر من إنتمائها إلى النضال الثورى" على حد تعبير أحد المصادر لجيل بيرو.

لقد كان ذلك قدر الحركة الشيوعية فى مصر عندئذ، ويهمنى هنا الوقوف أمام المنظمة التى أسسها هنرى كورييل "الحركة المصرية للتححر الوطنى". ويذكر هنرى كورييل أن النية كانت متجهة إلى استخدام إسم "الشيوعية"، تم العدول عن ذلك لتجنب التعرض للوقوع تحت طائلة القانون الذى يحرم الشيوعية، ولأن الدعاية ضد الشيوعية ربطت بينها وبين شتى صنوف الإنحلال، ولأن الحركة -فى بداية أمرها- لا تستطيع أن تلعب دور الحزب

الطليعى للطبقة العاملة المصرية، فكان الإسم الذى أختير للحركة يعنى أنها بداية لتنظيم حزب. عندما تكتمل له صفة التعبير عن الطبقة العاملة المصرية، وكان تأكيد مصريتها يعنى التمسك بتمصيرها، والنص على التحرر الوطنى يعنى إعطاء الأولوية للنضال ضد الإمبريالية، وكذلك مجارة الواقع الإجتماعى لمفهوم التحرر.

وبدأت "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" نشاطها بتجنيد المصريين وتدريبهم، وهنا يذكر هنرى كورييل أنه فضل الابتعاد عن الشيوعيين القدامى الذين يعهرفهم البوليس السياسى تجنباً للوقوع تحت طائلة القانون، بينما كان من المنطقى الاستفادة بخبرة أولئك المناضلين وخاصة أن من بينهم من عاصروا "الحزب الشيوعى المصرى" القديم كالشيخ صفوان أبو الفتوح، وشعبان حافظ، والدكتور حسونة، ولكن سينضم هؤلاء إلى الحركة المصرية للتحرر الوطنى فيما بعد.

استطاع هنرى كورييل ورفاقه العثور على نحو العشرين من المصريين الذين كانوا من العمال والطلبة الفقراء بينهم أزهرى واحد، شكلوا الدفعة الأولى لمدرسة الكوادر التى أقامها هنرى فى "سراى" عزبة والده بالمنصورة، وكان من بين الدارسين إثنان أصبحا من أهم قيادات الحركة هما فؤاد حبشى وسيد سليمان رفاعى (الرفيق بدر) من صف الضباط الميكانيكيين بالجيش المصرى (سلاح الطيران). وتولى التدريس بالإضافة إلى هنرى كورييل جوماتالون، ودافيد ناحوم (من أبناء البورجوازية اليهودية)، وطاهر المصرى، وزكى هاشم (من أبناء البورجوازية المصرية). وتناولت المحاضرات الآفات الثلاث التى عانى منها المجتمع المصرى: الفقر والجهل والمرض، وتطور المجتمعات والطبقات الإجتماعية، والمادية الجدلية (بعد إغضاء الطرف عن القضايا المتصلة بالدين)، والإشتراكية، وتجربة الإتحاد السوفيتى فى التنمية. وإنقطع الدارسون عن العالم الخارجى فى عزبة المنصورة خمسة عشر يوماً متصلة قضوها فى الإستماع إلى المحاضرات والمناقشات منذ شروق الشمس حتى مغيبها، ويختمون اليوم بإلقاء النشيد الأسمى الذى نقله طاهر المصرى إلى العربية. كان ذلك فى أكتوبر 1943، ولا يحدثنا هنرى كورييل أو جيل بيرو - الذى ترجم له- عن دفعات أخرى تم إعدادها بهذه المدرسة، ولكننا نستنتج من كتابات هنرى أن الدارسين إنطلقوا للتثقيف فى القواعد التى جاءوا منها، فقد تولى الرفيق بدر مسئولية تثقيف رفاقه من صف ضباط سلاح الطيران، على سبيل المثال.

وإلى جانب الكوادر المصرية الجديدة شارك بعض قدامى الشيوعيين المصريين فى نشاط "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" كالدكتور عبد الفتاح القاضى الذى تولى ترجمة الكتب النظرية إلى اللغة العربية، ومسئولية نشر المجالات الداخلية، والدكتور حسونة (طبيب الأسنان) الذى تولى مسئولية مجموعة الأسكندرية وأشرف على طباعة سلسلة "الكتب الخضراء" وكذلك الشيخ صفوان أبو الفتح وعبد الرحمن فضل، أما عصام حفى ناصف فظل بعيداً عن الحركة لأنه إشتراط للإلتحاق بها أن يعين سكرتيراً عاماً، على حد قول هنرى كورييل. وحققت الحركة تقدماً على طريق "التعميل" بإنضمام بعض قادة عمال شبرا الخيمة إليها وعلى رأسهم المناضل النقابى محمد شطا الذى يعده هنرى كورييل أحد أساتذته.

لعب أولئك "الشيوعيون اللقطاء" الأجانب اليهود، بقصد أو غير قصد، دور القابلة فى "الميلاد الثانى" للحركة الشيوعية المصرية – على حد تعبير كورييل – إذا أيدنا وجهة نظر هنرى كورييل الذى يرى أن هناك فترة إنقطاع فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية فيما بين 1924 – 1940، وأنه لم تكن هناك حركة، ولم تكن هناك منظمات شيوعية، وإنما كان هناك شيوعيون مصريون، وهو هنا يعارض نظرية استمرارية الحركة التى يقول بها رفعت السعيد. وأصبح هناك شيوعيون مصريون جدد تربوا فى حجر المنظمات الثلاث: "تحرير الشعب" التى ركزت على "تعميل" الحركة وإهتمت بتجنيد المناضلين النقابيين على وجه الخصوص، و"اسكرا" التى إتبع أسلوباً إنتقائياً دقيقاً لتجنيد عناصرها من المثقفين وخاصة ذوى الثقافة الفرنسية من أبناء البورجوازية المصرية، و"الحركة المصرية للتحرر الوطنى" التى إهتمت بتمصير الحركة وتعميلها معاً.

ومهما كان من سلبيات "الإنقسام" و"التكتلية" ودعاوى "الإنحراف" اليمىنى واليسارى، و"الإنتهازية" التى غلبت على الحوار بين هذه المنظمات، فإن ثمة إيجابية لا يمكن إغفالها؛ فقد أصبح الفكر الماركسى متاحاً ومطروحاً على الساحة السياسية فى مصر، فعند قيام الحرب العالمية الثانية لم تكن هناك سوى ترجمة لبنانية ركيكة لكتاب ماركس "رأس المال"، فجاءت المجالات العلنية والنشرات السرية التى نشرتها تلك المنظمات، والكتب الخضراء التى نشرتها "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" لتجعل الفكر الإشتراكى مطروحاً ومتاحاً. ولا شك أن هذه الكتب والنشرات لعبت دوراً هاماً فى صياغة فكر الشيوعيين المصريين حتى الستينيات على أقل تقدير.

كانت نواة "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" – التى أسسها هنرى كورييل فى أكتوبر 1943 – مجموعة من الشيوعيين الأجانب الذين إنشقوا على "اسكرا" بسبب موقفها من قضية "تمصير" الحركة الشيوعية وإصرارها على الإبقاء على قيادة التنظيم أجنبية خالصة، وقد رأينا كيف حرص هنرى كورييل وجماعته على تجنيد عناصر مصرية تلتقت تدريجياً ماركسياً بمدرسة الكوادر التى أقامها بعزبة والده بالمنصورة، ولعبت الكوادر المصرية دوراً هاماً فى إجتذاب عناصر جديدة إلى الحركة فى مجالات عملها الخاصة: عمال الجيش، عمال الحكومة، عمال المصانع والشركات الأهلية. وكان التركيز يتم بصفة خاصة على القيادات النقابية النشطة فى الصناعات ذات الوزن الحركى فى إطار التنظيم النقابى، فكان إنضمام محمد شطا المناضل النقابى لعمال النسيج بشبرا الخيمة كسباً كبيراً للحركة المصرية للتحرر الوطنى، كذلك جندت بعض العناصر النقابية فى قطاعات المواصلات والنقل، فضلاً عن الإهتمام بتجنيد الطلبة – وخاصة الفقراء منهم – وكذلك بعض طلاب الأزهر، هذا بالإضافة إلى النوبيين الذين كان لهم قسم خاص بالحركة المصرية للتحرر الوطنى (وهو إتجاه عنصرى لم يقدم هنرى كورييل تفسيراً له)، وقسم خاص بالسودانيين.

وبالإضافة إلى "أم درمان" و"العهد الجديد" المجلتين العلنيتين اللتين كانتا تعبران عن الحركة المصرية للتحرر الوطنى، أصدر قسم النشر بالحركة نشرتين للتداول الخاص بين أعضاء الحركة هما "الوعى" وتعنى بالمسائل التثقيفية، و"الكادر" وتهتم بالمشاكل التنظيمية.

ولما كانت "الثورة لا يعد لها فى أوقات الفراغ" كما يقول لينين، فإن الحركة المصرية للتححر الوطنى أخذت بنظام المناضلين "المحترفين" أو المتفرغين، وكان هؤلاء يختارون من بين الطلاب والعمال الفقراء، ويحصل كل منهم على ستة جنيهات مصرية مكافأة شهرية، وأولت الحركة أهمية خاصة لتجنيد وإعداد المناضلين "المحترفون". ولم تكن الحركة المصرية - فى حقيقة الأمر- أول من إهتم بتجنيد المحترفين، فقد كان للأحزاب البورجوازية (وخاصة الوفد) محترفون بين صفوف الطلاب، وكذلك الحال بالنسبة للإخوان المسلمين، فضلاً عن العناصر الطلابية والعمالية التى إحترفت العمل لحساب البوليس السياسى.

وقد ركز المناضلون "المحترفون" عملهم بين التجمعات الطلابية (جامعة القاهرة والأزهر) والتجمعات العمالية بالقاهرة والأسكندرية، فتولوا مهام تنظيم الإضرابات، وقيادة وتوجيه المظاهرات، وتوزيع المنشورات والنشرات التى تصدر عن الحركة كانوا -إذن- أدوات الحركة للعمل الجماهيرى، ولم يكن هناك إهتمام كبير بإعدادهم الإعداد النظرى الكافى، بقدر الإهتمام بإعدادهم الحركى، وهى سلبية من سلبيات الحركة المصرية للتححر الوطنى يعترف بها هنرى كورييل الذى دافع - فى سيرته الذاتية- عن المناضلين المحترفين دفاعاً قوياً مؤكداً أنهم كانوا من "أفضل العناصر الوطنية"، وينحى باللائمة على المنظمات المنافسة التى وصفت محترفى الحركة المصرية للتححر الوطنى "بالمرتزقة"، مؤكداً أن بعضهم كان باستطاعته أن يربح من مهنته أكثر من تلك المكافأة الضئيلة التى كان يحصل عليها لقاء تفرغه.

ومهما كان الأمر، يحق لنا أن نتساءل: من أين جاءت تلك الأموال التى أنفقت على تغطية نفقات قسم النشر. التى استخدمت لإصدار المجلات العلنية والنشرات السرية، وكذلك لتغطية مكافآت الإحتراف؟! إن هنرى كورييل يتجاهل هذه المسألة تماماً سواء فى سيرته الذاتية أو التقريرين الذين أعدهما عن تطور الحركة (رقم 2، 3 من مجموعة الوثائق)، رغم أن قوى الرجعية كانت تتهم الحركة الشيوعية المصرية - ومازالت- بالإعتماد على التمويل الخارجى. إن إلقاء الأضواء على مصادر تمويل نشاط الحركة المصرية للتححر الوطنى كان من الضرورة بمكان. فهل قدم كورييل هذه الأموال؟ لقد كان مرتبه من عمله بالمصرف الخاص بوالده أربعين جنيهاً شهرياً، وكانت زوجته روزيت تعمل مقابل إثنى عشر جنيهاً شهرياً (كما يذكر جيل بيرو)، كما أن الحركة كانت تضم فى عضويتها عمالاً بنسبة 50% وطلاباً بنسبة تقترب من 40%، ولم تكن أحوال العمال المادية خلال الحرب العالمية الثانية تسمح لهم بدفع إشتراكات عضوية للحركة بشكل منتظم، كما كان الطلاب يجندون من بين "أشد الطبقات بؤساً" على حد قول هنرى كورييل، فهل قام دانييل كورييل -والد هنرى- بتمويل الحركة، وهو المصرفى المرابى الذى يعيش على إمتصاص دماء الفلاحين، والذى كان يعد ولده هنرى خائناً لطبقته؟ إن ذلك أمر مستبعد تماماً ويتنافى مع المنطق، فمن أين أتى هنرى كورييل بالأموال التى غطت كل هذا النشاط؟ سؤال سيظل مطروحاً دون إجابة وسيظل يلاحق هنرى كورييل حتى منفاه فى باريس، ولن يكون السؤال مقصوراً علينا، بل سيكون موضع إهتمام الحزب الشيوعى الفرنسى نفسه الذى كان ينظر بعين الشك إلى مصدر تمويل "مجموعة روما" التى كونها هنرى كورييل، وهو ما سنعود إليه فيما بعد.

إن البحث عن إجابة لهذا السؤال بالنسبة لأسكرا أسهل بكثير، فقد كان معظم كوادرها من أبناء الأثرياء الأجانب والمصريين على السواء، الذين باستطاعتهم أن يدفعوا بصورة مستمرة إشتراكات "سخية" للتنظيم، ويذكر هنرى كورييل شيئاً من هذا عندما يتحدث عن تحسن الأحوال المالية بعد الوحدة وتكوين "الحركة الديمقراطية للتححرر الوطنى" فى مايو 1947، عندما يشير إلى زيادة مكافآت المحترفين بعد الوحدة بفضل ما أضافته "أسكرا" إلى ميزانية الحركة، ولكن يصعب العثور على إجابة له بالنسبة للحركة المصرية للتححرر الوطنى قبل الوحدة.

وعلى كل، عندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عام 1945، كانت الساحة السياسية فى مصر تعج بالنشاط، فقد أثبتت الحرب أن معاهدة "الشرف والاستقلال" التى أبرمتها مصر مع بريطانيا عام 1936، بعيدة كل البعد عن هاتين الصفتين، فقد ألقت على مصر أعباء حرب لا مصلحة لها فيها، وعرضتها لأخطار الدمار، وأضرت بإقتصادها، وأصابته بداء التضخم، وبذلك أجمعت كل القوى السياسية فى مصر -على إختلاف توجهاتها- على ضرورة إعادة النظر فى العلاقات المصرية البريطانية وصولاً إلى الاستقلال التام وتحقيقاً لجلاء القوات البريطانية عن مصر.

وكانت الطبقة العاملة المصرية تموج بالحركة الدائبة للمطالبة بتحسين ظروف العمل وشروطه، فلم يشف قانون الإعراف بالنقابات -الذى أصدرته حكومة الوفد عام 1942- غليل الطبقة العاملة المصرية، لفرضه القيود على نشاط النقابات وإخضاعها للرقابة الإدارية، فضلاً عن حرمان الطبقة العاملة المصرية من إقامة "إتحاد عام لنقابات العمال" يعبر عن مصالح الطبقة العاملة ويقود نضالها فى مواجهة رأس المال. كذلك كانت تشريعات العمل القليلة التى صدرت فى الثلاثينيات والأربعينيات دون آمال الطبقة العاملة المصرية بكثير، وجاء تسريح عمال ورش الصيانة العسكرية التى أقامها الحلفاء فى مصر خلال الحرب ليحرم عشرات الآلاف من العمال من حق العمل، وليزيد من حدة مشكلة البطالة التى نجمت عن كساد بعض الصناعات التى إزدهرت خلال الحرب.

كانت الحركة السياسية فى إطار تلك الظروف الموضوعية -إذن- تتفجر كالبركان، شقت حناجر الشباب فى المظاهرات التى راحت تطالب بالاستقلال التام أو الموت الزؤام، ونهض العمال لمشاركة الطلاب فى الحركة الوطنية، فضلاً عن نضالهم المستميت من أجل إقامة إتحاد للنقابات، وإصدار تشريعات العمل.

خلق ذلك كله مناخاً ملائماً للحركة الشيوعية المصرية للعمل بين صفوف الجماهير، وإذا كانت "تحرير الشعب" قد استقطبت بعض القيادات النقابية العمالية، و"أسكرا" قد استقطبت بعض الطلبة، فإن "الحركة المصرية للتححرر الوطنى" تحركت بين صفوف الطلبة والعمال بقدر ملحوظ من النجاح بفضل الكوادر التى عملت تحت رايتها، كما كان لها وجود بالجيش، إتسع بعد الوحدة ليضم بعض الضباط الأحرار (أحمد حمروش، يوسف صديق، خالد محيى الدين).

وكان لابد للحركة المصرية للتححرر الوطنى من أن تحدد موقفها من القضية الوطنية، فأيدت المطالبة بجلاء القوات البريطانية عن مصر وإلغاء معاهدة 1936 وإتفاقية الحكم الثنائى

الخاصة بالسودان (1899)، وتبنت مبدأ "النضال المشترك ضد العدو المشترك" الذى يجمع بين المصريين والسودانيين من أجل تحقيق الاستقلال الوطنى، على أن يكون للسودانيين حق تقرير المصير بالوحدة مع مصر أو الاستقلال التام. وقامت الحركة بالتطبيق العملى لمبدأ تقرير المصير، فتم فصل القسم السودانى عن الحركة ليكون الحركة السودانية للتحرر الوطنى (حستو) التى كانت نواة الحزب الشيوعى السودانى وكان الموقف من السودان "أول سباحة ضد التيار" العام للحركة السياسية المصرية (على حد تعبير هنرى كورييل)، فقد كانت جميع القوى السياسية فى مصر تطالب بوحدة وادى النيل تحت التاج المصرى، وسوف يكون الموقف من القضية الفلسطينية "ثانى سباحة ضد التيار" على نحو ما سنرى. ويعتبر هنرى كورييل قبول ثورة يوليو بمبدأ حق تقرير المصير للسودانيين دليلاً على تأثير الضباط الأحرار بموقف الحركة المصرية للتحرر الوطنى، وعلى سلامة موقفها من القضية السودانية.

وثمة موقف آخر للحركة المصرية للتحرر الوطنى اختلفت فيه -هذه المرة- مع المنظمات الشيوعية الأخرى، هو الموقف من جامعة الدول العربية، وفكرة "الوحدة العربية" ذلك الموقف الذى جعل بعض المنظمات الشيوعية تصم الحركة المصرية بالعمالة للإمبريالية، نظراً للدور الذى لعبته بريطانيا فى تأسيس "جامعة الدول العربية". وكانت وجهة نظر الحركة المصرية أن "الوحدة العربية" حقيقة لا بد من الاعتراف بها، ومن ثم كان تأييدها لجامعة الدول العربية، وجعل "وحدة الشعوب العربية" هدفاً من أهدافها السياسية، من منطلق أن موقف بريطانيا من تأسيس الجامعة يستند إلى واقع ملموس، والإعتراف على الجامعة العربية لمجرد أن بريطانيا ساعدت على قيامها، نوع من قصر النظر السياسى ويأسف هنرى كورييل لعدم قيام الحركة المصرية للتحرر الوطنى بإصدار نشرة عن الوحدة العربية بسبب عدم توافر الإمكانيات المادية والسياسية، وخاصة عدم وجود صلات مع الأحزاب الشيوعية الدولية، التى "كانت جميعاً تحقرنا باستثناء الحزب الشيوعى اللبنانى" على حد قول هنرى كورييل.

وبالنسبة لقضية العمال، ناصرت الحركة المطالبة بتأسيس إتحاد عام للنقابات، واستطاعت إجتذاب بعض الكوادر النقابية الهامة التى تعمل فى هذا الإتجاه، كما ناصرت المطالب الخاصة بتشريع العمل، وطالبت بحل مشكلة عمال ورش الصيانة العسكرية المسرحين والقضاء على البطالة.

وحاولت الحركة المصرية للتحرر الوطنى أن تدخل غمار العمل الوطنى ضد الوجود البريطانى فى مصر عشية إنتهاء الحرب، ظناً منها أن باستطاعتها إمتلاك زمام المبادرة فى هذا المجال، فإنتهزت فرصة بدء العام الدراسى، وقامت بتوزيع عشرين ألف نسخة من منشور موجه إلى طلاب الجامعة (فى 6 أكتوبر 1945)، ومنشوراً آخر موجه إلى العمال والجنود يطالب بالخروج للنضال ضد الإمبريالية. وكانت الحركة تظن أن باستطاعتها إمتلاك زمام المبادرة على الساحة السياسية بين صفوف الطلبة والعمال، ولكنها أدركت أنها -والحركة الشيوعية معها- أعجز من أن تقود بمفردها نضالاً فعالاً من أجل تحقيق المطالب الوطنية، فلم يستجب الطلبة والعمال لدعوة الحركة، وخاصة أن "الوفد" ظل يتمتع بقدرة أكبر على تحريك الطلبة على وجه الخصوص. لذلك دعت الحركة إلى عقد مؤتمرات

جماهيرية، لقيت استجابة من يسار الوفد (الطلبة الوفدية) الذى لعب دوراً كبيراً فى تعبئة الطلبة للنضال الوطنى بالتعاون مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى، فتكونت لجان تنفيذية للطلاب ضمت طلبة الجامعة والمدارس الثانوية والأزهر، وأخرى للعمال تركزت فى شبرا الخيمة (ديسمبر 1945)، ثم أسفرت هذه الجهود عن تشكيل قيادة جديدة للعمل الوطنى فى صورة جبهة وطنية ضمت ممثلين للوفد والإخوان المسلمين والحركة الشيوعية فيما عرف بإسم "اللجنة الوطنية للعمال والطلبة" (يناير 1946)، ثم ما لبث أن إنسحب الإخوان المسلمون من اللجنة وكونوا مع بعض العناصر الأخرى "اللجنة القومية للعمال والطلبة" التى ناصرت حكومة صدقى، وحاولت شق الجبهة الوطنية ممثلة فى "اللجنة الوطنية للعمال والطلبة" التى لعبت دوراً رئيسياً فى قيادة وتوجيه النضال الوطنى عام 1946.

ومن الملاحظ أن هنرى كورييل يبالغ فى تقدير حجم الدور الذى لعبته منظمته فى "اللجنة الوطنية للعمال والطلبة" فهو يؤكد أن الحركة المصرية للتحرر الوطنى كانت المحرك الرئيسى لنشاط اللجنة، وأنها كانت وراء إنضمام العمال إلى الطلبة، كما لعبت الدور الأساسى فى توجيه نشاطها، وأن المنظمات الشيوعية الأخرى شاركت فى الحركة على استحياء. والحق أن "اللجنة الوطنية للعمال والطلبة" كانت جبهة وطنية ضمت قيادات جديدة إنتخبت على أساس ديمقراطى من شباب العمال والطلبة الذين كفروا بالقيادات الحزبية البورجوازية التقليدية، وقد مثلت فى اللجنة مختلف الإتجاهات السياسية والأيدولوجية، فقد كان التحرر الوطنى مطلباً عاجلاً حتم تكوين الجبهة الوطنية، وإذا كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى قد دعت لتكوين تلك الجبهة وشاركت فيها، وكان لكوادرها من الطلبة والعمال دور هام فى نشاطها، وكان الطالب السودانى (محمد على) الذى سقط برصاص البوليس من كوادرها، فإن ذلك لا يدعو إلى التقليل من دور ممثلى الإتجاهات الأخرى التى إنضمت للجبهة وخاصة "الطلبة الوفدية".

ورغم مبالغة هنرى كورييل فى تقدير حجم الدور الذى لعبته منظمته -على وجه الخصوص- والمنظمات الشيوعية الأخرى فى "اللجنة الوطنية للعمال والطلبة" نجده يتناقض مع نفسه بعد قليل عندما يعزو إنهيار اللجنة إلى "ضعف الحركة الشيوعية وعجزها عن التخلص من هذا الضعف من خلال المد الثورى". ولكنه يشير إلى الدور الذى لعبته المجموعات الماركسية المختلفة: الحركة المصرية للتحرر الوطنى، واسكرا، وتحرير الشعب، والفجر الجديد فى تشكيل لجنة للتنسيق بين هذه المنظمات فى الأوساط الطلابية والعمالية، ونجاحها فى المشاركة فى تأسيس إتحاد طلابى "جبهوى" يضم طلاباً من مختلف الإتجاهات السياسية بإسم "إتحاد الطلاب المصريين".

كذلك لعبت كوادر الحركة المصرية للتحرر الوطنى، والفجر الجديد، وتحرير الشعب، دوراً هاماً فى تأسيس "مؤتمر نقابات عمال مصر" الذى كان بمثابة إتحاد عام للنقابات العمالية تحت إسم "مؤتمر" تفادياً من الوقوع تحت طائلة القانون الذى يحرم إقامة إتحاد عام للنقابات.

ولكن من الملاحظ أن الحركة الشيوعية المصرية الموزعة بين عدة تنظيمات -فى ذلك الوقت- كانت أشد إهتماماً بتوثيق الصلات بالمنظمات الجماهيرية الشيوعية الدولية، منها

بالنضال بين صفوف الجماهير المصرية، ولعل ذلك يرجع إلى إلحاحها فى الحصول على إقرار بالحرارة الشيوعية الدولية، ليس بها جميعاً، وإنما بأحدها كحزب شيوعى مصرى، وهى جهود باءت دائماً بالفشل. من ذلك حرصها على إيفاد ممثلين لإتحاد الطلاب المصريين (من بين كوادرها) إلى مؤتمر "جمعية الطلاب الدولية" عام 1946، وكذلك مندوبين (من بين كوادرها النقابية) للإشتراك فى مؤتمر "الإتحاد العالمى للنقابات" عام 1947. وفى كل الأحوال، كانت المنظمات الشيوعية تتصارع فيما بينها لإيفاد مندوبين من كوادرها دون غيرهم، وفى الحالتين كانت الحركة المصرية واسكرا (الأقدر مالياً) تتجحان فى إختيار مندوبين لكل مؤتمر يختاران من بين كوادرها كل من المنظمات.

وبين المنظمات الشيوعية المتصارعة، كانت "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" أقرها على العمل الجبهوى، فأعدت -فى نهاية عام 1946- مشروعاً لميثاق وطنى للطلاب يحدد الأهداف الوطنية ويتعهد بالنضال من أجل تحقيقها، تقدمت به إلى لجنة التنسيق بين المنظمات الشيوعية، وتولى "إتحاد الطلاب المصريين" عرضه على شباب الأحزاب المختلفة، فحظى بموافقتهم جميعاً فيما عدا الإخوان المسلمين، وطبع الميثاق ووزع حاملاً توقيعات ممثلى الهيئات السياسية التى وافقت عليه. كما كانت الجماعات الشيوعية تعمل بين صفوف طلاب الجامعة بتنسيق تام مع شباب الوفد (الطلبة الوفدية).

كان النضال السياسى للجماهير المصرية عام 1946 موجهاً ضد الإمبريالية وضد سوء الأحوال الإجتماعية الناجم عن غياب السياسات الإجتماعية للحكومات المتعاقبة -سواء الحزبية منها أو غير الحزبية- وضد مشروع صدقى- بيفن لتسوية العلاقات المصرية البريطانية بصورة لا تحقق الأمنى الوطنية فى الاستقلال التام والجلء. وإذا كانت حكومة صدقى قد تسامحت مع المظاهرات -فى بداية الأمر- فإن إحساسها بدقة التنظيم وبخطورة قيادة "اللجنة الوطنية للعمال والطلبة" للعمل الوطنى، جعلها تدرك خطورة ترك الحبل على الغارب للقوى الوطنية. وعبثاً حاولت أن تستخدم الإخوان المسلمين وبعض القوى السياسية الرجعية ضد القيادة الوطنية الجديدة. فلم تجد مفرأ من إعتقال العناصر الوطنية النشطة.

وفى ليلة 11 يوليو 1946 ألقى صدقى باشا القبض على أكثر من مائتى شخص من الكتاب والصحفيين والقيادات الطلابية والعمالية بتهمة تدبير مؤامرات تخريبية، كما قام بإغلاق الجمعيات والصحف التقدمية، وبعد ذلك بقليل قدمت الحكومة للنيابة نحو مائة متهم فيما عرف بقضية "المؤامرة الشيوعية الكبرى" كانوا يمثلون خليطاً من الشيوعيين القدامى (المعروفين للبوليس السياسى) الذين أوقف الكثير منهم نشاطه، وشباب الطلبة الوفدية، وبعض العناصر التقدمية الأخرى، وكان هنرى كورييل هو المتهم الأول فى هذه القضية، وصدرت أخبار اليوم تحمل صورته بقامته المديدة النحيفة وسرواله القصير وتحمل عناوين مثيرة عن "المليونير الشيوعى.. زعيم الحركة الشيوعية فى مصر".

كان ذلك هو الإعتقال الثانى لهنرى كورييل، ولم يعتقل معه من كوادرها "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" سوى خمسة أفراد ممن لهم نشاط سابق، من بينهم عبده ذهب، وكان ذلك يعنى أن كوادرها الحركة لم تكن معروفة للشرطة، مما جعل هنرى كورييل يزهو بالضوابط الأمنية فى منظمته.

وخلال تحقيقات النيابة إكتشف كورييل أن التهم الموجهة إليه تهم عامة، كنشر وتداول الكتب التى تعرض "الهيئة الإجتماعية" للخطر، ولم يكن من بين هذه التهم إقامة تنظيم شيوعى، لذلك شعر بالإطمئنان، وراح يستفيض فى الإجابة على أسئلة النيابة حول الشيوعية. وما لبثت النيابة أن أفرجت عن جميع المحبوسين بكفالة مالية على ذمة "قضية المؤامرة الشيوعية الكبرى" بعد بضعة أسابيع وكان ترتيب هنرى كورييل قبل الأخير عند الإفراج عن المحبوسين، أما الأخير فكان لطف الله سليمان. وبعد ذلك بعشرين شهراً قضت محكمة الجنايات ببراءة هنرى كورييل، مما جعله يطمئن إلى قدراته التنظيمية، وسلامة خط النشاط السياسى العلنى الذى إتبعه.

وعلى كل، كان التنسيق بين المنظمات الشيوعية من خلال العمل بين صفوف الطلبة والعمال –على ما يبدو– مقدمة لإذابة الجليد بين المنظمات المتصارعة، ودافعاً للتفكير فى وحدة المنظمات الشيوعية فى تنظيم واحد، وخاصة أنها جميعاً فشلت فى كسب إعراف الحركة الشيوعية الدولية بأى منها كحزب شيوعى مصرى، بينما كسبت جميعاً "إحتقار" الأحزاب الشيوعية الدولية (بإعتراف هنرى كورييل) التى ضاقت ذرعاً بصراع المنظمات الشيوعية المصرية مع بعضها البعض، وكانت تتصح دائماً بالوحدة.

كانت هناك عدة منظمات شيوعية عندما بدأ التفكير فى الوحدة عام 1947. فهناك بالإضافة إلى الحركة المصرية للتحرر الوطنى واسكرا، الفجر الجديد، والطلیعة، والقلعة، والحزب الشيوعى لشعبى وادى النيل (وكان يطلق عليه الحزب الشيوعى لمصلحة الضرائب لأن جميع أعضائه المحدودين كانوا يعملون بها)، وهناك المنظمة الديمقراطية الشعبية (د.ش) وشرادم أخرى من المنشقين عن المنظمات الرئيسية كونوا مجموعاتهم الخاصة بهم مثل "العصبة الماركسية" وغيرها. إنقسام شديد، وصراع، وكراهية، وتبادل إتهامات بالإنتهازية والبوليسية والعمالة، وغير ذلك من نعوت فاضت بها نشرات تلك الجماعات المتعددة التى ضمت مصريين وأجانب، أو مصريين فقط. غير أن التفكير فى الوحدة لم يدر بخلد هذه المنظمات معاً، بقدر ما كان هاجساً من هواجس "الحركة المصرية للتحرر الوطنى (حمتو) واسكرا" اللتين قررتا الوحدة (فى مايو 1947) لتكونا "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى".

مولد الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حمتو)

كانت الفترة التى سبقت الوحدة بين "حمتو" و"اسكرا" قد شهدت "إتحادات" جزئية، فقد انضم إلى "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" جزء من تنظيمى "تحرير الشعب" و"القلعة"، وأتاح ذلك لحمتو أن تكسب كادراً هاماً عمل بين الضباط الأحرار هو أحمد حمروش الذى جاء من تنظيم "القلعة" (الذى سمي بذلك الاسم لأن معظم أعضائه كانوا يقيمون بحى القلعة)، بينما انضم بقية أعضاء "تحرير الشعب" و"القلعة" إلى "اسكرا" ونجحت الأخيرة فى ضم قطاع الأسكندرية من تنظيم "الطلیعة" إليها. وخلال مفاوضات الوحدة، سارعت اسكرا – على حد زعم هنرى كورييل – برفع جميع المرشحين إلى مرتبة العضوية لتزويد من عدد أعضائها، وعندما تمت الوحدة، قدمت "اسكرا" تسعمائة عضو، على حين قدمت "حمتو" خمسمائة عضو، ويزعم هنرى كورييل أن "اسكرا" بالغت فى رقم

عضويتها، وأنه إكتشف – بعد الوحدة– وجود أسماء وهمية، وأسماء أخرى وردت بقائمتى المنظمتين، وبذلك يمكن القول أن "الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى" (حدثو) كانت تضم عند الوحدة نحو الألف عضو، كانت نسبة الأجانب بينهم حوالى 26%، والعمال حوالى 28%، والطلبة حوالى 20%، والشباب 6%، والمتقنين 14%، أما الجيش والأزهر والسودانيون فكانت نسبتهم حوالى 2% لكل منهم (وجاءوا جميعاً من حمتو). وبذلك كان المثقفون والأجانب (وجاءوا من اسكرا). يمثلون 40% من أعضاء حدثو، مما سيكون له أثره البالغ فى إبراز التناقضات داخل المنظمة الجديدة التى كانت تهىئ نفسها لتصبح "الحزب الشيوعى المصرى" رغم النسبة المتواضعة للعمال بين أعضائها.

ويلاحظ أن ما تم فى مايو 1947 كان "إتحاداً" لا "وحدة" للمنظمتين، فلم تقم أى منهما بحل نفسها للإندماج فى الأخرى، بل إحتفظت بتنظيماتها الأساسية دون تغيير تعمل تحت إشراف هيئات أعلى إتحادية، ووزعت مقاعد اللجنة المركزية العشرة بالتساوى بين المنظمتين. وبذلك مثل الحركة المصرية للتححر الوطنى خمسة هم: يونس (هنرى كورييل)، وحميدو (محمد شطا)، وبدر (سيد رفاعى)، وعلام (على كامل)، وشوقى (كمال شعبان) وبذلك قدمت حمتو ثلاثة عمال إلى اللجنة المركزية. أما مقاعد اسكرا فشغلها: عادل (عبد المعبود الجبيلى)، وسليمان (شهدى عطية الشافعى)، وعباس (عبد الرحمن الناصر)، وشديد (غير معروف) بالإضافة إلى شندى (هلال شوارتز). وبذلك لم تستطع اسكرا أن تقدم إلى اللجنة المركزية أى كادر عمالى.

وأصبح "قطاع الأجانب" منظماً على أساس الجاليات، فهناك قسم يونانى، وآخر أرمنى، وثالث إيطالى يضم العديد من اليهود. وبذلك إنزوى الأجانب الذين لم يكن لهم باللجنة المركزية سوى يونس وشندى، ولما كانت جميع "القوميات" ممثلة فى التنظيم الجديد، فقد تمت الموافقة على إقتراح هنرى كورييل بإتخاذ إسم "الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى" للتنظيم الجديد.

ولا نريد الخوض فى التفاصيل التنظيمية التى أوردها هنرى كورييل فى "سيرته الذاتية" (رقم 1) وتقريره عن مراحل الصراع داخل حدثو (رقم 3)، فنحن لا نملك مصادر أخرى تتيح لنا فرصة مناقشة المعلومات التى أوردها، ولعل نشرها كما هى يشجع آخرين ممن شاركوا فى هذه التجربة على تقديم "شهاداتهم". ولكن ما يهمنا هنا إبراز حصاد تجربة الوحدة الأولى فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية المعاصرة.

كان أول رد فعل لقيام "حدثو" نتيجة وحدة الحركة المصرية للتححر الوطنى واسكرا، قيام التنظيمات الماركسية الأخرى بتكوين "كتلة المعارضة" التى ضمت "العصبة الماركسية" و"الفجر الجديد" و"الحزب الشيوعى لشعبى وادى النيل" (حزب مصلحة الضرائب)، وما تبقى من "تحرير الشعب"، وذلك للنضال "ضد حدثو" التى تمثل "الفاشية والإمبريالية والصهيونية"، وقد أدت حملة كتلة المعارضة "ضد حدثو" إلى خروج بعض الأفراد من التنظيم وإضمامهم إلى "العصبة الماركسية".

وعلى صعيد "حدثو" كان التنسيق تاماً بين المنظمتين المتحدتين (حمتو، واسكرا) لمدة لا تزيد على أربعة شهور، رغم شعور الأعضاء من العمال "بالإغتراب" بين صفوف المثقفين

والأجانب الذين جلبتهم الوحدة، ومواجهة ذلك من جانب اسكرا بمحاولة تحويل العمال إلى مثقفين عن طريق تكريس التدريب النظرى لهم على حساب النشاط الميدانى، مما جعل هنرى كورييل يصف مواقف "اسكرا" بالإنتهازية. وخلال تلك الفترة القصيرة تغيرت اللجنة المركزية ثلاث مرات نتيجة للخلافات التى بدأت تطل برأسها، وخاصة مناداة بعض العناصر المصرية بالتخلص تماماً من العناصر القيادية الأجنبية شندى ويونس (شوارتز وكورييل).

وإذا كانت المنظمتان قد إتفقتا على الخط السياسى الخاص بالقضية المصرية، فأعلنت "حدثو" بمناسبة عرض القضية المصرية على مجلس الأمن (1947)، مطالبته بالجلء والاستقلال التام، ووضع السودان تحت الوصاية المصرية بموجب قرار من مجلس الأمن لحين إجراء استفتاء لتقرير المصير بعد جلاء الإنجليز عن السودان، فإن المنظمتين إختلفتا حول الموقف من القضية الفلسطينية. كانت الحركة المصرية للتححر الوطنى (حمتو) ترى فى المعارضة الوطنية المصرية لتدفق اليهود على فلسطين نوعاً من "العداء للسامية" وفى مقاومة الصهيونية درباً من دروب "الإمبريالية"، على حين كانت "اسكرا" تعمل على مقاومة الصهيونية، وشكل شوارتز "العصبة اليهودية لمقاومة الصهيونية" ولكن معارضة حمتو، والأعضاء اليهود بالحركة، أدت إلى حل العصبة بعد أسابيع قليلة من تأسيسها.

نقطة خلاف أخرى حول "مدرسة الكوادر"، فقد لعب المثقفون من كوادر "اسكرا" دوراً هاماً فى تدريب العناصر العمالية بمدرسة الكوادر العمالية التى أقيمت أساساً لتقريب الفوارق الثقافية (من الناحية النظرية) بين العمال والمثقفين. فسرعان ما اجتذبت "اسكرا" العناصر العمالية التى تخرجت من مدرسة الكوادر مما كان له أثره فى تحديد المواقف عندما إحتدم الصراع بين المنظمتين.

وبنهاية فترة "شهر العسل" كما يسميها كورييل، أخذت الإنقسامات تطل برأسها، فرغم تأكيد الرفيق يونس (هنرى كورييل) - فى الخط السياسى الذى قدمه للجنة المركزية وحظى بموافقتها - على "التعميل" أى توسيع قاعدة العضوية العمالية لحدثو، و"التمصير" أى تمصير القيادة، إلا أنه لم يفهم أن التمصير يعنى تخليه وشندى (هلل شوارتز) عن قيادة الحركة، وإعتبر مطالبة العناصر المثقفة المصرية له بالتخلي عن القيادة نوعاً من "الشوفينية".

وهكذا بدأت "حدثو" تنفجر من الداخل، المنظمة التى أقيمت للقضاء على الإنقسام، وتهيئة الظروف لإقامة "حزب شيوعى مصرى" يحظى بإعتراف وإحترام الحركة الشيوعية الدولية، خرجت منها إنقسامات جديدة كونت تنظيمات أخرى. وهكذا ظهرت منظمة "نحو منظمة بلشفية" و"صوت المعارضة" إلى جانب تكتل المثقفين المصريين المطالب بتمصير القيادة، وأطلق عليه "العادلون" نسبة إلى "عادل" (عبد المعبود الجبيلى) الذى تزعم هذه المجموعة. وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الصراع الداخلى - الذى بلغ حد محاولة كل فريق الاستيلاء على قسم النشر - أن أصبحت الضوابط الأمنية مختلة تماماً، كما أصبحت "حدثو"، مخترقة من جانب البوليس السياسى، وتجلى ذلك فى حملة إعتقالات مايو 1948

بعد إعلان الأحكام العرفية بمناسبة حرب فلسطين، فسقط كوادر حدثو فى أيدي البوليس، وسيقوا إلى معسكر الإعتقال فى الهاكستب.

وبعد الإعتقال، حسمت الجماعات المنقسمة على "حدثو" موقفها، فكون "العادليون" تنظيمًا خاصاً بهم أطلقوا عليه إسم "الحركة الديمقراطية للتححرر الوطنى - عمال ثوريون" (ع . ث)، وشكل شوارتز تنظيمًا مستقلاً بإسم "نحو حزب شيوعى مصرى" (نحشم)، وإنضم إنقسام "نحو منظمة بلشفية" إلى "صوت المعارضة". وظل ما بقى من "حدثو" يعمل بنفس الإسم حتى يونيو 1953، عندما تزعم بدر (سيد رفاعى) إشقاقاً جديداً بإسم "الحركة الديمقراطية للتححرر الوطنى - التيار الثورى" (ت . ث) وكان ذلك بعد ثلاث سنوات من طرد هنرى كورييل من مصر، وإن كان خروجه من مصر لا يعنى إنقطاعه عن متابعة نشاط "حدثو" والمشاركة فيه، على نحو ما سنرى.

ووسط ذلك الخضم الهائل من الصراعات، كان هنرى كورييل "يجمع كل شيء فى يده، وكان الوحيد الذى يملك كل المعطيات" -على حد قول ايمى ستون لجيل بيرو- بل إن كورييل يذكر فى ختام تقريره عن الحركة (رقم 2) أنه "يتحمل وحده المسئولية" الكاملة عن عدم إدراك السلبيات التى ترتبت على تجربة الوحدة عام 1947 - 1948، ومن ثم كان مهيمناً على قيادة الحركة، متشبثاً بموقعه، رافضاً ضرب المثل لمبدأ "التمصير" بترك موقعه لقيادة مصرية.

من ذلك أيضاً، موقف حدثو من القضية الفلسطينية، فقد جاء هذا الموقف تعبيراً عن قناعات هنرى كورييل نفسه الذى وقف -فى بداية الأمر- إلى جانب إقامة دولة عربية - يهودية واحدة فى فلسطين، وكان يحتفظ بصلات وثيقة مع رجال الفيلق اليهودى (الصهاينة) خلال الحرب العالمية الثانية، وتعاون معهم فى توزيع المطبوعات على الأسرى الألمان والإيطاليين، وأشاد بهم فى مذكراته (سيرته الذاتية)، و"بشجاعتهم"، وإستاء لعدم إسناد الإنجليز مهام قتالية إليهم خشية تحسين قدراتهم العسكرية (التي كانت تستخدم ضد العرب طبعاً)، وكذلك رأيناه يعمل على إحباط النشاط اليهودى المعادى للصهيونية فى مصر، ويتهم ذلك النشاط بالمعاداة للسامية ومن ذلك أيضاً وصفه لحرب فلسطين عام 1948 "بالحرب الإمبريالية الظالمة ضد دولة إسرائيل".

وعندما صدر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، أيدت "حدثو" قرار التقسيم، لأنه نابع من الموقف السوفييتى وقبلت بقيام دولة إسرائيل، ولم تشاركها فى ذلك منظمات شيوعية مصرية ولا عربية أخرى فيما عدا الحزب الشيوعى العراقى، ولعل ذلك يفسر إتهام أعداء حدثو لها -فى غضون تلك الأيام- بالفاشية والصهيونية، فقد كان موقف حدثو من القضية الفلسطينية يتناقض تماماً مع مفهوم "التحرر الوطنى" الذى ظلت تتبناه، ولا يتفق مع تبنيها لهدف "الوحدة العربية" الذى يفخر به هنرى كورييل، فكيف تتحقق الوحدة العربية مع وجود الكيان الصهيونى فى قلب الوطن العربى!؟

وفى المعتقل عام 1948، كان هنرى كورييل وثيق الصلة بالمعتقلين الصهاينة من اليهود المصريين، يتعاون معهم تعاوناً تاماً، رغم أنه رفض أن يفرج عنه ضمنهم تطبيقاً لأحد بنود إتفاقية رودس الخاصة بالهدنة، والتي كانت تقضى بإخلاء سبيل المعتقلين اليهود وترحيلهم

إلى إسرائيل، كان كورييل يعتقد أن له دوراً لا بد أن يلعبه على مسرح السياسة المصرية، وخروجه إلى إسرائيل يفقده مصداقيته، ويحرمه من صلاته بمصر، لذلك رفض أن يقبل الإفراج والرحيل إلى إسرائيل، حتى لا يكون مديناً بحريته الشخصية لهزيمة الجيش المصرى، على حد تعبيره.

وقد ظل الموقف من إسرائيل موقفاً ثابتاً عند هنرى كورييل، فرغم "تعاطفه" مع موقف مصر خلال العدوان الثلاثى عام 1956، إلا أننا نجده يلعب دور همزة الوصل بين العناصر الصهيونية الموجودة بالسجون المصرية. وأسرهم فى إسرائيل من خلال إحدى كوادر حدثو الموجودة بالسجن (انظر رقم 5 من الوثائق) بل نجده يصدر مذكراته بالدفاع الحار عن الدور الذى لعبه اليهود فى الحركة الشيوعية المصرية، ويتهم من يثيرون الشكوك حول هذا الدور بمعاداة السامية (نفس المقولات التى إعتاد الصهاينة على ترديدها) وظل حتى وفاته فى 1978 يعمل من أجل سلام عربى - إسرائيلى يحقق التعايش بين العرب والدولة العبرية دون أن يوجه إنتقاداً للسياسات العدوانية التوسعية لإسرائيل. وإن كان قد لعب دوراً هاماً فى الحوار بين الفلسطينيين والحزب الشيوعى الإسرائيلى، كما كانت له صلات وثيقة مع عصام السرطاوى الذى دفع حياته فيما بعد ثمناً لإتصاله بالتقدميين الإسرائيليين (باسم منظمة فتح).

طرد هنرى كورييل من مصر

قبل معظم الشيوعيين اليهود الذين إعتقلوا بمعسكر هاكستب عام 1948، أن يفرج عنهم تنفيذاً لشروط هدنة رودس، وأن يغادروا مصر، فقد أدركوا أن قيام إسرائيل قد أغلق الطريق أمام إمكانية متابعة العمل بمصر، بل إن هنرى كورييل نفسه إعترف بأن الشيوعيين اليهود المصريين قد أدوا "دورهم التاريخى" وهكذا خرج الشيوعيون اليهود من المعتقل إلى إسرائيل، وكانوا قد قرروا الذهاب إلى أحد الكيبوتزات، والنضال داخل الحزب الشيوعى الإسرائيلى غير أنهم ما لبثوا أن غادروا إسرائيل إلى فرنسا حيث إلتقوا مجدداً مع هنرى كورييل ليكونوا - كما سنرى - مجموعة روما.

خرج الجميع إذن ما عدا ثلاثة هم هنرى كورييل، وجو مالتون، وشحاتة هارون، الذين رفضوا أن يفرج عنهم لقاء مغادرتهم البلاد، وبذلك تم ضمهم إلى الشيوعيين المصريين فى المعتقل حيث ظلوا هناك حتى أفرجت حكومة الوفد عن جميع المعتقلين فى مايو 1950.

عندما خرج هنرى كورييل من المعتقل كان يفكر فى إعادة تنظيم حدثو بعد أن مزقتها محنة الإعتقال والإنقسامات، وإقامة منظمة مصرية علنية للسلام استجابة لنداء ستوكهلم ضد القنبلة الذرية، فإن إقامة فرع مصرى لحركة السلام العالمية من شأنه أن يساعد على تعبئة الشيوعيين المصريين، ويجلب العناصر التقدمية إلى الحركة، كما أن من شأنه أن يخرج الشيوعيين من عزلتهم ويتيح لهم فرصة الحصول على الإعراف الدولى بهم.

وهكذا، رغم إدراك هنرى كورييل أن الشيوعيين اليهود المصريين قد أدوا دورهم التاريخى، إلا أنه استثنى نفسه استثناء يتعارض مع المنطق، فكيف يستطيع يهودى أجنبى الأصل، مؤيداً لقيام إسرائيل، أن يستمر فى قيادة حركة شيوعية مصرية فى بلد كانت قد بلغت فيه القضية الوطنية ذروتها وبدأ العد التنازلى للكفاح المسلح ضد الوجود البريطانى،

كما أن البلاد فى "حالة حرب" من الناحية الرسمية مع إسرائيل؟! لم يستوعب هنرى كوريبيل تطورات أحداث 1948 – 1950، وظل يتوهم أن دوره لم يصبح بعد فى ذمة التاريخ، ولو بقى هنرى بمصر لأجبرته حقائق الأمور على الإنسحاب بهدوء، ولكن جاءت نهاية دوره فى مصر على يد أجهزة الأمن التى نجحت فى إبعاده عن البلاد.

وكان جواز السفر المصرى الذى يحمله هنرى كوريبيل قد سحب منه عند إعتقاله عام 1942، وأقام دعوى أمام القضاء مطالباً باستعادته، والإعتراف بجنسيته المصرية، فقضت محكمة أول درجة برفض دعواه، ولكن محكمة الاستئناف حكمت بأحقية للجنسية المصرية وبحقه فى التعويض عما لحقه من أضرار نتيجة حرمانه من جواز سفره المصرى. غير أن وزارة الداخلية المصرية طعنت فى الحكم أمام محكمة النقض، فقضت المحكمة ببطلان اكتسابه الجنسية المصرية عام 1935 على أساس أن هنرى كوريبيل لم يتخل صراحة عن الجنسية الإيطالية (رغم أن القانون الإيطالى لا يسمح بإزدواج الجنسية، وبذلك يفقد من يحصل على جنسية أخرى، جنسيته الإيطالية تلقائياً).

وفور صدور الحكم (25 يوليو 1950)، ألقى القبض على هنرى كوريبيل لطرده من مصر بإعتباره "أجنبياً خطراً على الأمن العام". وفى 24 أغسطس تم نقله إلى بورسعيد تحت حراسة مشددة، حيث أجبر على مغادرة البلاد على متن السفينة الإيطالية سورياتنو بعد أن زوده قنصل إيطاليا ببورسعيد (بتدخل من السلطات المصرية) بوثيقة سفر إلى... إسرائيل!

كانت المحطة الأولى لسورياتنو بعد مغادرتها بورسعيد هى مارسيليا، وإنتهز كوريبيل فرصة توقف السفينة بها، وهرع إلى مكتب الحزب الشيوعى الفرنسى فى المنطقة، حيث روى قصته للمسئولين هناك، فارتابوا فى القصة وصاحبها وطلبوا منه الرحيل، فعاد إلى السفينة مرة أخرى لتنتقله إلى جنوة حيث أجبر على النزول منها بالقوة (على حد قول جيل بيرو)، فقد كان يرفض مبدأ الرحيل إلى إسرائيل أو الحياة فى إيطاليا، ويصر على العودة إلى مصر.

وعندما لم يجد مفرأ من البقاء فى إيطاليا، حاول أن يحصل على تأييد الحزب الشيوعى الإيطالى، حيث قابل الرفيق ميناتو مييلى –الذى كان يعيش فى مصر كلاجئ خلال الحرب ويقصر نشاطه السياسى على الجالية الإيطالية– ولكن المسئول الشيوعى الإيطالى أبدى نفوره من كوريبيل وعدم إكترائه بموضوعه، وعاد هنرى بخفى حنين، ورغم ذلك لم يبأس كوريبيل فتردد ثلاث مرات على مكتب مييلى ليقدم تقارير حول الحركة الشيوعية فى مصر والأوضاع السياسية فى البلاد، ولكن فى المرة الرابعة أوصد باب المكتب (قسم العلاقات الخارجية) فى وجهه.

هكذا كان موقف الأحزاب الشيوعية الكبرى من هنرى كوريبيل وغيره من القيادات الشيوعية الأجنبية التى عملت فى مصر، كانت تلك الأحزاب "تحتقرهم" على حد قول كوريبيل، وترتاب فيهم دائماً، وكان الحزب الشيوعى الفرنسى ينظر إليهم بإعتبارهم "متقفين بورجوازيين، يزعمون أنهم شيوعيون، ويقضون وقتهم فى تبادل الشتائم".

ولم يطب المقام لهنرى كورييل بإيطاليا، فبعد ثلاثة شهور خيرته السلطات الإيطالية بين السفر إلى إسرائيل (حسب وثيقة السفر التي يحملها) أو مغادرة إيطاليا، ورفض الحزب الشيوعى الإيطالى - مرة أخرى - التدخل لصالحه، وأخيراً اسنطاع التسلل إلى فرنسا بجواز سفر نمساوى قامت زوجته روزيت بتزويره، وبعدها استقر فى باريس لحقت به هناك.

وفى باريس، راح يطرق أبواب الحزب الشيوعى الفرنسى، فقابل أندريه مارتى (وكان قد استضافه فى بيته عام 1943) الذى كان أحد مسئولى مكتب المستعمرات، فنصح به بطلب اللجوء إلى الإتحاد السوفييتى أو تشيكوسلوفاكيا، فرفض هنرى كورييل الفكرة حتى لا يؤدي ذهابه إلى دول الكتلة الشرقية إلى حرمانه من العودة إلى مصر. ورغم الفتور الذى قوبل به هنرى من جانب الحزب الشيوعى الفرنسى، إلا أنه واصل طرق باب الحزب عن طريق التقارير التى كان يوافى الحزب بها عن مصر، والتى كان يرسلها مع رفيقه يوسف حزان، حتى كانت قضية مارتى الذى أبعده عن الحزب عام 1952 بسبب إتصاله "بزوجين مصريين مشبوهين" فى إشارة واضحة إلى هنرى كورييل، فكانت تلك قطيعة نهائية بين الحزب ومجموعة "المصريين" كما كانت تعرف فى أوساط الحزب الشيوعى الفرنسى عندئذ.

كان كورييل وزجته قد نجحا فى التقرب إلى أندريه مارتى أثناء قدومه من موسكو فى الطريق إلى الجزائر ماراً بالقاهرة عام 1943، وورطاه فى لقاء مع قادة الجنود اليونانيين المتمردين على قوات الحلفاء، وعندما حانت ساعة الحساب حسبت هذه العلاقة على مارتى، وخاصة أن المحامى الفرنسى أندريه - فايل كورييل (ابن عمه هنرى) كان قد أدين لتعاونه مع النازية خلال الحرب. إذن كان مارتى - من وجهة نظر الحزب الشيوعى الفرنسى - على صلة بهنرى كورييل قريب المتعاون مع النازية والذى كان يقوم بنشاط مريب ضد مصلحة الحلفاء فى مصر.

ولم يكن ذلك آخر المطاف فى سلسلة الإتهامات التى وجهتها الحركة الشيوعية الدولية إلى كورييل، فقد حسبت عليه صداقته لضابط إنجليزى بالمخابرات البريطانية هو روبرت براوننج كان يعمل بمصر خلال الحرب، ويزعم هنرى كورييل بأن براوننج كان ماركسياً، وأصبح بعد الحرب عضواً بالحزب الشيوعى البريطانى، ولكن عندما أقام معه هنرى كورييل صداقة حميمة كان الرجل ضابطاً بالمخابرات البريطانية، وتبقى علامات الإستفهام حول هذه العلاقة تطارد هنرى.

وجملة القول، أصبح هنرى كورييل كالجمل الأجرى (كما تقول العرب) يتحاشاه جميع الأعضاء بالأحزاب الشيوعية الأوروبية خشية أن تحل عليهم لعنة الإتصال بهذا الشيوعى اللقيط "المشبه" ترى هل كان لدى الحركة الشيوعية الدولية ما يبرر موقفها المعادى من كورييل وجماعته حقاً؟ سؤال لا يزال يبحث عن إجابة رغم الجهود التى بذلها صاحب الكتاب "هنرى كورييل، رجل من طراز فريد" لتبرئة ساحته.

على كل لم يحفل هنرى كورييل بموقف الحزب الشيوعى الفرنسى وغيره من الأحزاب الشيوعية الأوروبية، واستمر يزاوّل نشاطه من خلال "مجموعة روما للحركة الديمقراطية للتححر الوطنى".

مجموعة روما

عادت مجموعة الشيوعيين المصريين اليهود التي خرجت من معتقل الهاكستب عام 1949 إلى إسرائيل، عادت للتجمع مرة أخرى في فرنسا، ولا ندري لذلك سبباً، ربما أحسوا بالإغتراب في الكيان الصهيونى بسبب ثقافتهم الفرنسية، ربما لأن وجودهم في فرنسا يتيح لهم صلات مستمرة مع مصر. ولكنهم -على أية حال- تجمعوا في فرنسا حول هنرى كورييل حيث كونوا عام 1951 "مجموعة روما" التي كانت تضم نحو خمسين عضواً من الشيوعيين اليهود المصريين، وابتختت المجموعة "الجنة قيادية" تكونت من هنرى كورييل وزوجته، وريمون أجيون وزوجته، والفرد كوهين، وريمون استانبولى، وارمان سيتون، وداود ناحوم، ويوسف حزان. وكان كل عضو من الأعضاء الخمسين يدفع إشتراكاً يعادل ما يتراوح بين 30% و 50% من دخله (على حد قول يوسف حزان لجيل بيرو)، واستخدمت تلك الأموال (الوفيرة) لتمويل نشاط المجموعة الذي تمثل في إصدار نشرة "أخبار مصر" بالفرنسية، وتقديم المساعدات المالية لمناضلى حدتو المعتقلين في مصر، وتغطية نفقات بعض الأعضاء الذين يوفدون إلى الخارج من حدتو لحضور المؤتمرات الدولية، فضلاً عن تغطية نفقات هنرى كورييل وزوجته اللذين تفرغاً تماماً لأعمال المجموعة، بينما حقق الأعضاء نجاحاً في أعمال التجارة والأعمال المهنية الأخرى.

ظل هنرى كورييل على صلة وثيقة بكوادر حدتو أثناء وجوده بباريس، فكان يتراسل مع بدر (سيد رفاعى) وحميدو (محمد شطا) وعاكف (محمد خليل قاسم)، كما كان على إتصال دائم مع الحركة الشيوعية السودانية من خلال راشد (عبد الخالق محجوب).

كانت كوادر حدتو بعد رحيل كورييل "الذى كان يمسك بين يديه كل الخيوط" -على حد قول أحد رفاقه- يحسون بالضيق، وخاصة أن شوقى (كمال شعبان) -الرجل الثانى فى الحركة- انسحب تماماً من العمل التنظيمى، ولذلك كانوا يرجعون دائماً إلى قائدهم المبعد "يونس" طلباً للمشورة أحياناً، وللإحتكام إليه أحياناً أخرى.

فعندما قامت ثورة 23 يوليو، كتب أحد كوادر حدتو إلى كورييل يبلغه أن الحركة تراقب الموقف، فكان رد هنرى المطالبة بالنزول إلى الشارع لتأييد الجيش، وأيد موقف حدتو المناصر للثورة. على حين ناصبت المنظمات الشيوعية المصرية الثورة العداء ووصفت رجالها "بالفاشيين" و"عصابة بنك مصر" .. إلخ، إنسجاماً مع موقف الحركة الشيوعية الدولية التي كانت تنظر بإرتياب إلى حركة الجيش المصرى وتعتقد أن وراءها أصابع المخابرات الأمريكية.

وتضمنت النشرة التي أصدرتها "مجموعة روما" بعنوان "دراسات ومعلومات حول مصر والسودان" بالفرنسية فى باريس، مقالاً طويلاً حلل فيه هنرى كورييل ما أسماه "كتلة الجيش - الشعب" وبين حقيقة التأييد الذى قدمته مختلف قوى الشعب المصرى لحركة الجيش من الطلاب إلى البورجوازية الصغيرة إلى العمال، وختم مقاله بالتعريض الواضح بموقف الحزب الشيوعى الفرنسى قائلاً: "لم تحدث (مؤامرة إمبريالية) على هذا القدر من التأييد الشعبى، إن الجماهير المصرية لا يمكن أن تكون مخدوعة إلى هذا الحد".

كانت حدثو مطمأنة على سلامة توجهات الضباط الأحرار الذين كان من بينهم بعض كوادرها الهامة من ضباط الجيش كأحمد حمروش، ويوسف صديق، وخالد محيى الدين، وكذلك القاضى أحمد فؤاد الذى كان على صلة وثيقة بعبد الناصر. ولكن المنظمات الشيوعية المصرية -التي ضبطت بوصلتها على إتجاه الحركة الشيوعية الدولية- وصمت موقف حدثو بالإنتهازية.

وجاء حادث كفر الدوار فى أغسطس 1952، الذى قدم العمال على أثره لمحكمة عسكرية قضت بإعدام المناضلين النقابيين خميس والبقرى، ليضع حدثو فى موقف بالغ الحرج، وليؤدى إلى هجوم شديد من جانب الحركة الشيوعية الدولية، والشيوعيين المصريين على "الدكتاتورية الفاشية"، وإضطرت حدثو أن تغير موقفها من الثورة 180 درجة، وإلتزمت "مجموعة روما" بالخط الجديد، فأصدرت النشرات التى تندد "بدكتاتورية الكولونيالات الفاشية"، ووزعت على المشاركين فى مؤتمر باندونج عام 1955 بيانات معادية لعبد الناصر، رغم أن مؤتمر باندونج أصبح نقطة تحول فى موقف العالم الشيوعى من النظام المصرى الجديد. ولكن ما لبث هنرى كورييل أن عاد لتأييد النظام خلال العدوان الثلاثى عام 1956، وأصدرت "مجموعة روما" النشرات التى تدافع عن وجهة النظر المصرية وتشجب العدوان.

كان هنرى كورييل يرى أن نظام عبد الناصر لا يمثل حقيقة القيادة التى تحتاجها مصر، ويعتقد أن التغيير الذى حدث فى مصر إنما جاء نتيجة إزدياد مشاركة الشيوعيين فى قيادة الجماهير الشعبية، وأن النظام يقود مصر إلى التقدم فى حدود الضغوط التى تمارسها الجماهير عليه، وأنه وإن كان يتبنى سياسة وطنية استقلالية إلا أنه يعمل لصالح الرأسمالية المصرية أساساً، كما أن النظام عاجز عن حل مشاكل مصر الإقتصادية والثقافية والإجتماعية.

كان ذلك يمثل رأى هنرى كورييل ومجموعة روما فى ثورة يوليو حتى عام 1957، وعندما ألقى النظام بالشيوعيين جميعاً فى المعتقلات، كونت مجموعة روما "لجنة الدفاع عن ضحايا الإرهاب فى مصر"، التى لعبت دوراً هاماً فى مساندة المناضلين المعتقلين، بتوجيه النداءات إلى الهيئات السياسية الدولية للإفراج عن المعتقلين، وإشراك كبار الكتاب والفنانين الفرنسيين فى شجب سياسة العنف ضد الشيوعيين المصريين، وإرسال محامين لحضور جلسات المحاكمات، كما لعبت دوراً أهم من الناحية العملية- فى مد أعضاء حدثو المعتقلين وعائلاتهم بالمعونات المالية، فضلاً عن طرود الملابس والأدوية والأغذية التى كان يتلقاها المعتقلون من المجموعة.

وعلى صعيد علاقة المجموعة بحدثو يفيض أرشيف المجموعة بالمراسلات المتبادلة بين هنرى كورييل والمنظمة فى مصر: تقارير ودراسات، وأراء تتصل بالمآزق المختلفة التى مرت بها حدثو، لعل أخرجها "قضية مارتى" وموقف الحزب الشيوعى الفرنسى من هنرى كورييل، فقد وصفت المنظمات الشيوعية المصرية المنافسة لحدثو هنرى كورييل بـ "الjasوس العالمى من طراز تروتسكى" و"الأفعى والمجرم الدنى".

جاء ذلك فى الوقت الذى كانت فيه حدثو تعاني من إنقساماً جديداً قاده بدر (سيد رفاعى) تلميذ كورييل، الذى سارع بوصف أستاذه بأنه "شخص مشكوك فيه" ويعلن بإسم "حدثو - ت . ث" تأييد موقف الحركة الشيوعية الدولية منه، "لأن يونس كان من أعمدة النزاعات اليمينية والإنحرافات"، وأعلن رفض التيار الثورى "لكل دور يلعبه يونس بإسم الحركة الشيوعية المصرية أو كممثل لها".

وعندما دارت المفاوضات بين المنظمات الشيوعية المصرية فى المعتقل لتكوين "الحزب الشيوعى الموحد" عام 1955، وشاركت فيها منظمات حدثو، وحدثو التيار الثورى، والنجم الأحمر، وطلبة الشيوعيين، ونواة الحزب الشيوعى، وطلبة العمال، والحزب الشيوعى المصرى، تقدمت عدة منظمات بإشتراط استبعاد يونس (هنرى كورييل)، ورفضت حدثو ذلك، بل نجحت فى منحه مقعداً فى اللجنة المركزية على أن تجمد عضويته فى اللجنة المركزية لحين البت فيها من الحزب الموحد، وبذلك فقدت حدثو صوتاً من أصواتها العشرة باللجنة المركزية حرصاً على هنرى كورييل ومجموعة روما، التى غيرت إسمها لتصبح "مجموعة روما للحزب الشيوعى المصرى الموحد". واستمرت تمارس نشاطها تحت هذا الإسم، وأصبحت نشرة "أخبار مصر" - التى تصدرها المجموعة بالفرنسية فى باريس - تتضمن النصوص الفرنسية والإنجليزية للبيانات والمنشورات الصادرة عن "الحزب الشيوعى المصرى الموحد". وبهذه الصفة - أيضاً - قادت مجموعة روما الحملة الإعلامية المؤيدة لحق مصر فى تأميم قناة السويس، والمنعدة بالعدوان الثلاثى على مصر عام 1956.

وعندما عادت المنظمات الشيوعية المصرية إلى التفاوض من جديد حول الوحدة (عام 1957) بعدما عصفت الأقدار بوحدة 1955، بدأ اللغط يدور حول "مجموعة روما" التى بلغها ذلك، فسارعت بالكتابة إلى الحزب الجديد تحذر من حل "المجموعة" وتبدى ولاءها للتنظيم الجديد، ولكن الوضع تغير، فلم تعد حدثو تتمسك بمجموعة روما ولا ترى مبرراً لوجودها، لذلك أصدر "الحزب الشيوعى المصرى المتحد" قراراً لحل المجموعة وفصل أعضائها ابتداء من 14 مارس 1958 وقد استجابت المجموعة لقرار الحل، واستمرت فى دعمها للمعتقلين من أعضاء حدثو مادياً ومعنوياً "حتى خروج آخر معتقل"، على حد قول رفعت السعيد.

وهكذا، لم يعرف هنرى كورييل كيف يختار الوقت المناسب لينهى دوره، فى قيادة وتوجيه الحركة الشيوعية المصرية، رغم يقينه أن "اليهود المصريين قد أدوا دورهم التاريخى"، فعاد لإحياء ذلك الدور من جديد من خلال "مجموعة روما" وكان عليه أن ينتظر اللحظة التى يطالبه فيها "الحزب الشيوعى المصرى" بالتقاعد. كان المنطق يقتضى ذلك، وخاصة أن الحزب الشيوعى المصرى كان يسعى للحصول على إعراف الحركة الشيوعية الدولية به، فكان عليه أن يتخلص من هذه المجموعة التى أثارَت شبّهات الحركة الدولية وخاصة فيما يتعلق بمصادر تمويلها، فلا شك أن مبالغ كبيرة أنفقت على مدى نحو عشر سنوات لا يكفى لتفسير مصدرها ما ذكره يوسف حزان عن تنازل خمسين من اليهود المصريين (الكرماء) عن نحو نصف دخلهم لمساعدة رفاق يعانون العذاب فى معتقلات مصر، وخاصة أن يوسف حزان يقدر المبالغ التى أنفقت على المعتقلين بنحو مليار ونصف المليار فرنك

قديم، فالنوازع الإنسانية لا تلقى وزناً في الحسابات السياسية، وخاصة عندما يتعلق الأمر بمبالغ كبيرة كهذه، من شأنها أن تثير الشكوك.

ولكن هل تقاعد كورييل؟ .. إن رجلاً من طراز هنرى الذى لا يعرف سوى التنظيم، والعمل السياسى، ما كان باستطاعته أن يتقاعد، لقد نقل إهتمامه السياسى من مصر إلى الجزائر، وأيد حركة التحرير الجزائرية واعتقل مع قادتها، وبعد نجاح الثورة الجزائرية كان من بين مستشارى أحمد بن بلال.

كذلك جعل كورييل من قضية إقامة سلام بين العرب وإسرائيل هدفاً إستراتيجياً سعى فى سبيل تحقيقه إلى استخدام علاقاته مع الحزب الشيوعى الإسرائيلى، وبعض عناصر منظمة التحرير الفلسطينية فضلاً عما قيل عن علاقاته ببعض حركات التحرير الأفريقية، وما ذكرته المصادر الفرنسية عن صلات تربطه ببعض المنظمات الإرهابية.

ورجل كهنرى كورييل، يترك الساحة المصرية مضطراً ليتحرك على هذا النطاق الواسع، لا بد أن يتقاطع طريقه مع طرق العديد من أجهزة المخابرات الدولية، التى ربما كان أحدها وراء إغتياله بعد ظهر الرابع من مايو 1978، وهو يهيم بمغادرة مصعد بيته فى باريس فى طريقه إلى درس اليوجا، ثم لقاء شخصية أعطاها اسماً كودياً "الدكتور" قيل فيما بعد أنه عصام السرطاوى.

ومهما كان الأمر، فإن الدور الذى لعبه هنرى كورييل فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ومعه تلك المجموعة من البورجوازيين اليهود، وإن أدى إلى جعل الفكر الإشتراكي مطروحاً بشكل أكثر إلحاحاً على الساحة السياسية فى مصر، وجعل الفكر الماركسى متاحاً باللغة العربية لأول مرة، (على نحو ما أشرنا من قبل) وكذلك ساعد على إعداد الكوادر المصرية من العمال والمتقنين ممن لعبوا أدواراً مختلفة القيمة والعمق فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، إلا أنه أورث الحركة الشيوعية المصرية، داء الإنقسام، والإهتمام بالحركة على الصعيد السياسى دون إعداد نظرى كاف، وغياب التحليل الدقيق للواقع المصرى، وإن كان كورييل يزعم أن حدثت توصلت لمثل هذا التحليل الذى لم يصلنا.

وبغض النظر عن الإتهامات التى كملت لهنرى كورييل على صعيد الحركة الشيوعية الدولية، ومن جانب المنظمات الشيوعية المصرية المتصارعة، فإن الحقيقة التاريخية تظل ماثلة للعيان، فقد قدم كورييل مساهمة هامة فى تاريخ الحركة تمثلت فى تأسيس أكثر التنظيمات إستمراراً، وأوضحها رؤية للواقع السياسى المصرى رغم ما عاناه ذلك التنظيم من الإنقسامات والإنشاقات، فضلاً عن كونه (حتى صدور قرار الحل عام 1965) التيار الأوسع قاعدة بين المنظمات الشيوعية المصرية.

ولعل ذلك يضيف قيمة خاصة على هذه المجموعة من الوثائق التى تلقى الضوء على تاريخ الحركة الشيوعية المصرية منذ الأربعينيات، وإن كان ذلك من وجهة نظر تنظيم معين، وقيادة بذاتها، إلا أن ذلك لا يقلل من قيمتها التاريخية ومن أهميتها.

مراجع الدراسة

- جيل بيرو: هنرى كورييل، رجل من طراز فريد، بيروت 1986.
- رءوف عباس: الحركة العمالية فى مصر 1899 – 1952، دار الكاتب 1967.
- رفعت السعيد: تاريخ المنظمات اليسارية فى مصر 1940 – 1950، دار الثقافة الجديدة 1977. منظمات اليسار المصرى 1950 – 1957، دار الثقافة الجديدة 1983. تاريخ الحركة الشيوعية المصرية 1957 – 1965، القاهرة 1986.
- Agwani, M.S.: Communism in the Arab East, Calcutta 1969.
- Bashear, S.: Communism in the Arab East 1918 – 1928, Ithaca press, London 1980.
- Laqueur, W: Communism and Nationalism in the Middle East, London 1956.

أوراق هنرى كوريبيل

هذه المجموعة من الوثائق التى أطلقنا عليها إسم "أوراق هنرى كوريبيل" جاءت من بين مجموعة كبيرة من التقارير والدراسات والمراسلات السرية، يتضمنها أرشيف "مجموعة روما للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى"، التى كونها هنرى كوريبيل والشيوعيين اليهود المصريين فى باريس، والتى أشرنا إلى جانب من نشاطها فى الدراسة السابقة، وكان هنرى كوريبيل يكتبها، ثم يدفع بها إلى زوجته روزيت فتنسخها على الآلة الكاتبة لتحتفظ بالأرشيف الخاص بالمجموعة، ثم تقوم بنسخها مرة أخرى بالحرى السرى لترسل إلى أحد كوادر حدثو بالقاهرة، إما مع أفراد يوثق بهم من بين المسافرين إلى مصر، أو مع رسل يوفدون خصيصاً لهذه المهمة مثل جويس بلو (وهى يهودية جاء والدها من أصل رومانى وأمها من أصل تونسى، أقامت أسرتها فى مصر منذ نهاية القرن التاسع عشر) التى حملها كوريبيل رسائل خاصة لحدثو فى يناير 1954، وإستمرت تعمل على خط الإتصال بين باريس والقاهرة، ثم ما لبثت أن وقعت فى أيدى البوليس وقضت عدة شهور بسجن القلعة ثم أفرج عنها بضغوط دولية، وكذلك لعبت يهودية أخرى من كوادر حدثو نفس الدور هى نعو مى كائل حتى أثناء وجودها بسجن القناطر الخيرية لمدة خمس سنوات (1954 – 1959). ورغم ذلك لم تعدم كوادر حدثو بمصر، ولا هنرى كوريبيل السبيل لتأمين خطوط الإتصال.

وكانت نتيجة هذا كله، ذلك الأرشيف الذى تحتفظ به الآن "جماعة أصدقاء هنرى كوريبيل" فى باريس، وإستطاع عدد من الباحثين الأجانب الإطلاع عليه، وإستطاع رفعت السعيد أن يطلع على بعض هذه الوثائق أيضاً. ومن الطريف أن رفعت السعيد أشار إلى إطلاعها على النص العربى لبعض هذه الوثائق بخط اليد، ورجح أن يكون كاتبها هو هنرى كوريبيل، رغم أنه من الثابت أن هنرى كوريبيل لم يتعلم العربية قراءة أو كتابة، وأنه كان يتكلم عربية عامية ركيكة. ولو كان يعرف العربية حقاً لكتب بها تقاريره التى كانت تصل إلى كوادر حدثو بالفرنسية، ثم يقوم أحد الرفاق بترجمتها إلى العربية، كما كان فى الغالب – يكلف أحد زملائه من "مجموعة روما" بترجمة بعضها إلى العربية عندما تكون المراسلة خاصة، وموجهة لشخص لا يعرف الفرنسية.

والمجموعة التى بين أيدينا والتى ننشر ترجمة عربية دقيقة لها تنقسم إلى خمسة أقسام، وهى على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للدراسات الخاصة بتاريخ الحركة الشيوعية المصرية. وتأتى فى مقدمتها "السيرة الذاتية" التى كتبها هنرى كوريبيل أثناء إعتقاله بفرنسا (أكتوبر – ديسمبر 1977) وقدم فيها "ذكرياته" عن الحركة الشيوعية المصرية حتى عام 1948، والأصل الذى وصل إلينا منسوخاً على الآلة الكاتبة من المسودات التى كتبها كوريبيل أثناء إعتقاله الثانى والأخير بفرنسا. أما القسم الثانى فيتضمن تقريراً عن نضال الحركة المصرية للتحرر الوطنى والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى منذ تأسيسها حتى إعلان الأحكام العرفية فى مايو 1948، وهو أيضاً منسوخ على الآلة الكاتبة ويحمل غلافه إشارة إلى أنه كتب فى سبتمبر – أكتوبر 1951. والقسم الثالث، يتضمن تقريراً عن المراحل الرئيسية للصراع داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى عام الوحدة (مايو 1947 – يونيو 1948)، وأصله منسوخ كذلك – على الآلة الكاتبة ويحمل إشارة إلى أنه كتب فى نهاية

1955. ومن الواضح أن التقريرين كتبوا في ظروف تاريخية معينة، فقد كتب تقرير عام 1951، عقب خروج هنرى كورييل من مصر، ربما لتستعين به القيادة الجديدة لحدتو في تحديد مراحل نضال المنظمة لأعضائها الجدد، وخاصة أنها كانت تعاني التمزق والتشتت بعد غياب هنرى كورييل وإعتكاف كمال شعبان، أما التقرير الثانى (عام 1955) فلعله كتب بمناسبة مفاوضات الوحدة التى كانت تدور بين المنظمات الشيوعية المصرية، بهدف الاستفادة من دروس وحدة 1947 – 1948.

أما القسم الرابع الذى أطلقنا عليه اسم "وثائق مجموعة روما" مجازاً فلا يتضمن "كل" الوثائق، وإنما يتضمن بعضها، وهى عبارة عن تقارير كتبها هنرى كورييل فيما بين 1951 – 1958، بإسم مجموعة روما، ولا تتضمن تلك المراسلات التى كانت تصل إلى المجموعة من مصر (والتي يذكر رفعت السعيد أنه إطلع على بعضها) لأنها لم تصل إلينا، كذلك الحال بالنسبة للبيانات والنشرات التى كانت تصدرها "مجموعة روما" فى المناسبات السياسية المختلفة، لم نتمكن من الحصول عليها أيضاً. غير أن هذه المجموعة التى يضمها القسم الرابع لها أهميتها التاريخية من حيث تحديد علاقة "مجموعة روما" بالحركة الشيوعية المصرية.

وأخيراً يتضمن القسم الخامس رسالتين شخصيتين من هنرى كورييل إلى نعمى كانل وهى يهودية غير محددة الجنسية، نشأت بمصر وكانت من كوادر حدتو، تعمل بالتدريس والعزف على الكمان، ألقى القبض عليها فى قضية "الجهة" عام 1954، وحكم عليها بالسجن خمس سنوات. ومن الطريف أن الرسالتين أرسلتا لها فى السجن، وقد رأينا نشرهما لأنهما تتضمنان رأى هنرى كورييل، فى نظام ثورة يوليو، كما تشيران إلى علاقاته بالإسرائيليين، وأصل الرسالتين منسوخ على الآلة الكاتبة ويحمل إشارة بالقلم الرصاص فى هامشه الأعلى إلى أنه موجه إلى نعمى كانل.

وفيما يلى نقدم عرضاً نقدياً لكل قسم من الأقسام الخمسة من "أوراق هنرى كورييل" أو وثائق "مجموعة روما" التى ننشرها فى هذا الكتاب.

أولاً: هنرى كورييل سيرة ذاتية:

هناك ثلاثة أنواع من المذكرات الشخصية: اليومية، وهى التى تكتبها الشخصية السياسية أولاً بأول فتضمنها رؤيتها للأحداث عند وقوعها، وهى تعد على درجة كبيرة من الأهمية التاريخية كمصدر لدراسة الدور الذى لعبته الشخصية المعنية فى الحياة العامة، لأنها أقرب إلى "المادة الخام" التى لم تتل منها يد التغيير أو التبديل أو التحريف، وغالباً ما تكون بمثابة رجع الصدى لفكر كاتبها.

والنوع الثانى هو "المذكرات" وهى التى تكتبها الشخصية السياسية بعد إنتهاء دورها فى الحياة العامة، وقد يعتمد كاتبها على يومياته يتخير منها ما يريد إطلاع الرأى العام عليه، وتتخذ – عادة – طابع التبرير لمواقفه السياسية، والتستر على السلبيات، وإبراز الإيجابيات، ومن ثم كانت أقل قيمة من "اليوميات" كمصدر لدراسة تاريخ الحقبة التى لعبت فيها الشخصية صاحبة المذكرات دورها السياسى.

أما النوع الثالث فهو "الذكريات" وهى التى تكتبها الشخصيات العامة بعد إسدال الستار على الدور الذى لعبته على المسرح السياسى، وإطفاء الأضواء، وإنصراف النظارة بوقت طويل، وفى هذه الحالة يحاول الكاتب إعتصار ذاكرته يستدعى حوادث الماضى، ثم يعرضها وقد تأثرت ببعد العهد ومضى السنين، وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى تشابك المعلومات وتداخلها، وفقدان الكثير من التفاصيل الهامة، فضلاً عن طابع التبرير والمبالغة والتحريف الذى يغلب على هذا النوع من المذكرات الشخصية، ومن هنا كانت "الذكريات" دائماً مصدراً محدود القيمة بالنسبة للمؤرخين، يتعاملون معه بحذر شديد، ويخضعون معلوماته للنقد والتدقيق.

و"السيرة الذاتية" لهنرى كورييل تنتمى إلى القسم الأخير، "الذكريات" فهو هنا يعيد تركيب صورة الماضى بعد إنقضاء ما يزيد على ربع قرن على وقوع أحداثها، ولذلك تتشابك فيها الأحداث وتتقاطع، فكثيراً ما نجده يتوقف أثناء سرده للأحداث أمام شخصية معينة فيروى قصته معها، أو جزئية معينة فيحدثنا عن بعض تفاصيلها، ثم يعود مرة أخرى ليصل سياق ما كان يتحدث عنه من قبل. كذلك يخلط بين بعض الأحداث، فيجعل طه حسين - مثلاً - وزيراً للتعليم فى حكومة الوفد 1942 وليس 1950.

كذلك تتخذ السيرة الذاتية لهنرى كورييل طابع التبرير والدفاع عن المواقف التى إتخذها، والعلاقات التى إرتبط بها، والتى كانت موضع شبهة "الخصوم" و"المنافسين" و"الأعداء" على حد تعبيره، بقدر ما كانت موضع شبهة "الأحزاب الشقيقة" فى الحركة الشيوعية الدولية.

فنجده يستهل "ذكرياته" بالتلميح إلى الإنتقادات التى يوجهها بعض المؤرخين للحركة الشيوعية المصرية، من أنها كانت تخضع لقيادة يهودية أجنبية، وأنها لم تضرب بجذورها فى الريف المصرى، وأنها كانت على درجة من التخلف من ناحية التنظيم.. إلخ. ويرى أن تحليل حركة شيوعية من خلال "ما لم تحققه" يمثل نظرة سياسية محدودة، ويتساءل عما حققه أولئك "الوعاظ" !

ويكاد يدور محور "سيرته الذاتية" حول الرد على الإتهامات التى طارده حتى وفاته: "الإنتهازية"، و"الإنحراف اليميني" و"العمالة للمخابرات البريطانية"، و"العمالة للمخابرات السوفيتية"، وهى إتهامات جاء بعضها من منظمات شيوعية مصرية منافسة، أو من أحزاب شيوعية دولية، وبعضها تفجر مع قضية مارتى الشهيرة فى الحزب الشيوعى الفرنسى، وهو هنا يروى الأحداث التى جلبت إليه هذه الإتهامات (من وجهة نظره) بينما نجده لا يقدم تفسيراً لقضية تمويل نشاط الحركة (مثلاً) الذى كان موضع الشبهات، ويقطع حبل "الذكريات" عند حرب فلسطين، فلا يوضح لنا كيف تبنت حدثتو - على يديه - مبدأ القبول بقيام إسرائيل، وإمكانية قيام "تعایش" عربى - إسرائيلى فى الشرق الأوسط، هذا الموقف الذى عرض التنظيم ذاته للتشقق والإنقسام، وجلب عليه سخط الكثير من المنظمات الشيوعية المصرية، بل نجده يسقط - تماماً - صلته بالحزب الشيوعى الفلسطينى قبل 1948. حقاً تفلت منه بعض العبارات هنا وهناك عندما يشير إلى حرب فلسطين على أنها "الحرب الظالمة ضد إسرائيل" أو "الحرب الإمبريالية ضد إسرائيل"، ولكنه يترك القارئ فى منتصف الطريق دون تحديد لمعالم إتجاهه نحو القضية الفلسطينية.

وهكذا، فيما يتعلق بالإتهامات و"الشبهات" التى حامت حوله، نجده دائماً يلبس ثياب "الشهيد" دون أن يقدم تفسيراً مقنعاً - فى كثير من الأحيان - لإطلاق هذه الإتهامات حوله من كل حدب وصوب، سوى إشارته إلى قصر النظر السياسى للخصوم، وبعد نظره هو، وقد يجد تفهماً من القارئ لتقديم قضية التحرر الوطنى على الإعداد النظرى وبناء التنظيم فى مرحلة "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" أو لتبنى هدف الوحدة العربية، أو لموقف حدثو المؤيد لثورة يوليو على استحياء - أحياناً - وصراحة أحياناً أخرى، ولكن تظل الغيوم تلف الكثير من المواقف الأخرى التى تحتاج إلى إيضاح كلما كان الأمر يتعلق بشخصه.

أما فيما يتعلق بالمنظمة التى أسسها، نجده أقرب ما يكون إلى الموضوعية، وأكثر إتساقاً ووضوحاً، بل نجده يمارس النقد الذاتى - أحياناً - فيراجع مواقف إتخذتها المنظمة (بإيحاء منه)، أو ينتقد خطأً تنظيمياً وقعت فيه المنظمة، أو تكتيكاً معيناً إتخذته ونجده يعطى لبعض الكوادر المصرية التى عملت معه حقه من التقدير، حتى أولئك الذين اتصلوا منه عندما أثار الحزب الفرنسى الشكوك حوله أثناء تفجر قضية مارتى، مثل بدر (سيد رفاعى). أو أولئك الذين إنضموا لخصومه أيام صراعات وحدة 47 - 1948 مثل محمد شطا، ولكنه يصب جام غضبه على الكوادر المصرية التى طالبت بتمصير قيادة الحركة وإبعاد يونس (كورييل) عنها، ويتهمهم "بالعنصرية" و"الشوفينية".

ورغم ذلك كله تعد "السيرة الذاتية" لهنرى كورييل مصدراً هاماً لدراسة تلك السنوات السبع، الحافلة بالنشاط والحركة من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، منذ تأسيس "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" حتى نهاية تجربة وحدة 47 - 1948 التى أسفرت عن قيام "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" (حدثو) فهى فى نهاية الأمر شهادة مسجلة لشخصية لعبت دوراً هاماً فى قيادة وتوجيه منظمة من أهم المنظمات الشيوعية يمكن أن تقارن بشهادات أخرى للقيادات التى شاركت فى هذه المنظمة أو غيرها من المنظمات الشيوعية الأخرى.

ولعل نشر هذه "الذكريات" يشجع بعض قدامى المناضلين على تسجيل شهاداتهم التى لن يتمكن الباحثون من كتابة تاريخ دقيق للحركة الشيوعية المصرية فى غيبتها وغيبة الوثائق التى تتصل بهذا التيار السياسى المتشعب الجذور.

ثانياً: نضال الحركة المصرية للتحرر الوطنى والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى منذ تأسيسها حتى إعلان الأحكام العرفية فى مايو 1948.

كتب هذا التقرير عام 1951، بعد طرد هنرى كورييل من مصر بنحو عام كامل، عانت حدثو خلاله الكثير لغياب يونس - الذى "كان يجمع بين يديه كل الخيوط" على حد قول ايمى ستون - وإعتزال شوقى (كمال شعبان) ذراعه اليمنى، فضلاً عما كانت تعانيه المنظمة من آثار ضربة 1948 التى قذفت بأكثر من مائة من أعضائها إلى المعتقل لمدة تقرب من العامين.

ويشير هنرى كورييل فى مقدمة التقرير - الذى كتب على عجل - إلى أنه يهدف من كتاباته إلى الرد على "الإفتراءات والإنتقادات" التى يوجهها "التيار الإنتهازى" فى الحركة

الشيوعية المصرية (ويقصد بذلك جميع المنظمات الشيوعية المصرية الأخرى) ضد "التيار الثورى" الذى تمثله "حدثو" ! كما أنه كتبه بهدف "التذكير بأعمال أولئك الذين حاولو إنشاء حزب شيوعى مصرى"، ويقصد بذلك نفسه بطبيعة الحال.

الهدف من كتابة التقارير – إذن – يحدد طبيعته، فهو "مذكرة دفاعية" عن حدثو، والمذكرات الدفاعية تتجه غالباً إلى إنتقاء الحجج وتسعى – دائماً – لستر العورات. ومن هنا جاء تقرير هنرى كورييل مركزاً على "الإنجازات" التى حققها كل من "حمتو" و"حدثو" بقيادته، مع قدر كبير من المبالغة – أحياناً – والتهويل أحياناً أخرى إقتضاهما الموقف الدقيق الذى دفعه لكتابة التقرير.

وهنا نجد هنرى كورييل يقدم عرضاً موجزاً لتطور الحركة منذ إنشائها عام 1943، مسقطاً من إعتبره منظمة "تحرير الشعب" على نحو ما فعل فى سيرته الذاتية، فهو لا يشير إليها إلا عرضاً، أما فى هذا التقرير فنجده يسقطها تماماً، رغم أنها أسبق من "اسكرا" التى يضعها دائماً مع "حمتو" على طرفى نقيض.

ويبالغ التقرير فى الدور الذى لعبته "حمتو" فى الحركة العمالية فينسب إليها إضرابات عمال المحلة الكبرى، وعمال شبرا الخيمة عام 1945 من منطلق وجود بعض كوادر حدثو – المحدودة العدد عندئذ – بين قادة هذه الإضرابات، ويبرز الجهود التى بذلتها "حمتو" فى العمل على إيفاد ممثلين للنقابات العمالية المصرية إلى مؤتمر الإتحاد العالمى للنقابات ويغفل الدور الذى لعبته كل من "اسكرا" و"الفجر الجديد" فى هذا المجال، بل إن "الإنجاز" كله كان درامى الطابع أدى إلى نشوب الخلافات بين القيادات النقابية وبعضها البعض. وصرفها حيناً عن النضال من أجل تحسين الأوضاع البائسة للطبقة العاملة المصرية عند نهاية الحرب العالمية الثانية.

و"الحركة المصرية للتححر الوطنى" هى التى دفعت العمل الوطنى – فى رأيه – بعد الحرب فى الإتحاد الذى أدى إلى علو المد الوطنى عام 1946، وهى التى كانت وراء تشكيل "اللجنة الوطنية للعمال والطلبة"، ولعبت الدور الرئيسى فى قيادتها. وبالطبع يختلف ذلك تماماً مع حقائق التاريخ، فقد كانت "اللجنة الوطنية للعمال والطلبة" مبادرة طلابية، لعبت فيها قيادات الحركة الطلابية – على إختلاف توجهاتها السياسية – الدور الأكبر لإقامة "جبهة وطنية" تضم ممثلى الأحزاب البورجوازية والجماعات الماركسية والإخوان المسلمين (الذين خرجوا من الجبهة بعد قليل)، وإن كان يسجل لقيادات حمتو الطلابية وكذلك شباب الطليعة الوفدية فضل ضم الحركة العمالية إلى اللجنة، وكانت مقاعد اللجنة موزعة بين الإتجاهات السياسية المختلفة.

ولكن الحقيقة أبداً لا تموت، فرغم تضخيم هنرى كورييل للدور الذى لعبته منظمته فى أحداث 1946 حتى جعلها القائد والمحرك ومصدر الإلهام، نجده يذكر لجنة التنسيق بين الجماعات الماركسية فى الحركة الطلابية، كما يذكر دور العناصر التقدمية الوفدية (يعنى بذلك الطليعة الوفدية).

وبعرض التقرير للموقف من القضية الفلسطينية بطريقة تبريرية أيضاً، فالمنظمة إمتنعت عن الإشتراك فى المظاهرات "المعادية السامية" على حد تعبيره فى نوفمبر 1945 لأن الإخوان المسلمين دعوا إليها "بتحريض من الإمبريالية والحكومة المصرية" لصرف الأنظار عن القضية الوطنية، فطالبت "حمتو" بالاستقلال، وجلاء الجيوش الأجنبية وحق تقرير المصير للعرب واليهود فى فلسطين "ورفعت الشعارات المعادية للإمبريالية والرجعية العربية والصهيونية"، ونجده يشير فى نهاية التقرير إلى موقف "حدثو" عام 1947 المؤيد لتقسيم فلسطين وإقامة الدولة اليهودية، الذى أثار ضجة داخل حدثو نفسها، وبين المنظمات الشيوعية المصرية الأخرى، ومن الطريف أن هنرى كورييل أعرب عن "أسفه" فى سيرته الذاتية عن عدم مشاركة "حمتو" فى مظاهرات نوفمبر 1945 التى نظمت بمناسبة ذكرى "وعد بلفور".

وعند حديثه عن مرحلة الوحدة التى أسفرت عن قيام "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى" (حدثو) نجده يغفل ذكر الإنقسامات والصراعات التى دارت داخل الحركة، وخاصة ما يتعلق منها بتمصير القيادة، وما نجم عنها من ظهور منظمات جديدة ناصبت حدثو العدا، ويكتفى بتعداد مظاهر النشاط الحركى لحدثو بين صفوف العمال والطلبة، وإشتراكها فى حملة مقاومة "الكوليرا" إلى غير ذلك من مظاهر النشاط السياسى الحركى.

لقد أعد التقرير لتستخدمه "حدثو" أداة للدفاع عن نفسها ضد هجمات خصومها على صعيد الحركة الشيوعية المصرية فى فترة من أخرج فترات تطورها (عام 1951)، وهو - كما قلنا- مذكرة دفاع تبرز إيجابيات الحركة، وتلقى أضواء باهرة عليها، ولكن التقرير رغم ذلك يقدم معلومات هامة حول أسلوب عمل المنظمة التى لعب هنرى كورييل الدور الرئيسى فى قيادتها.

ثالثاً: المراحل الرئيسية للصراع داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى عام الوحدة (مايو 1947 - يونيو 1948):

لعل هذا التقرير من أهم وأخطر ما تتضمنه هذه المجموعة من الوثائق، لأنه يتناول تجربة الوحدة الأولى فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية المعاصرة، ولأن هنرى كورييل نقل وجهات نظر الخصوم كما هى، وإن كان قد فسرها من وجهة نظره الشخصية، فأجرى "فرزاً" لمؤيديه ومعارضيه، فالأولون يمثلون "التيار الثورى" أما الآخرون فيمثلون "التيار الإصلاحى الإنتهازى". وهنرى لا يعترف فى هذا التقرير بأخطائه - ولا ننتظر منه ذلك الطبع- وإن كان قد إعترف بخطأ واحد فى "سيرته الذاتية" عند الحديث عن الوحدة هو أنه كان يفرط فى حسن النية فى الآخرين وفى إمكانية قيام وحدة حقيقية، وهو إعتراف مجرد من القيمة لأنه يعنى - فى نهاية المطاف- أن كورييل كان دائماً على حق، وأن خصومه كانوا موغلين فى الخطأ.

جمع كورييل كل الأوراق فى يده، فرغم المساواة العددية - تقريباً- بين "حمتو" و"اسكرا"، خرجت منظمته بنصيب الأسد عند توزيع مقاعد القيادة، وجميع من تم إختيارهم من "حمتو" كانت تربطهم بهنرى روابط ود وولاء، لذلك كان "الرفيق يونس" يمسك زمام القيادة وحده، بعد أن نجح فى زحزحة الرفيق "شندى" (هلل شوارتز)، وهو يقف إلى جانب "التمصير"

ويعمل من أجله، فإذا تعالت أصوات الأعضاء من بعض المثقفين المصريين تطالب بتمصير القيادة، ضاق هنرى كورييل ذرعاً بها، وإتهم أصحابها بالشوفينية والإنتهازية، لأن تمصير القيادة يعنى تنحيته عنها. فكان لابد أن يترتب على هيمنته على قيادة الحركة، وتمسكه بموقعه أن تفجر التنظيم من الداخل إلى "تكتلات"، وأقسام متناقضة مع القيادة التى كانت تحظى بتأييد معظم أعضاء "حمتو" القدامى.

لقد بدا الأمر كله، وكأن "حمتو" تريد إحتواء الحركة الشيوعية المصرية، وتفرض عليها توجهاتها، وخاصة ما إتصل منها بالقضية الفلسطينية: القبول بقيام إسرائيل وسط إجماع شعبي على عروبة فلسطين، والحرص على "مشاعر" القواعد اليهودية للحركة بحى الظاهر بالإمتناع عن مقاومة الصهيونية وإعتبار أية محاولة من هذا النوع "مؤامرة إمبريالية" و"معاداة للسامية".

ثم هناك موقفه الغريب من شعار "التعميل" الذى نادى به وضمنه برنامجه السياسى الذى عرف بإسم "خط الرفيق يونس"، فهو يرى فى "التعميل" توسيع قاعدة الإنتشار بين العمال، بينما يرى خصومه فى "التعميل" رفع الكفاءة النظرية للكوادر العمالية وتأهيلها للقيادة. لذلك نجده يندد بإنتهازيتهم، ويصب عليهم جام غضبه، ويدين من أيديا وجهة نظره من رفاقه العمال، حتى ولو كان "حميدو" (محمد شطا) – صاحب التجربة النضالية العريضة بين عمال شبرا الخيمة – من بين أولئك المؤيدين وهو الذى كان موضع تقدير هنرى فى "سيرته الذاتية" وعده من بين أساتذته الذين تعلم منهم الكثير.

كان الهدف من الوحدة – كما يتضح من التقرير – تهيئة الظروف الملائمة لإقامة "حزب شيوعى مصرى"، وكان ذلك يعنى صهر المنظمين المتحدثين فى بوتقة واحدة، وكان ذلك يتطلب "نظرية مصرية للثورة" على حد تعبير هنرى كورييل، ولكن كيف تصاغ مثل هذه النظرية فى غياب دراسة دقيقة لواقع المجتمع المصرى وتناقضاته الأساسية، وهو ما كان يجب التركيز عليه بإعتباره "المهمة العاجلة" للحركة، التى كان من بين أعضائها، المثقفون القادرون على الإضطلاع بهذه المهمة، غير أن هنرى كورييل – على ما يبدو من هذا التقرير – نصب نفسه "المنظر" الوحيد للحركة رغم أن خبراته بالواقع المصرى كانت متواضعة دون شك.

لقد كانت الحركة تضع أقدامها على الطريق السياسى الصحيح بتبنيها لمبدأ "التحرر الوطنى" وإتجاهاتها "الجبهوية" من خلال تحالف البروليتاريا والبورجوازية الصغيرة فى مرحلة النضال من أجل الاستقلال الوطنى، ولكن كيف يقود "التحرر الوطنى" فى بلد خاضع للإحتلال، تنظيم يضم 26% من الأجانب (معظمهم من البورجوازيين الكبار)؟! بل كيف يستطيع التنظيم أن يحقق هذه الغاية بقيادة أجنبى يتحدث العربية بصعوبة، حتى لو كان يحمل الجنسية المصرية؟!!

وأخيراً، كيف تتجزأ مهمة "التحرر الوطنى" فتوجه فى مصر ضد الوجود الأجنبى، وتقبل – فى فلسطين – بذلك الوجود؟! بل وكيف يتسق هذا مع هدف "الوحدة العربية" الذى أمنت به "حدثو"؟!!

هذه كلها تساؤلات، يكمن فى الإجابة عليها جوهر الصراع الذى دار داخل "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى"، والذى إنتهى بفرز لعناصر "حمتمو"، وتوزع عناصر "اسكرا" مع بعض أفراد من "حمتمو" بين عدد من التنظيمات الصغيرة، التى غرقت – ومعها حدثتو – فى صراع يدور حول محور الشجب والتنديد وتبادل الإتهامات، بما ترتب عليه من آثار بالغة السلبية على مسيرة الحركة الشيوعية المصرية.

ومن هنا تأتى أهمية هذا التقرير الذى أعده هنرى كورييل – على ما يبدو – ليسترشد به قادة "حدثو" أثناء مفاوضات وحدة 1955 التى أسفرت عن تأسيس "الحزب الشيوعى المصرى الموحد" ولكن دون الاستفادة من دروس وحدة 1947، فكان التمزق والتشردم والإنقسام.

رابعاً: وثائق مجموعة روما للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (مارس 1951 – أبريل 1958):

هذه المجموعة من الوثائق – وعشرات غيرها لم نحصل عليها – تعكس نوع العلاقة بين حدثو و"مجموعة روما لحدثو" التى كونها هنرى كورييل بباريس عام 1951، وظلت تعمل تحت إسم "مجموعة روما للحزب الشيوعى المصرى الموحد" حتى أصدر المكتب السياسى "للحزب الشيوعى المصرى المتحد" (عام 1957) قراراً بحلها فى بداية عام 1958، عقدت على أثره مؤتمراً بأحد مطاعم باريس فى أبريل 1958، إتخذت فيه قرارات صدرتها بقبول قرار الحل، وإن ظلت تمارس نشاطها فى الدفاع عن المعتقلين الشيوعيين ومد يد العون المادى لأعضاء حدثو المعتقلين حتى نهاية محنة الإعتقال.

ورغم أن الوثائق التى يتضمنها هذا الكتاب جاءت كلها من أرشيف "مجموعة روما" إلا أننا رأينا أن نصنف الوثائق التسع التى يتضمنها القسم الرابع تحت عنوان "وثائق مجموعة روما للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى"، لأن المجموعة كانت دائماً تعد نفسها إمتداداً لحدثو بالخارج من ناحية، ولأن هذه الوثائق – بالذات – توضح للقارئ أسلوب التعامل بين المجموعة وحدثو، وطبيعة العلاقة بين "هنرى كورييل وجماعته" – كما سماهم خصوم حدثو – وبين حدثو خاصة، والحركة الشيوعية المصرية عامة.

وتكتسب هذه المجموعة أهمية تاريخية خاصة، لأنها أرسلت من هنرى كورييل لبعض ثقائه من قادة حدثو، ولم تكن – فى معظمها – موجهة للجنة المركزية أو لقواعد المنظمة، ولذلك مارس فيها هنرى كورييل النقد الذاتى لتاريخ الحركة الشيوعية المصرية منذ الأربعينيات، وكان أقل حدة فى الحكم على خصوم حدثو، وإن لم يرفع عنهم وصف "الإنتهازيين"، وأقرب إلى الموضوعية فى تناول نقاط الخلاف معهم.

ورغم حرص هنرى كورييل – فى مراسلاته وتقاريره المرسله لحدثو على وجه الخصوص – على التأكيد على أنه لا يهدف إلى قيادة الحركة من الخارج، إلا أن هذه التقارير – كما يلاحظ القارئ – تضمنت الكثير من التوجيهات للمكتب السياسى واللجنة المركزية، واستمراره فى موالاة المنظمة بها يعنى أن تلك "التوجيهات" كان لها وزنها عند قيادات الحركة، أو خلصائه بينهم على أقل تقدير.

ففى التقرير الأول –من هذه المجموعة– المرسل من ميلانو بإيطاليا فى مارس 1951 - قبل إنتقاله إلى باريس– الذى يدور حول توسيع نشاط الحركة والإنتشار بين الجماهير، نجده يزود المنظمة بتوجيهات تنظيمية لتحقيق هذه الغاية؛ مثل محاربة التردد وكشف جذوره ومعالجة أسبابه، والإهتمام بالخلايا باعتبارها مصدر قوة التنظيم مع تبسيط عملها ومنحها قدراً من حرية الحركة، وتبسيط أساليب العمل بكل المستويات التنظيمية، والإهتمام بقسم النشر وخاصة إصدار المنشورات والدوريات العلنية والسرية التى تعبر عن الحركة. مثل هذه التوجيهات التنظيمية لا يمكن أن تكون مجرد "نصائح" من الرفيق يونس إلى رفاقه بالمنظمة، وخاصة أنها جاءت فى وقت كانت فيه المنظمة تعاني مشاكل تنظيمية خطيرة بعد غيابه عن قيادتها.

ويأتى التقرير الثانى –ديسمبر 1951– وهو أخطر ما فى هذه المجموعة من وثائق، ليشخص الداء الذى كانت تعاني منه الحركة الشيوعية المصرية منذ الأربعينيات، ويصف العلاج الذى يراه مناسباً للتخلص من ذلك الداء، ويحرص على التأكيد أنه لا ينبغى من وراء ذلك قيادة الحزب من الخارج، وإنما يقدم رؤيته كرفيق نضال مخلص للمنظمة التى شارك فى تأسيسها.

فى هذا التقرير نجده يتحدث بصراحة لم نعهدها فيه سواء فى "سيرته الذاتية" أو فى تقريره حول "نضال حمتو وحدتو منذ تأسيسهما" و"الصراع داخل حدتو فى عام الوحدة"، فهو يعترف بالضعف الأيديولوجى الذى كانت تعانيه "حمتو"، وعدم كفاية العمل داخل التنظيم مقارنة بالعمل خارجه، والإرتجال فى العمل بين صفوف الجماهير، ويطالب المنظمة بالتخلص من هذه السلبيات حتى تتغلب على المصاعب التى تواجهها.

نفس الأسلوب الإنتقادى الموضوعى يتجلى فى التقرير الثالث –مارس 1953– حول النضال لتحقيق الوحدة بين الشيوعيين المصريين، وهو تقرير على درجة كبيرة من الأهمية التاريخية. فنجده يبدأ بنقد موقف "حمتو" من قضية الوحدة الذى تمثل فى التعالى على المنظمات الأخرى، والتهوين من شأن الوحدة كضرورة بإعتبار "حمتو" التنظيم الأقوى، وتجنب الصراع الأيديولوجى وعدم الإعتراف بالأخطاء، وتجاهل تحليل مشكلة الإتجاه نحو الوحدة، وعدم إدراك خطورة الإنقسام الذى يؤدى إلى إضعاف الحركة من الداخل، وإضعاف نفوذها بين الجماهير، وغياب الوعى بدور الرجعية والإمبريالية فى مساندة الإتجاهات الإنشقاقية.

وفى تحليله لأسباب ذلك، يعترف بأن قيادة الحركة كانت تعاني – منذ الأربعينيات– من عدم وجود الخبرة السابقة بالتنظيم، وعدم توافر الإعداد السياسى الكافى لديها لعدم مشاركتها فى الحركة السياسية المصرية، وتعدد التنظيمات وتصارعها مع غياب الكومنترن (الذى حل عام 1943) كسلطة عليا يمكن الرجوع إليها للفصل بينها. ويرى أن الخلاف بين التنظيمات لم يكن نظرياً ولا سياسياً، وأنه يرجع إلى الجهل وليس الإنحراف، فالأشكال التنظيمية متقاربة، والمطالب الأساسية متفقة إجمالاً وإن اختلفت البرامج، وإنما الخلاف فى خطة (تكتيك) كل منها، وموقفها من العمل الخارجى، ومن الغريب أن نجده فى "سيرته الذاتية" يعود إلى نعمة إزدراء الآخرين ووصفهم بالإنتهازيين!

ونجده - فى نفس التقرير- يبادر بالإعتراف بأن إنقسام الحركة الشيوعية يأتى لصالح الإمبريالية، ويرجع أسباب فشل وحدة 1947 - 1948 إلى عدم تحديد الجذور الطبقة التى تجعل التنظيمات قادرة على التطور باتجاه الوحدة وعدم فهم الخلاف الحقيقى بين التنظيمات والتهوين من شأن الإنقساميين، وعدم إدراك أن الصراع داخل التنظيم يغذى التنظيمات الإنشاقية، وعدم إدراك العلاقة بين الإنقسامات داخل حدتو والقرار الخاص بقبول تقسيم فلسطين. ويختتم تقريره بالدعوة إلى الوحدة باعتبارها هدفاً إستراتيجياً لحدتو، مع تقديم مقترحات الوحدة إلى جميع المستويات التنظيمية وإعطائها الوقت الكافى لدراستها وطرحها على جميع الشيوعيين، وينصح بعدم فرض شروط مسبقة وخاصة شرط حل التنظيمات وإندماجها فى حدتو.

ويبدو أن المنظمة - التى شهدت العديد من التغيرات فى مطلع الخمسينيات- لم تعد تعول كثيراً على توجيهات الرفيق يونس، فنجد هنرى كورييل يبدأ خطابه الموجه للجنة المركزية - مايو 1953- بالعتاب لأنها لم تستشره فى شيء على مدى عامين ونصف، وأنها الآن تطلب رأيه -من خلال الرفيق حميدو (محمد شطا)- حول "الجبهة الوطنية" و"المجلة الجديدة"، وهنا لا يحاول كورييل أن يدلى برأى محدد حتى لا يزيد الإنقسام حدة بين رفاقه القدامى، وخاصة أن صراعاً - داخل قيادة حدتو- كان يدور حول قضية "الجبهة الوطنية الديمقراطية" الذى كان شعاراً رفعتة قيادة حدتو، عارضه بدر (سيد رفاعى) وطالب بتشكيل "اللجان الثورية السرية" وشايعه فى ذلك بعض عناصر قيادة الحركة، كان ثمة إنشاق جديد فى مرحلة المخاض، ولذلك حرص هنرى كورييل على تقديم نصيحة غامضة هى تبنى خط سياسى يجمع بين إيجابيات الرأيين، وقد إنتهى الأمر بإنشاق بدر وجماعته وتكوين "حدتو - التيار الثورى". مرة أخرى، "ثوريون" و"إنتهازيون"، إنه التراث السياسى للحركة الشيوعية المصرية منذ الأربعينيات، الذى لعب هنرى كورييل دوراً هاماً فى تكوينه. على كل، عندما حدث الإنقسام أيد كورييل إتجاه "الجبهة الوطنية الديمقراطية" وتخلى عن بدر وجماعته الذين قطعوا بدورهم الصلات معه، وأيدوا موقف الحزب الشيوعى الفرنسى منه.

وظلت مراسلات هنرى كورييل مع بعض كوادر حدتو مستمرة بصفة شخصية، وبفضل هذه الصلات، والإخلاص للروابط التاريخية، ظل للرفيق يونس مقعد خال فى اللجنة المركزية لحدتو، وإن كان الكثيرون من الأعضاء لا يبدون إرتياحهم للتمسك بهنرى كورييل وجماعته، ولكن الكوادر الأقوى نفوذاً كانوا هناك دائماً للدفاع عنه. ولعل هذا يفسر عدم معرفة "مجموعة روما" بتشكيل "الحزب الشيوعى المصرى الموحد" (وحدة 1955) إلا عن طريق "الحزب الشيوعى السودانى"؛ فقد ظل يونس على علاقة وثيقة برفيقه القديم (راشد) عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى.

ويتضح ذلك من الوثيقة الخامسة من هذه المجموعة -يونيو 1955- التى تعلن فيها "مجموعة روما" إنضمامها للحزب الشيوعى المصرى الموحد، بعد أن بلغها نبأ تأسيسه من الحزب الشيوعى السودانى، وتعلن قبولها بشروط الوحدة رغم تحفظاتها على بعضها، وتطالب بمعرفة الأسس التى يقوم عليها الحزب حتى تتوفر على دراستها وتوافقى الحزب بتقارير حلولها، وختمت الوثيقة بالإسم الجديد الذى إتخذته المجموعة "مجموعة روما للحزب الشيوعى المصرى الموحد".

كانت المفاوضات الأساسية للوحدة قد تمت – كما رأينا– داخل السجن، وتعرضت حدتو لإنتقاد شديد من جانب معظم المنظمات الشيوعية المصرية لتمسكها بالرفيق يونس وتخصيص مقعد له من مقاعد حدتو العشرة باللجنة المركزية على أن تجمد عضويته لحين صدور قرار بهذا الشأن من الحزب. ولعل ظروف السجن حالت دون تلقى هنرى كوريبيل لنبا تأسيس الحزب من رفاق حدتو مباشرة.

وعلى كل، ظلت المجموعة تمارس نشاطها تحت الإسم الجديد، ووثقت صلاتها بأعضاء المنظمات الشيوعية المصرية التي إنضمت للوحدة من الموجودين بالخارج، وعندما بدأت مفاوضات الوحدة الثالثة (1957) بعد تفكك الحزب الموحد، سارعت "مجموعة روما" بتقديم مذكرة – الوثيقة السادسة– عن نشاطها فى مختلف المجالات السياسية والحزبية، وخاصة الحملة التي نظمتها للتضامن مع المعتقلين.

وفى يناير (1958) يعرف هنرى كوريبيل من رفيقه حميدو (محمد شطا) أن نقاشاً يدور داخل "الحزب الشيوعى المصرى المتحد" حول حل مجموعة روما لأنها تضم أجنبى، ولأنها تحاول قيادة الحزب من الخارج، كما أنها تبذل جهوداً من خلال الحزب الشيوعى الإسرائيلى – الذى كانت على صلة وثيقة به– لإقامة سلام "عادلى" بين مصر وإسرائيل. لذلك تسارع مجموعة روما بالكتابة للحزب (الوثيقة السابعة) تنفى عن نفسها تهمة قيادة الحزب من الخارج، وتدافع عن صلاتها بالحزب الشيوعى الإسرائيلى وسعيها للسلام مع إسرائيل بحجة أن ذلك لم يتم بإسم "الحزب الشيوعى المصرى" وإنما تم بصفة غير رسمية.

وينشط هنرى كوريبيل لتأكيد فعالية "مجموعة روما" فيرسل تقريراً – مارس 1958– عن التناقضات التي يجب طرحها و حلها (الوثيقة الثامنة)، فتحدث عن التناقضات الإجتماعية والسياسية، وقدم تحليلاً لها يقوم على أساس إتخاذ موقف من نظام الحكم يأخذ فى الإعتبار إيجابياته وسلبياته معاً ولا يركز على إحداها دون الأخرى. وتقريراً آخر عن عداء الحركة الشيوعية الدولية له يقدم فيه وجهة نظره فى أسباب هذا العداء.

كان هنرى كوريبيل يوالى إرسال تقاريره لتأكيد أهمية نشاط مجموعته، فى الوقت الذى إتخذ فيه "الحزب الشيوعى المصرى المتحد" قراراً بحل مجموعة روما نهائياً إعتباراً من 14 مارس 1958، لإنعزالها عن الواقع المصرى، وبعدها عن رقابة الحزب، ولفتح آفاق جديدة أمام أعضائها للإلتحاق بأحزاب البلاد التي يقيمون بها، ومن أجل الحرص على سلامة العلاقات بالأحزاب الشقيقة (إشارة إلى إدانة الحركة الشيوعية الدولية لهنرى كوريبيل)، ولأن المجموعة أجنبية التكوين.

هكذا أقفل "الحزب الشيوعى المصرى" ملف مجموعة روما نهائياً، وأبلغ القرار لهنرى كوريبيل فى أبريل، فكان الإجتماع الذى عقده المجموعة لمناقشة القرار والذى إنتهى بالموافقة عليه بأسلوب يغلب عليه طابع العتاب، مع التمسك بإستمرار تقديم المساعدات المالية والمعنوية للمعتقلين دون إستخدام إسم الحزب، تبرا الحزب الشيوعى المصرى من تبنى أولئك الشيوعيين اليهود اللقطاء الذين لفظتهم الحركة الشيوعية الدولية من قبل، وأثارت الشكوك حولهم، ولكنهم يصرون على الإلتصاق بالحركة الشيوعية المصرية ويعلقون الآمال على النجاح فى إقناع الحزب بالتخلى عن موقفه منهم، وفاتهم أن رفاق حدتو – أنفسهم–

وافقوا على قرار حل المجموعة، بعدما أصبحت تمثل قيماً على حركتها، ونقطة ضعف في مواجهة المنظمات الشيوعية المصرية.

خامساً: رسالتان من هنرى كورييل إلى نعيمى كاتل (مايو – يونيو 1957):

يتضمن القسم الأخير هاتين الرسالتين من هنرى كورييل إلى نعيمى كاتل، حسبما تشير كلمة كتبت بخط اليد على أصل كل رسالة، تنص على أن الرسالة كتبت إلى نعيمى كاتل بالسجن وكانت تلك السيدة اليهودية المتمصرة تقضى عقوبة خمس سنوات (1954 – 1959) بسجن القناطر فى القضية المعروفة بقضية "الجبهة" والتي حوكم فيها عدد من الشيوعيين واليساريين المصريين، كان من بينهم بعض المثقفين والفنانين وضباط الجيش.

وقد لعبت نعيمى كاتل – أثناء وجودها بالسجن – دور ضباط الإتصال بين حدتو وهنرى كورييل، وبين الأخير وبعض الإسرائيليين المسجونين، وقد أشار إليها جيل بيرو فى كتابه "هنرى كورييل، رجل من طراز فريد"، دون أن يذكر إسمها الحقيقى أو الحركى.

على كل لا يهمنى كثيراً أمر نعيمى كاتل أو دورها فى التنظيم بقدر ما يهمنى مضمون الرسالتين فهما تدوران حول محورين: رأى هنرى كورييل فى نظام الحكم فى تلك الفترة، وفى سياسة حكومة الثورة، وكذلك رأيه بالنسبة للقضية الفلسطينية، وعلاقاته مع الحزب الشيوعى الإسرائيلى، هذا فضلاً عن إعرابه عن سروره البالغ بتمسك حدتو به عضواً فى القيادة، ويبدو أن نعيمى كاتل لعبت دوراً هاماً فى هذا المجال، فهو يثنى على جهودها فى إقناع قادة حدتو بالتمسك به.

وفى تحديد موقفه من ثورة يوليو، ينطلق هنرى كورييل من مفهوم "الجبهة الوطنية الديمقراطية" التى تجمع بين البروليتاريا والبورجوازية الصغيرة فى مرحلة التحرر الوطنى، فرغم إقتناعه أن النظام لا يمثل "حقيقة القيادة التى تحتاجها مصر"، لأنه يعمل لمصلحة الرأسمالية المصرية، وليس لمصلحة الجماهير الشعبية، إلا أنه يتصور أن الشيوعيين المصريين يستطيعون – عن طريق توجيه حركة الجماهير – أن يدفعوا النظام إلى إتخاذ خطوات تقدمية، ويضرب أمثلة على توجه النظام لخدمة مصالح البورجوازية المصرية من خلال سياسة "تمصير" الشركات الأجنبية بعد عدوان 1956، وإن كان ينتقد الطريقة التى تم بها تأميم قناة السويس ويرجع إنحصار العدوان إلى خروج بريطانيا وفرنسا على قواعد اللعبة فى الشرق الأوسط، مما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تجبرهما على الإنسحاب، وهو تحليل دقيق فى مجمله، وخاصة أنه لم يغفل دور الجماهير الشعبية فى التصدى للعدوان.

لكن يلاحظ أن هنرى كورييل بالغ كثيراً فى تقديم الدور الذى لعبه الشيوعيون فى إسقاط النظام القديم، لأن "عملهم بين الجماهير أضعف النظام السابق"، وجعل العناصر "الواعية" من البورجوازية الوطنية يحددون أهدافهم الوطنية، فرغم أهمية الدور الذى لعبه الشيوعيون المصريون فى الحركة السياسية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى قيام ثورة يوليو 1952، إلا أنهم كانوا يتحركون – دائماً – بين الجماهير فى إطار الجبهة الوطنية، ومن خلال نشاط جبهوى أساساً، ولم يكن باستطاعتهم وحدهم توجيه العمل السياسى الذى أدى إلى

إضعاف النظام القديم، وخاصة أنهم كانوا موزعين بين منظمات متناحرة متصارعة، ولا يمثلون تياراً واحداً قوياً وفعالاً، مهما قيل عن التواجد الجماهيري لحدثو، وعن وجود بعض عناصرها داخل الجيش، وحتى من كان منهم بين صفوف "الضباط الأحرار" عجز عن توجيه نظام ثورة يوليو صوب الإشتراكية، وتمت تصفيتهم فى وقت مبكر (خروج يوسف صديق من مجلس قيادة الثورة، وإبعاد خالد محبى الدين، وإعتقال أحمد حمروش) رغم أهمية الدور الذى لعبوه - كأفراد- فى إسقاط النظام القديم.

وعلى كل، يتلخص موقف هنرى كورييل من نظام ثورة يوليو (عام 1957) فى ضرورة الحفاظ عليه، والتعاون معه، والعمل على توسيع نطاق إنجازاته الإيجابية وتوجيهها وجهة إشتراكية بضغط من الجماهير الشعبية التى يحركها الشيوعيون. وهو موقف يتناقض تماماً مع موقف "الحزب الشيوعى المصرى الموحد" من ثورة يوليو، ويتعارض مع المقعد الذى حصل عليه هنرى كورييل فى لجنته المركزية بضغط من حدثو، لذلك نجده يعلن تمسكه - رغم ذلك- بخط الحزب واستعداده لتبنيه، رغم عدم موافقته عليه.

هذا التبني الغريب لمواقف تختلف عن القنوات الشخصية لهنرى كورييل و"مجموعة روما" يتكرر فى الموقف من تأميم قناة السويس، الذى ينتقد هنرى أسلوب تنفيذه ولكنه يتبنى الدفاع عنه علناً فى الأوساط السياسية الدولية، ولا يمكن أن نفسر ذلك إلا فى ضوء حرص "مجموعة روما" على إبقاء الجسور ممتدة بينها وبين الحركة الشيوعية المصرية، ولعلها كانت تعتقد فى إمكانية استخدام الحركة الشيوعية المصرية نقطة إرتكاز لحوار مصرى - إسرائيلى لإقامة "سلام مصرى - إسرائيلى" من خلال الحزب الشيوعى الإسرائيلى الذى إحتفظت "مجموعة روما" معه بصلات وثيقة.

ويتجلى ذلك من النقاط المتصلة بإسرائيل فى الرسالتين، فالمجموعة تلعب دور ضباط الإتصال بين الأفراد الإسرائيليين المعتقلين فى مصر لأسباب تتصل بالأمن القومى، والذين أدين بعضهم فى قضايا التجسس، وبين عائلاتهم فى إسرائيل (من خلال نعو مى كائل). كذلك كانت المعلومات المتعلقة بهم التى ترسلها نعو مى كائل، تبلغ إلى جهة أو شخص أطلق عليه هنرى كورييل إسم "إيلى" ونعتقد أنه إسم كودى، فمن كانت تهمة - فى إسرائيل- أخبار الإسرائيليين المعتقلين بمصر؟ من يهمة أمرهم سوى جهة أمنية إسرائيلية كالموساد على سبيل المثال؟!

ويتجلى ذلك أيضاً من إشادة هنرى كورييل بموقف "الحزب الشيوعى الإسرائيلى" وخاصة تلك "الأخوة الفريدة التى حققها النضال بين اليهود والعرب داخل صفوف الحزب"، ويرى أن تصريحات المسئولين العرب المعادية لإسرائيل "استفزازية"، وأعمال الفدائيين الفلسطينيين "استفزازية" ويطالب بتنمية "قوى السلام" فى البلاد العربية، لقد كان إبرام السلام بين العرب وإسرائيل، وتحقيق تعايش الدولة العبرية الصهيونية مع العرب، هدفاً سعت إليه "مجموعة روما" وبذلت جهوداً كبيرة لتحقيقه، سواء من خلال مصر أو من خلال منظمة التحرير الفلسطينية، وعندما أعتيل هنرى كورييل قبل مغادرة مصعد بيته، كان يحمل بيده مفكرته الشخصية، وقد وضع أصبعه بين صفحاتها على موعد يشير إلى لقاء مع "الدكتور" وهو الإسم الذى استخدمه كلما حدد لقاء مع عصام السرطاوى - أحد معاونى

ياسر عرفات- الذى كان يتولى مسؤولية الحوار الفلسطينى مع العناصر التقدمية فى إسرائيل.

* * *

وبعد.. عزيزى القارئ.. إن هنرى كورييل لم يكن بالشخصية التى يسهل تفسير دوافعها وأهدافها، وكانت تحركاته دائماً موضع ريبه الكثيرين على الصعيدين المحلى والعالمى - على نحو ما رأينا- غير أن الدور الذى لعبه فى "الحركة الشيوعية المصرية" يظل دائماً موضع عناية مؤرخى هذا التيار المتأصل فى الحركة السياسية المصرية، لأنه زود الحركة الشيوعية المصرية بإرث سياسى ثقيل لم تستطع أن تطرحه جانباً، ولعل هذه الأوراق ترسم أبعاد هذا الإرث، وتوضح معالمه، وتعيننا على فهم الظروف التى أحاطت بالحركة الشيوعية المصرية منذ الأربعينيات.

هنرى كوريبيل - سيرة ذاتية

كتبت فى المنفى بدين Digne (ألب دى هوت بروفونس) فى أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1977 ترك المؤلف هذه الصفحات (مسود) بخط يده، ولم تتح له الفرصة لمراجعتها.

تحذير للقارئ

عندما يكتب المرء كتابه الأول وهو فى الثالثة والستين من عمره، فإن ذلك يعنى أنه لا يعد من زمرة الكتاب، وها أنا ذا أحذر القراء!

تغطى هذه الذكريات فترة قصيرة وقديمة من حياتى. وإذا كنت أكتبها منتهزاً فرصة إعتكاف إجبارى فرضته على الحكومة، فلا يرجع ذلك إلى ميلى للكتابة، بل أجدنى مدفوعاً إليها للتغلب على نفور شديد نحو الكلمة المكتوبة والعودة للوراء لاسترجاع الماضى.

ولكنها الحقيقة الواجبة تجاه رفاقى الذين كثيراً ما طلبوها منى، وهو واجب كنت دائم التملص منه بحجة أعمال أقوم بها. ولقد أصبح على الآن - بعد أن فقدت هذا العذر - أن أبدأ العمل، بل وأن أنتهى منه سريعاً بدلاً من أن أعمل بلا جدوى على تجويده لكى أعمل منه عملاً هاماً.

ما الغرض منه إذن؟ إن الغرض منه الإسهام فى كتابة تاريخ نشوء الحزب الشيوعى المصرى وبخاصة الفترة من بداية الأربعينيات وحتى بداية الخمسينيات، وليس الغرض منه - للأسف - الاستجابة لطلب الذين أحوأ على فى معالجة تاريخ هذه الفترة ذاتها.

أعرف خيبة الأمل الكبيرة التى سيصاب بها هؤلاء عندما يطلعون على هذه الذكريات صغيرة الحجم بدلاً من الكتاب العظيم الذى تطلعوا إليه بشغف، ولكن يجب أن نأخذ فى الحسبان أننى لا أملك مصدراً سوى ذاكرتى، وهى ضعيفة للغاية بخاصة أنه كثيراً ما تم إقتلاعى من جذورى، ليس فقط من مصر ولكن بفعل إنتقالى من نشاط إلى آخر مختلف تماماً مع رفاق جدد تماماً: هناك مثلاً التجربة الجزائرية حيث كانت الجزائر شغلى الشاغل لمدة عشر سنوات كسبت خلالها عشرات الأصدقاء الفرنسيين الذين عرفتهم فى ذلك الحين والمئات من الجزائريين. فضلاً عن فترة الإعتقال التى قضيتها بفرنس Fresnes وهو إعتقال يتنافى مع الفراغ حيث كان بمثابة حياة مليئة لمدة ما يقرب من عامين.. كان ذلك منذ خمسة عشر عاماً!!!

بالإضافة إلى ذلك فأنا أجهل كل شيء عن الأنشطة التى لم أمارسها.

وفى الحركة المصرية -المجموعة الشيوعية التى ساعدت على ميلادها- لم نكن أبداً نهتم إهتماماً شديداً بالآخرين. ربما كنا على خطأ فى ذلك، ولكن الحقيقة أن الآخرين لم يشكلوا إلا أهمية ضئيلة بالنسبة لنا فلم نفكر مثلاً فى "دس" مخبرين لديهم على الإطلاق وقد لا أتعرض للأخطاء فحسب، بل ولعدم قيمة الدور الذى لعبوه.

كل ما أستطيع أن أؤكد مع هذا هو أن الحركة المصرية وحليفاتها الحركة الديمقراطية كانتا دائماً فى الطليعة. كان هذان التنظيمان سابقين دائماً إلى إتخاذ المواقف الصحيحة على الأقل خلال الفترة التى عرفتهما فيها، ولا أنكر نموذجاً واحداً نقلناه عن مجموعة أخرى سواء على الصعيد السياسى أو التنظيمى أو غير ذلك من المجالات. بل على العكس كانت المجموعات الأخرى هى التى تتبنى مواقفنا فى كل المسائل الهامة، وإذا لم تفعل ذلك فمرجعه إلى أن هذه المجموعة أو تلك تمسكت بموقفها الخاطئ أو المتخلف.

ولكن حق الحلم مشروع! وقد تساعد هذه الصفحات التى تحكى بكل صراحة، بل وبراعة، قصة مولد حزب شيوعى على إزالة بعض الأفكار الخاطئة.

لا يمكن لحزب شيوعى ألا يرتكب أخطاء. فإذا كانت السياسة هى على حد قول لينين "علم تغيير المجتمع" فهى مهمة لا يعادل صعوبتها سوى تعقيدها، وهى تتطلب أولاً أن "تدرس كآى علم" (انجلز).

إن إبراء مجتمع دائم التغيير من أدوائه أصعب كثيراً من علاج أمراض الجسم الإنسانى، ومن يجرؤ على القول أنه يستطيع ذلك قبل سبعة أعوام من الدراسة المستفيضة؟ فضلاً عن أن المجتمع فى حالة دائمة التجديد ويتغير بسرعة متزايدة. وبالنسبة لنا، لم يكن هناك أكثر صعوبة أمامنا من:

- إدماج جميع العناصر المختلطة التى تؤدى دوراً فى جسم المجتمع كما طلب لينين.
- تقديرها تقديراً صحيحاً دائماً مع أخذ تطور كل منها وتفاعلها فيما بينها فى الحسبان.

إن الحزب الشيوعى ينمو مع المراحل المتتالية التى يمر بها. فمن يستطيع أن يلوم رضيعاً وطفلاً على عدم تصرفه كبالغ؟ إن من يفعل ذلك بالطبع هم أولئك الذى يحترفون التشهير المنظم اللازم للإبقاء على المجتمع بأوضاعه الراهنة.

أما الآخرون الذين يعتبرون أنفسهم دائماً أكثر ثورية وصدقاً وكفاءة، الذين لو كانوا "قادة للحزب الشيوعى فى فرنسا، أو فى فيتنام، أو فى الإتحاد السوفييتى، أو على أقل تقدير فى مصر، لتفادوا أخطائهم" فليقفوا فى الصف، وليعرضوا علينا ما قاموا بتحقيقه بكل ما يتصفون به من كفاءة وحقيقة ثورية أعلى كثيراً من هاتين اللتين يتمتع بهما الشيوعيون، وليبرزوا لنا المجتمعات التى قاموا بتغييرها؛ تلك المجتمعات الخالية من جميع الحدود الموجودة فى المجتمعات الإشتراكية؛ على حين أنه من المعروف بحق أن إنتصار الأحزاب الشيوعية فى الإتحاد السوفييتى والبلاد الإشتراكية الأخرى لم يجعل منها قوة تحول فى مجتمعات هذه البلاد فحسب، بل على مستوى جميع دول العالم، فالثورة البلشفية هى القوة الرئيسية التى حققت يوم العمل ذا الساعات الثمانية..

من الممكن واللازم أن تكون هذه الإعتبارات موضوعاً لكتاب على ألا يسخر أحد من "عبادة ستالين" ! فلقد إنتهيت على سبيل المثال من قراءة كتاب أمور و Amourou الحافل بالعبر، وعنوانه "أربعون مليوناً من البيتانيين" (أتباع بيتان) Petain ووجدت أن "عبادة" بيتان التى

تشير إليها جميع أعمال تلك الفترة مغرقة في الهذيان وليس لها ما يبررها إذا ما قورنت الشخصيتان.

إننى أقولها بصوت عال: إن الشيوعيين ليسوا بمعصومين، إنهم يخطئون فى أحيان كثيرة وبخاصة فى البداية. ولكن هذا لا يولد داخلى أى إحساس بالذنب، فالشيوعيون هم قوة التقدم الحاسمة بالنسبة للإنسانية وليتأمل الآخرون مجتمعهم الفاسد والمقرز بإمتيازات الثروة فيه، وهى إمتيازات أكثر وقاحة من إمتيازات الإقطاعيين برذائلهم التى لا تحصى، وبلبلتهم و"حرية" التفكير المزعومة على الصورة التى يتمناها البورجوازين المسيطرون عليهم.

لا، ليس هناك ما يدعو للخجل فى عقد مقارنة بين المعسكرين الإشتراكي والرأسمالى مع أخذ مجتمع الولايات المتحدة "النموذجى" كمثال لأكمل إنجازات هذا الأخير. أما بالنسبة للإتحاد السوفييتى، فلا أعرف من كان يستطيع "التفوق" على اللجنة المركزية !

ولا يساورنى أى شعور بالخجل لتقديم هذه الذكريات، بل أشعر بفخر شديد، بقدر ما تعطى هذه الذكريات - بغض النظر عن شخصى- لمحة عن تفانى وشجاعة ونبيل زملائى أفضل أبناء مصر !

إذا كان للمرء عدد كبير من الأعداء مثلى فهو يرتجف مسبقاً، عندما يقتحم مجال النشر، من الأساليب الفنية التى سيتم بها تنفيذ ما كتبه، والكشف عن كافة الدوافع الخسيصة والإنحرافات "اليمينية" أو "اليسارية" إذا لم تكن ثمة أدلة "خيانة" ..

ومع هذ ليس لدى الخيار؛ يجب:

- "الإنهاء" بأقصى سرعة، فكتاب كهذا يهدف إلى استخلاص كل شيء منى، أنا المؤمن بالعمل الجماعى فقط، ليس مجازفة فحسب، بل هو أيضاً عملية شاقة جداً.
- تفضيل السرعة على الجودة، لن يكون إذن عملاً متقناً بالرغم من مزاج ينشد بالكمال.

كان لينين يقول: "الأقل والأجود"، ولكننى أعمل تحت شعار: "السيئ أفضل من لا شيء، والأسرع أفضل من الأجود".

قيل لى أيضاً ألا أكثر من "الإيضاحات" وأعتقد أن على هنا أن أفعل ذلك، على كل الأحوال ليس هناك أصعب على نفسى من الإفصاح عما أريد، ليس إيماناً منى بالطبع بالاتواصلية (النظرية القائلة بعدم إمكان الإتصال بين الناس) ذائعة الصيت، ولكن من المسلم به أن الأوضاع المركبة قد يساء فهمها حين يشرحها عجوز مقتلع من جذوره.

سبب هام آخر وراء الشروع فى هذا الكتاب، وهو الغياب التام "للثورة المصرية" وتمثيلها بالإضافة إلى إنكار الحركة الشيوعية المصرية وعنصرها الأساسى: الحركة المصرية والحركة الديمقراطية.

إننى أجهل كل شيء عن ثورة 1919، ولقد بينت فى بحث صغير كيف أنها قامت خارج الوفد ورغماً عنه، ولا أستطيع القول بأن الحزب الشيوعى المصرى قد قام بدور فيها فضلاً عن تحديد ماهيته.

أما عن الحركة الثورية المصرية التى حققت إنتصارات باهرة مثل: الجلاء عن وادى النيل، تحرير السودان، استقلال مصر، نهاية الإقطاع الريفى الكبير، تأسيس العالم العربى كقوة لها أولوية السابق فى التقارب من المعسكر الإشتراكي: رفض الأحلاف العسكرية، وقبلها رفض الإشتراك فى حرب كوريا التى شنتها الولايات المتحدة. الدفعة التى جعلت من مصر دولة مؤثرة فى عدائها للإمبريالية: مساعدتها لأفريقيا فى نضالها من أجل التحرر من الاستعمار؛ فى كل هذه التطورات أستطيع القول بأن الشيوعيين المصريين قاموا بدور رئيسى سواء كقيادة أو كقوة تفسيرية أو كمصدر للإلهام.

حقاً يمكن القول أن الكثير من هذه الإنتصارات لم تكن حاسمة، ولكننا نعرف جيداً أن الإنتصارات الحاسمة نادرة، والشيوعيون المصريون لم يبلغوا بعد بالفعل ذروة إنتصاراتهم، مثلهم فى ذلك مثل الكثيرين غيرهم من الشيوعيين فى العالم. ولا أزعج أن التنظيمات الشيوعية المصرية تقارن بأى شكل بالحزب الفيتنامى مثلاً علماً بأننى لم أومن أبداً بالتعدد فى فيتنام.

عادة ما يقدم الشيوعيون المصريون فى صورة مثيرة للإزدراء: مجموعات صغيرة على رأسها "أجانب" يتنازعون فيما بينهم، ويقول رفعت السعيد فى كتابه إن "الشيوعيين الحقيقيين ورثة الحزب الشيوعى المصرى القديم لم يكونوا قادرين على مقاومتهم لأن البوليس السياسى كان يترك الأجانب آمنين ويضطهد "المصريين".

إن مواقف كهذه قد لا تحدث إلا جروحاً فى الكبرياء، ولكن المناضلين الشيوعيين المصريين قد إضطروا إلى التنازل عن كل ملمح للكبرياء من أجل البقاء. والخطر حقاً هو ما تتضمنه هذه المواقف من إزدراء للثورة المصرية وللمناضلين المصريين الذين وصفوا بالإنقياد للأجانبى بلا تبصر !

هذه هى التحليلات التى تبغى الحكم علينا ! كان لينين يتسائل: "من هم القضاة؟ وما الذى حققه نقادنا؟"

إن "تحليلاً" ينكر وجود المناضلين الثوريين وكفاءتهم التنظيمية ودورهم، قد يكون مقبولاً من الرجعيين الذين يرددون دائماً أن الشيوعيين المصريين قد "فشلوا"، وأنهم "لم يؤدوا أى دور" ! والذين يتخذون هذه المواقف نفسها من "اليساريين" إنما يتصرفون على أحسن الفروض، مثل الرجعيين وحلفائهم الذين يتلخص التاريخ "من وجهة نظرهم" فى كونه مجموعة من الطرائف.

ولسوف نرى أنه بدون الإعتراف بهذا التيار الثورى لا يمكن تفسير مشكلة الوحدة التى طالما ووجهنا بها، إلا بتوافر "الألفة" أو غيابها أو توافر الطموح لدى بعض الأفراد أو إنعدامه.

كما أن تحليل حركة شيوعية من خلال ما "لم تحققه" يمثل نظرة سياسية محدودة للغاية، ولقد رأينا من جهة أخرى "ما حققه كل هؤلاء الوعاظ".

كيف: لم يكن للحركة الشيوعية المصرية جذور قوية بالريف؟ لم تكن معظم قياداتها من العمال؟ كانت على درجة من التخلف أدت إلى إعتقال الغالبية العظمى من كوادرها؟ لم تكن تشمل القطر المصرى كله؟!

إن هذه الوثيقة تهدف قبل كل شيء إلى المساهمة فى توضيح ما شارك فيه رفاقى وعملوا على إنجازهم لكى يبرز التاريخ الغنى والخصب لهذه الفترة؛ وقد تثير إهتمام مناضلى الحزب الشيوعى المصرى الحاليين الذين يبحثون عن ماض، وهو ماض مجيد يصور لهم على أنه مثير للشفقة؛ وقد يقرأها فى دول أخرى بعض المناضلين الشيوعيين الذين كنا فى مصر ننظر إليهم دائماً نظرة إحترام وحب، والذين كنا نحس بقربهم الشديد منا.

أمل من آمال الرجل العجوز الذى أصبحته، هو أن تنمو هذه الأخوة الحقيقية بين الشيوعيين وأن تظل عربوناً على أخوة الشعوب.

نبذة عن حياتى

لا يألّف الشيوعيون - بفعل نشاطهم النضالى- الحديث عن أنفسهم فضلاً عن رواية سيرهم الذاتية، فيما يختص بى فإن أصدقائى يعرفون بأننى لا أتمتع بموهبة التحليل النفسى؛ ولكن بما أننى قررت تقديم هذه الذكريات ينبغى أن أعطى للقراء عدداً من العناصر التى أمل أن تدمهم بشعاع من نور؛ فبالرغم من الفترة الطويلة جداً التى قضيتها فى النشاط السرى، أعتقد أن الإهتمام "بكشف الأوراق" لا يزال يشغلى. لذا أتمنى لو أستطيع التعبير عن الحقيقة فقط، فأنا مدين لأساتذتى الرهبان اليسوعيين بمقولة أن تمويه الحقيقة أمر ميسور، وأن الكذب يسير، مع الإلتزام بذكر وقائع صحيحة.. لذلك سأبذل قصارى جهدى لأكون صادقاً.

المراد إذن هو الإشارة إلى بعض العناصر المكونة لشخصية المؤلف. فإذا كان صحيحاً أن إنضمامى للشيوعية هو بمثابة ميلاد جديد لى على كل من صعيدى الفكر والعمل المتلازمين، فإن التغييرات الوجدانية التى طرأت على تكاد تكون غير محسوسة؛ فلا أظننى تغيرت فيما يتعلق "بالقلب" - من البديهى أن المعنى المجازى للكلمة هو المقصود حتى لا يظن أحد أننى أجعل من القلب المركز الحقيقى للمشاعر - ولكن شتان بين تكوينى الفكرى "قبل وبعد" الإنضمام للشيوعية.

ولدت منذ زمن طويل فى "حى راق"¹ من أحياء القاهرة فى اليوم الذى عرف فيه الوالدان بانتصار لامارن La Marne كما كان يحلو لهما القول.

كانا أبوين "غير عاديين" وإن كنت فى الواقع لا أعرف عنهما الكثير لأن المشاكل لم تكن لتثار أبداً أمام الأطفال.

¹ حى الزمالك، وكان مولده عام 1914 قبيل قيام الحرب العالمية الأولى.

كان أبى قد فقد بصره فى الثالثة من عمره، على أن هذا لم يقف حائلاً دون إدارته لبنك خاص برعوس أموال أخيه وأخواته الثلاثة عند وفاة والده وقد استقر هؤلاء جميعاً بفرنسا باستثناء أخت واحدة تزوجت من أحد أثرياء الأسكندرية.

حملت إدارة البنك لأبى الكثير من المفاجآت، وبخاصة أنه كان عليه – فى سبيل ذلك – أن يهجر مهنته كعازف بيانو بادی الموهبة. لم يكن أبى يروى شيئاً عن شبابه وحياته ولكنى عرفت أن فى حياته زيجة سابقة، وأن زوجته الأولى قد توفيت.

كانت أمى² هى الأخرى غربية الطباع، ولدت بإستانبول فى عائلة ميسورة وبعد وفاة والدها قام الأبناء على ما يبدو بتبديد الثروة التى تركها لهم. ومن المؤكد أنه تم تعميدها بدير نوتردام – دى – سيون Notre Dame – De Sion حيث تلقت تعليمها. ولقد أثرت عليها نشأتها هذه، مما جعلها تقوم سراً بتعميدنا أنا وأخى، لكنها أبداً لم تذكر شيئاً عن هذا. وعلى العكس من ذلك، لم تخف أمى أبداً إيمانها بجميع الأديان معاً، مروراً بالكنيسة والمعبد اليهودى وحتى زيارة أولياء المسلمين.

كانت أمى هى الأخرى تتمتع بموهبة العزف على البيانو، أما نزعتها الحقيقية فكانت دينية وأعتقد أن زواجها من كيف كان نوعاً من تحقيق الذات. لم يكن زواجاً سعيداً جداً، فقد كان لكل منهما ميل واضح لتدمير الذات، فأبى مثلاً "عاقب" والدتى بهجره للبيانو الذى يضىف عليها البهجة.

ولاشك أنه كان لكل من حماس أمى وعاهة أبى أثره العميق فى طفولتى، علاوة على فاجعة فقدها لأخت صغيرة محبوبة على إثر حادث. ولكن من المؤكد أن الأثر الأكبر والدائم كان "لعاهة" والدى حتى لو كان هذا الأخير قد عاش حياة "ملكية" يحوطه بلاط صغير مؤلف من البنك والأسرة والأصدقاء.

وللإحاطة بجميع أفراد الأسرة يجب ذكر أخى راؤول ذى "العقل الراجح والملئ" الذى عاش هو الآخر حياة فوضوية.

استقرت عائلة أبى بمصر منذ زمن غير محدد، على كل الأحوال منذ إنشاء الدولة الحديثة فى مصر حوالى عام 1850.³ لم نكن من اليهود العرب رغم إنتمائنا الشرقى إلى شبه الجزيرة الإيبيرية ومن ناحية الجنسية، كنا – كالعديد من يهود مصر – إيطاليين نازحين من ليفورن Livourne فعقب حريق بلدية هذه المدينة، أعيد تكوين أرشيف الأحوال المدنية بها، مما أدى إلى إعلان عدد كبير من يهود مصر فى ذلك الوقت إنتسابهم إليها نظراً للإمتيازات المفرطة التى يمنحها الحصول على جنسية أجنبية، وأهمها الخضوع لنظام قضائى خاص. لذا أصبحنا ليفورنيين، وإن كان الأصل الإيطالى للعائلة يبدو لى أمراً محتملاً، فلقد وجدت هذا الإسم شائعاً فى دليل تليفونات كل المدن الإيطالية الكبيرة.

² كانت تدعى زفيرا بيهار، من أسرة يهودية إشتغلت بتجارة السجاد بإستانبول.

³ ليس هناك تاريخ محدد لهجرة أسرة كوريبيل من موطنها فى أسبانيا إلى مصر مروراً بمدينة توسكانة الإيطالية، ولكننا نرجح التاريخ الذى يورده هنرى كوريبيل لأن مصر أصبحت منذ مطلع النصف الثانى من القرن التاسع عشر أكثر إجتذاباً للمستثمرين الأجانب.

وباعتبارنا يهود إيطاليين، تلقينا أنا وأخي تعليماً كله من السنة الأولى الابتدائية وحتى نهاية الدراسة الثانوية في البتي كوليغ Petit College التي تديرها الراهبات، ثم في الجران كوليغ Grand College بالفجالة ويديرها الرهبان اليسوعيون. كان بهذه المدارس نظامان للتعليم منذ الصف السادس الابتدائي: ينتهي الأول بالكالوريا المصرية، والآخر بمثيلتها الفرنسية. وكان طبيعياً أن يقع إختيارنا على هذا النظام الأخير كما أننا لم نتردد في تفضيل اللغة اللاتينية على اللغة العربية.

بعد إتمام دراستنا في عام 1930، على ما أعتقد، تأجل رحيلنا الذي كان مقرراً إلى فرنسا بسبب الأزمة الاقتصادية التي عالجها أبي بصعوبة وكان عزائناً، إن أمكن القول، هو الحصول على ليسانس الحقوق، الشهادة الفرنسية الوحيدة التي يمكن الحصول عليها في مصر. ثم غادر أخي مصر إلى فرنسا و"تقرر" أن أبقى ربما لأنني كنت أقل تفوقاً منه ولكن الإيضاحات لم تتوافر لي.

سبب لي هذا الحدث بليلة شديدة فأنا لم أكن أفكر إلا في السفر إلى فرنسا، لم يكن هذا حلماً، بل كان مصير كل أبناء عمومتى وكل زملائي في الدراسة.

كان من الصعب على يهودى إيطالى تخرج في مدرسة فرنسية أن يجد نقطة إرتباط حقيقية في بلد مسلم؛ وكانت فرنسا هي الوطن الوحيد الذى أشعر بالإرتباط به بعد أن فقدت إيماني مبكراً، فرنسا التي أصبحت فجأة بعيدة المنال.

إن تفاصيل هذه الفترة قليلة الأهمية، وهاهو الإطار المكون لشخصيتي قد تحدد منذ البداية بعناصره المختلفة.

العداء للشيوعية

لا شك أن الحركة الشيوعية المصرية تلقى بصفة خاصة عداء فائقاً وتشويهاً منظماً لعملها رغم أنها تمثل التيار الثورى، ويجب أن أقدم هنا أسباب ذلك:

هناك أولاً العداء الموجود في معسكر "الأعداء" وهو أمر طبيعى. فمصر تعد "أهم البلدان" وهو العنوان الكامل لكتاب صدر بالإنجليزية. لقد حلت فضلاً عن هذا "وزن مصر" وبيئت مدى أهميتها داخل مجموعات عديدة: العالم العربى بالطبع، منطقة البحر المتوسط، والعالم الإسلامى، وأفريقيا، وآسيا القديمة، والعالم الثالث بأكمله. فى كل من هذه المجموعات لعبت مصر دوراً هاماً فى بعض المناسبات. وكان حجم هذا الدور يتفاوت تبعاً لأهداف سياستها، على أنها لم تستطع القيام به، بسبب قصر نظر طبقتها الحاكمة، إلا بعد أن حدد الشيوعيون المصريون تحديداً دقيقاً عدداً من الأهداف سنسرد بعضاً منها فى هذا العمل. من الطبيعى إذن أن تحاول الرجعية العالمية جاهدة أن تقلل من شأن الشيوعيين المصريين الذين يهددون سيطرتها المباشرة وغير المباشرة على هذا البلد. وطبيعى أيضاً أن تتخذ الأنظمة المتتالية المجردة من أية قيمة ذاتية موقفاً مزدوجاً من الحركة الشيوعية المصرية، فهي من ناحية تتقل عنها تحاليل وحلولاً لم تكن لتتوصل إليها بنفسها، وفى الوقت ذاته تشهر بالشيوعيين إلى أقصى درجة. والمدهش أن عبد الناصر قد دفع بهذا الموقف المزدوج إلى الذروة، فليس هناك بين القادة المصريين من يدين مثله للشيوعيين بفهمه للمواقف، وقد كلف الوقت الذى

قضاه في بعض منها الشعب غالباً، كما لم يذهب أحد أبعد منه في عدائه للشيوعيين وإزدرائه لهم. إن فترة حكمه لا تدخل بالطبع في نطاق هذا الكتاب، ولكن لا جدال في أن الرصيد الشيوعي الغنى بالتحليلات وتحديد الأهداف هو المصدر الذي أخذ عبد الناصر "يتزود"⁴ منه؛ ولنا عودة لهذا.

تحتاج إذن الأنظمة المسيطرة في أحلك الظروف إلى إفقاد الشيوعيين إعتبارهم لكي تؤكد إدعاءاتها.

كل هذا "طبيعي" إن صح القول؛ فالوشايات والأكاذيب السفيهة، والمغامرات الدنيئة التي تدعمها كل الوسائل الضخمة هي الأساليب التي تستخدمها الأنظمة التي يدينها التاريخ لتبقى على نفسها. ولقد استعملت كل الوسائل لإهانة الشيوعية والشيوعيون، وحمية مصر من "عدوى الشيوعية" التي قد تفقدها "حريتها".

هذا العداء طبيعي و"شرعي" بشرط أن نجيد الدفاع عن أنفسنا. ولكن للأسف أصبحت "أفكار الطبقة الحاكمة" هذه "أفكاراً غالبية" بين الشيوعيين أنفسهم الذين يتأثرون كثيراً في بعض الأحيان ببعض وجهات النظر "البورجوازية".

ولكن المدهش والأصعب احتمالاً حقاً بسبب ما يخلفه من مرارة هو العداء الذي تعرضنا له ومازلنا نتعرض له من جانب بعض الأحزاب "الشفيفة"؛ هذه الأحزاب التي كانت قادرة على فهمنا، وعلى مساعدتنا: ولم كان ذلك؟ سأروى على صفحات هذا الكتاب كيف أساءت هذه الأحزاب⁵ معاملتنا: الحزب الشيوعي الإنجليزي، الحزب الشيوعي الإيطالي، بل والحزب الشيوعي اليوناني، وبصفة خاصة الحزب الشيوعي الفرنسي، وأيضاً معظم الأحزاب الشيوعية العربية باستثناء الحزب الشيوعي اللبناني وكأنها رغبة مشتركة في العداء رغبة لا يمكن تصورها ثانية واحدة..

* * *

إن أول ما يسترعى الإنتباه في الدراسات التاريخية هو غياب التاريخ لمراحل التطور مع كونها مشكلة جوهرية تشغل بالفعل كوادر الحركة المصرية للتححر الوطني (MELN) – أين كنا؟ من أين أتينا؟ إلى أين نقصد؟ بدون رؤية واضحة لهذه المسائل، "تفقد تحديد الإتجاه" هذه القاعدة لم تكن يوماً أكثر صحة منها اليوم.

والتاريخ لمراحل الحركة الشيوعية المصرية، وهو الذي يهمننا، ليس ذاتياً فحسب، بل يرتبط بوضع وطني وعالمي. وسنرى ذلك عندما نعرض لتاريخ الفترات المختلفة.

1. فترة "التكوين الأولى": لا تزال هذه التسمية التي أطلقناها عليها صالحة للفترة التي تبدأ في تاريخ غير محدد وتنتهي بالنسبة لنا في أكتوبر 1943. وهي تنقسم بدورها إلى مرحلتين:

⁴استمد جمال عبد الناصر أفكاره من الفكر البورجوازي الإصلاحى الذى كان مطروحاً على الساحة السياسية فى مصر منذ الأربعينيات، كما استمد بعضها من الفكر الإشتراكى بقدر محدود تزايد تزايداً نسبياً فى الستينيات على وجه الخصوص.
⁵حول موقف الحركة الشيوعية الدولية من الحركة الشيوعية المصرية، راجع الدراسة السابقة.

- المرحلة: التي تنتهى فى ديسمبر سنة 1942.
- والمرحلة: التي تليها والمدهش أن المرحلة الأولى هي التي تلقى الإهتمام مع أنها في الواقع مثيرة فقط؛ ولنا عودة إليها.
- 2. وتشهد الفترة الثانية: فى أكتوبر سنة 1943 ميلاد الحركة المصرية للتححرر الوطنى كخلية شيوعية تحمل مسئولية بناء "حزب شيوعى مصرى" PCE وتستمر حتى أكتوبر سنة 1945 حيث إشتراك الحركة بإسمها ورايتها فى ظروف معينة فى النضال الوطنى للجماهير ولم تكن هذه الفترة قد إنتهت بعد.
- 3. الفترة الثالثة: وتمتد من أكتوبر سنة 1945 حتى حريق القاهرة وثورة سنة 1952 وهى تشمل أربع مراحل متتالية:
 - أكتوبر سنة 1945 إلى مايو سنة 1947: تأسيس الحركة الديمقراطية للتححرر الوطنى.
 - مايو سنة 1947 إلى مايو سنة 1948؛ حرب فلسطين.
 - حقبة المعتقلات.
 - النهضة، أو بالأحرى الميلاد الثانى.

ذكريات الميلاد (أو الميلاد الثانى)

1934 – 1943

منذ حل الحزب الشيوعى المصرى الأول فى 1924 كان للشيوعيين دائماً وجود فى مصر. إنطلاقاً من هذه الحقيقة دافع المؤرخ رفعت السعيد عن فكرة الوجود الدائم لحركة شيوعية مصرية؛ وهذا خطأ كبير فطوال فترة كاملة لم يكن هناك وجود لحركة شيوعية – مع استمرار وجود الشيوعيين – فضلاً عن عدم وجود حزب شيوعى ولو فى شكله البدائى.

عنوان هذا الفصل صحيح إذن: لقد ولدت بالفعل حركة شيوعية مصرية، وهذا الميلاد هو ما سنتحدث عنه: لم يكن هذا الميلاد وليد الصدفة، بل هو وليد ظروف معينة جديدة تماماً مقارنة بالظروف السابقة عليها التي لم تولد فيها الحركة الشيوعية المصرية. ينبغى إذن قبل كل شيء دراسة هذه الظروف، وسنرى أنها لم تكن فقط وراء ميلاد الحركة الشيوعية المصرية ولكنها توضح أيضاً بعضاً من معالمها، وبخاصة الدور الذى لعبه "الأجانب" فى ميلادها.

ويشمل القسم الأول فترات ثلاث:

- 1934 / 1935 إلى يونيو سنة 1941؛ دخول الإتحاد السوفييتى الحرب.

- يونيو سنة 1941 إلى فبراير سنة 1942: حيث تبلغ هذه الظروف مرحلة النضج.
- فبراير سنة 1942 إلى نوفمبر سنة 1943: ميلاد الحركة المصرية للتححر الوطنى
-MELN.

أما القسم الثانى:

فيتكون من أربع فترات قد تصل إلى خمس:

- نوفمبر سنة 1943 إلى أكتوبر سنة 1945: فترة "التكوين الأولى".
- أكتوبر سنة 1945 إلى يوليو سنة 1946: فترة المد.
- يوليو سنة 1946 إلى مايو سنة 1948.
- مايو سنة 1948 إلى فبراير سنة 1950.
- فبراير سنة 1950 إلى يوليو سنة 1952.

القسم الأول:

1 - سنة 1934 - سنة 1941.

كان عام 1934 / 1935 عاماً فاصلاً على الصعيد الدولى، كما كان عام إختيار هام بالنسبة لى فقد وضعنى هذا العام الذى بلغت فيه سن الرشد أمام خيارين:

الخيار الأول: هو الحصول على الجنسية المصرية.

أما الثانى: فهو الإحتفاظ بجنسية والدى الإيطالية التى تضمن لى "الإمتيازات الأجنبية" الهائلة؛ مما جعل من ممارسة الإختيار عملية غير متوازنة.

لم أكن فى إختيارى مدفوعاً بحبى لمصر، هذا الحب الذى يشاركنى فيه الكثير من الأجانب، وخاصة أن الإمتيازات التى يتمتعون بها تجعل الحياة فيها ناعمة، بقدر ما كنت مدفوعاً بنفورى من هذه الإمتيازات. وقد ساهمت أيضاً المظاهرات الشعبية تلك⁶ فى رغبتى فى "التمصير" الصريح، وجدير بالذكر أن مؤتمر الدولية الشيوعية السابع كان محدداً لإنعقاده الفترة من يوليو - أغسطس لهذا العام.

إن الخصومة بين الإمبرياليين الإنجليز والفرنسيين من ناحية، ومن ناحية أخرى الأنظمة الفاشية فى إيطاليا، وألمانيا حيث وصل هتلر إلى السلطة عام 1933، وأيضاً اليابان، بدأت تأخذ شكلاً حاداً لا فى أوروبا -ليس بعد- ولكن فى منطقة النفوذ الحافلة بالتناقضات

⁶ يقصد بذلك المظاهرات التى نظمها الطلبة عام 1935 للمطالبة بتكوين "جبهة وطنية" من الأحزاب البورجوازية المتصارعة للعمل على عودة دستور 1923، وتحقيق الاستقلال الوطنى.

الإمبريالية: المستعمرات أو المنطقة التي تدعى اليوم بالعالم الثالث. ويظهر الصراع فى سلسلة من الإعتداءات من جانب الدول الفاشية وأهمها عدوان إيطاليا على أثيوبيا، واليابان على الصين، وإيطاليا وألمانيا على أسبانيا الجمهورية.

كان للدول الفاشية بالإضافة إلى هذه الأعمال السافرة، سياسة حاضرة ونشيطة تعتمد على رعاياها العديدين فى الكثير من البلدان مثل الإيطاليين فى مصر، وعلى العناصر الوطنية التى يدفعها قصر نظرها الطبيعى والملازم للوطنية المجردة إلى "التفكير" تبعاً للقاعدة الشهيرة والكريهة معاً على المستوى الوطنى: "أعداء أعداءنا أصدقاء لنا" !!

العنصر الآخر الذى يشكل السمة الهامة الثانية للوضع الدولى هو التأثير المتزايد لحركات الجماهير: صعود "الجبهات الشعبية" المعتمد فى سنة 1935 من المؤتمر السابع للدولية الشيوعية، وهو صعود له تأثير كبير فى أوروبا وخارجها.

ولكن، فلنطرح العموميات جانباً، ولننتقل إلى الوضع المصرى الذى لا غنى عنه لفهم المسألة التى تشغلنا، وأكرر القول بأن عرضه سيكون موجزاً للغاية.

كان هذا العام 1934 / 1935 عاماً فاصلاً أيضاً فى مصر وإن كانت مشاركتها فى التيارات الكبرى للسياسة العالمية غير واضحة: هاهى الحركة الوطنية بقيادتها الوفدية⁷ تساعد على إتساع نطاق المظاهرات ضد نظام صدقى الاستبدادى والكريه، للتعبير فى آن واحد عن مطالبها الديمقراطية وتطلعاتها الوطنية للاستقلال، وهى تطلعات ومطالب ترتبط بعمق ببعضها البعض.

أما السياسة الإنجليزية فكانت تحت تأثير الوضع الدولى والداخلى تجرى إنعطافاً كاملاً لتحقيق حماية أفضل لمصالحها بالطبع، وسيتم هذا الإنعطاف على نطاق واسع فى الشرق الأوسط كله بصفة خاصة، ولكننا سنكتفى بدراسته فى مصر حتى لا ننجرف بعيداً.

كانت السياسة الإنجليزية فى مصر حتى عام 1935 تستند على حماية مصالح "الأقليات الأجنبية" العديدة والمؤثرة التى تشكل بدورها أكبر دعامة لها وفى مقابل ذلك كانت إنجلترا توفر لهذه الأقليات "الإمتيازات الأجنبية" المفرطة التى سبق الحديث عنها؛ ولندكر هنا أن روسيا البلشفية قد تنازلت من طرف واحد عن هذه الإمتيازات منذ بداية الثورة.

فى مواجهة الخطر الإيطالى فى البحر المتوسط وأفريقيا، وفى مواجهة الدعاية الإيطالية والألمانية الفعالة فى البلد ذاته سيقوم الإنجليز بتغيير حقيقى فى هذه السياسة حيث سيقدمون بعض التضحيات لتجنب الإخفاق؛ ومن هذه التضحيات التخلّى الكامل أو شبه الكامل عن هذه "الأقليات الأجنبية"، ومحاولة التوصل إلى تسوية مع الوفد بإعتباره ممثلاً شديداً الإعتدال للحركة الوطنية. (وقد بينت فى بحث صغير كتبته عام 1950 الدور الكبير الذى قام به لكبح الثورة الوطنية عام 1919). سيعهد الإنجليز إذن بالسلطة مؤقتاً إلى الوفد نظراً لميلهم إلى الديمقراطية على الصعيد الدولى؛ وسيمارس الوفد هذه السلطة على حساب

⁷سنعود لاحقاً لتحليل الوفد الذى يتعذر وصفه "بالبورجوازية" بسبب تكوينه الإجتماعى المركب الذى تقوم فيه البورجوازية بدور متواضع (هنرى كوريبيل).

"الأقليات الأجنبية" التي لم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها؛ فهو سيقوم على سبيل المثال بإصدار قانون للديون العقارية، بمقتضى هذا القانون لا تمس القروض التي تمنحها البنوك الأجنبية الكبيرة بينما تصفى تلك التي تم أخذها من الأفراد "الأجانب" في مصر؛ لا مجال هنا للتباكي على هؤلاء فهدفنا هو توضيح ميكانيزم (تركيب) التحالفات. سيفرض الوفد أيضاً على "الأجانب" إشراك مالكين مصريين في "مشاريعهم"؛ وهذا يمثل في أحيان كثيرة مجرد صورة طفيلية حيث أن مقاعد مجلس الإدارة في معظم الأحيان لم تكن تحقق مشاركة فعلية في النشاط بقدر ما تكافئ العلاقات القائمة مع جهاز الدولة "الوطني" ولنتوقف هنا....

وعلى صعيد العلاقات مع إنجلترا، سيوقع الوفد "معاهدة الشرف والاستقلال" التي تؤمن للإنجليز قوام سيطرتهم، وتخدر الهيجان الوطني لفترة طويلة، وتحول الوفد من عدو إلى حليف لإنجلترا مع إعطائه ميزة إنتصار تحقق بسهولة، هذا بالإضافة إلى الاستخدام المثمر جداً لجهاز الدولة⁸.

ومن الآن فصاعداً وحتى فبراير 1942 تتلخص "السياسة" في مصر في صراع بين السراى والوفد على استخدام هذا الجهاز؛ كل يريد استغلاله لصالحه ولكن بينما تلتف حول السراى مجموعة واسعة من القوى شديدة الرجعية يستند الوفد على تأييد الجماهير؛ هذا هو الفارق المحسوس بين الطرفين ولكن هذا ليس مرادنا.

ولنعد الآن إلى موضوعنا: ما النتائج التي سيسفر عنها الوضع الجديد في مصر؟ الحركة الوطنية في ذروة الإضطراب فالأهداف قد تحققت حسب الموقف المعلن، ولكن هناك بعض العناصر التي تدرك عدم صحة هذه المقولة. ماذا ستفعل هذه العناصر؟ ستتتحالف معظمها مع النازيين والفاشيين: كما فعل أنور السادات مثلاً؛ إن هذا الموقف مشابه للموقف الذي أدى إلى تصفية الحزب الوطني أثناء الحرب العالمية الأولى كقائد أساسى للحركة الوطنية لصالح حزب الوفد.

وعلى النقيض من هذا، سينفتح فنانون وكتاب ومثقفون على التأثيرات التقدمية الآتية من أوروبا وفرنسا بصفة خاصة؛ وسيصبح الكثير منهم سرياليين في الوقت الذى تشرف فيه هذه الحركة على الإنتهاء فى أوروبا وآخرون، وأحياناً يتحول الأشخاص أنفسهم إلى تروتسكيين (أنصار أفكار تروتسكى والأممية الرابعة): سنجد فيما يلى سطوراً عنهم، والبعض الآخر شيوعيون؛ ولكن نكرر القول بأنه كان إنضماماً فردياً إلى مذهب لا يزال مجرداً وغير معروف تماماً لهم. ويرى هؤلاء الشيوعيون بدورهم أن المسألة الوطنية قد حلت عملياً، ويتحدثون عن الصراع الذى يجب قيادته ضد "البورجوازية المصرية" وهذا هو أيضاً إعتقاد العديد من الشيوعيين بالخارج كما قرأناه فى المقالات شديدة الندرة المخصصة لمصر فى أعداد مجلة "المراسلات الدولية" «Correspondance Internationale» التى كانت - وباللغزابة!- تصل من حين لآخر إلى مصر بعد مرورها برقابة تتميز بالشدة والغباء معاً.

⁸ بالنسبة لجزء من الوفد سيتم هذا بمنتهى حسن النية؛ على سبيل المثال طه حسين الذى كان فى هذه الفترة على ما أذكر وزيراً للتعليم سيتحدث عن مهام وزارته "بعد الحصول على الاستقلال". (هنرى كورييل).

كان تطور العناصر التقدمية بالجاليات الأجنبية يتم بطريقة سريعة وجذرية ولندع جانباً الجاليات المرتبطة بدولة مثل اليونانيين الذين يناضل معظمهم داخل جاليتهم ذاتها؛ هناك أيضاً شيوعيون آخرون كانوا عابري سبيل وهم المدرسون الفرنسيون والإنجليز الأعضاء فى أحزاب بلادهم. المعنيون هنا هم الآخرون، وهم بصفة أساسية يهود من جنسيات مختلفة – "الإمميزات الأجنبية" الشهيرة تظهر مرة أخرى – يتحدث معظمهم الفرنسية، حيث أنهم تلقوا تعليمهم فى اللسيهات (المدارس) المتقدمة للإرسالية العلمانية الفرنسية Mission Laïque Française وقد تأثر هؤلاء بالنضال الأوروبى ولاسيما فى فرنسا حيث إنتصر الحزب الشيوعى الفرنسى والجبهة الشعبية فى إنتخابات سنة 1936، ولكنهم لم يتأثروا كثيراً بالمشاكل الوطنية الداخلية كانوا بالطبع ينفرون من الفاشية التى فتنت الكثير من الوطنيين المصريين، وقد نجحوا بحق فى إكتساب البعد الوطنى عن طريق إنخراطهم فى الشيوعية، العدو الطبيعى للفاشية، فباعناهم الشيوعية فى مصر أصبحوا شيوعيين مصريين، وكانت الشيوعية هى الجانب الوحيد الذى يعترف به كمصريين.

كيف يتسنى ليهودى فى نهاية الثلاثينيات أن يصبح حراً دستورياً أو حتى وفدياً؟! بالإختصار لم يكن أمام هؤلاء من سبيل غير الشيوعية، لذا سلكه عدد كبير منهم مدفوعين فى ذلك بعدة عوامل: تأثرهم بالحركة الشيوعية الدولية أكثر من العناصر المصرية، نفورهم من الخيار الفاشى، بعدهم عن الحياة السياسية المصرية، وأخيراً عدم إنحيازهم إلى تيار سياسى آخر إذ كيف السبيل لأن يكون الإنسان راديكالياً إشتراكياً أو حتى إشتراكياً ديمقراطياً؟

هكذا يتضح من خلال ظروف معينة الدور الذى قام به هؤلاء فى حقبة ميلاد الحركة الشيوعية المصرية؛ لا غموض هناك يستحق كل هذه "العقد" التى يشعر بها بعض الشيوعيين المصريين فى هذا الصدد. ومهما يكن من ظن بعض رفاقي المتطرفين فى وطنيتهم، لم يكن هذا الدور سلبياً على الإطلاق؛ وإلا فلماذا بذلت الرجعية المصرية البالغة السوء كل هذه الجهود لإخراجهم من مصر مسترشدة فى ذلك بأصدقائها الإمبرياليين ! هل كانت تهدف إلى دعم الحركة الشيوعية المصرية ؟ هل أصبحت فجأة الحركة الشيوعية أكثر قوة بعد خروجهم؟ على أية حال ستكون لنا عودة لتحليل الدور الذى قاموا به بدون أفكار مسبقة فى هذا الإتجاه أو ذاك.

ولنعد الآن إلى موضوعنا: بميلاد الحركة الشيوعية المصرية؛ يأخذ عدد الشيوعيين فى الفترة من سنة 1935 إلى 1941 فى الإزدياد زيادة لا يستهان بها وإن كانت بطيئة؛ ويبدل الشيوعيون الأجانب الذين يتضاعف عددهم جهوداً حميدة لإقناع المصريين دون نجاح كبير. يجب القول بأن المهمة الرئيسية للشيوعيين الأجانب والمصريين على السواء هى بالفعل الدعاية لأفكارهم ومضاعفة عدد الأشخاص الذين يعتنقون الشيوعية "كمذهب" مجرد لا تزال تطبيقاته العملية فى مصر مبهمة على أقل تقدير. وتتحقق هذه الدعاية عندما تكون القوى كافية لإنشائها من خلال "المنديات" وعن طريق منشورات صغيرة متفاوتة الإنتظام تصدر فى مناسبات معينة وكانت الأنشطة "السياسية" تتم على الصعيد الدولى فقط: الدعاية ضد العدوان الإيطالى على أثيوبيا وضد العدوان اليابانى على الصين، جمع التبرعات لمساعدة أسبانيا الجمهورية. بالإضافة إلى هذا، ينشئ الشيوعيون الأكثر نضجاً، وهم

الشيوعيون القادمون من الخارج، "رابطة سلام" تعمل على تشجيع النضال من أجل الحفاظ على السلام الدولي، ولكنها تظل مجموعة صغيرة بلا تأثير يذكر لصعوبة تعميم هذا الهدف.

أما "الإتحاد الديمقراطي" المعادى للفاشية فسرعان ما شل حركته التدخل المنظم للبوليس الذى لا يخفى تعاطفه مع الفاشية، وهو تعاطف تشاركه فيه الحكومات التى خلفت الوفد فى هذه الفترة. وقد شاركت عناصر مهاجرة – انضم إليها يونس⁹ – من "رابطة السلام" (المتحزبة فى رأيهم) فى تأسيس هذا الإتحاد على قواعد واسعة من الفرنسيين والإنجليز واليونانيين والإيطاليين واليهود بالطبع، وأيضاً من المصريين الذين كان بعضهم على درجة من النفوذ.

ويبذل الشيوعيون مجهوداً كبيراً: يكون البعض مجموعات صغيرة، ويعتقل البعض الآخر! البعض يجتهد، وينجح البعض فى الإتحاد بالأحزاب الشيوعية الأجنبية التى لا تسفر نصائحها عن أى تطور.

ولا يغير إعلان الحرب فى سنة 1940 بدوره شيئاً يذكر من هذا الوضع، ولا يمثل الإتحاق الألمانى – السوفييتى ولا حرب فنلندا أزمة ضمير بالنسبة للمناضلين فى هذه الحقبة؛ فالإتحاق مع ألمانيا ليس بالتصرف الشاذ من وجهة نظر الشيوعيين الأجانب الذين فهموا جميعاً موقف ألمانيا على وجهه الصحيح؛ فهى قد خانت تشيكوسلوفاكيا فى محاولتها إقامة حلف يجمع بين "الديمقراطيتين" الإنجليزية والفرنسية والفاشية الإيطالية والألمانية، لذا لم يصدموا لمحاولة الإتحاد السوفييتى من جانبه كسب الوقت لكسر هذا التحالف فى مواجهة إختبار القوة الحتمى الذى تعده له مجموعة الإمبرياليين "الديمقراطيين" والفاشيين. كنا إذن مقتنعين بأن هذا الإجراء يستهدف الإبقاء على وطن الاشتراكية.

ينبغى هنا ذكر الحادث الذى أخذ شكل الصراع من أجل تغيير اسم "الإتحاد الديمقراطي" قد يكون هذا الحادث بلا قيمة تاريخية ولكنه يبين موقف الشيوعيين فى مصر من الإمبريالية الإنجليزية، وإليكم الأحداث.

فى بداية الحرب كانت الرجعية المصرية تغازل الفاشية على مرأى منا، بينما كان الإنجليز الواثقون من تحقيق نصر قريب "يعدون للمستقبل عدته"؛ من أجل هذا إتصلوا بالمعادين للفاشية الإيطالية بالإتحاد الديمقراطي، وقالوا لهم ما معناه: "يجب أن نعد لما بعد الحرب؛ علينا أن نبذل كل ما فى وسعنا لتفادى إقامة نظام شيوعى بعد الإطاحة بالفاشية. تعاونوا معنا للإعداد لنظام "ديمقراطى" فى إيطاليا. وسنرى فيما بعد عندما نعرض "للمسألة اليونانية" المدى الذى يمكن أن يبلغه هذا الإعداد، ولكن هذا ليس موضوعنا، ولندع جانباً الشيوعيين المنتمين لجاليات أجنبية وصلاتهم بالإنجليز، ولنعد إلى مصر.

ذات مساء بعد إعلان الحرب، استقبلنا فى "الإتحاد الديمقراطي" زائراً غريباً – إنجليزياً – قال لنا إجمالاً:

⁹يونس الاسم الحركى لهنرى كوريبيل.

"إن رابطةكم تهمننا كثيراً ! ونحن نعرض عليكم كل المساعدة التي قد تحتاجون إليها لكي تصبح قوية وتنتشر في مصر كلها". عرفنا فيما بعد أنه يقصد مشروع "إخوان الحرية الذي فشل فشلاً ذريعاً لأنه لم يضم سوى عملاء الإنجليز من المصريين؛ ومن الصعب تخيل درجة فقد الثقة التي وصل إليها هؤلاء برغم أو بسبب المساعدات التي يحصلون عليها.

أثارت هذه الزيارة إضطراباً كبيراً في الإتحاد الديمقراطي حيث كانت الغالبية العظمى بإدارة الرابطة ترغب في الموافقة فهي ترى عناصرها مضطهدة ومشلولة الحركة بسبب البوليس المصري الفاشي، كما أنها ترى أن الدعم الإنجليزي يمكن استغلاله في تنمية أنشطة الرابطة المعادية للفاشية بطريقة هائلة؛ وهذا في نظرها هدف يبيح "الإتفاق" مع الإنجليز.

كنت ثاني إثنين وقفا في وجه هذا الرأي؛ وكان الآخر هو جورج - هنري بوانتي Georges Henri Pointet عضو حزب العمل السويسري ومدرس اللغة الفرنسية بالمدارس الثانوية المصرية؛ وقد انضم فيما بعد إلى قوات فرنسا الحرة ومات بشرف أثناء المعركة؛ لقد كان مناضلاً شيوعياً مؤثراً ومخلصاً بحق، وربما أجد متسعاً للحديث عن نشاطنا المشترك خلال هذه الفترة.

طلب مني جورج - هنري بوانتي عند تطوعه - وكان واثقاً من عدم العودة- أن أبلغ حزبه أنه ظل للنهية مخلصاً له، الأمر الذي لم تتح لي فرصة لتنفيذه.

كان جورج عضواً بإدارة الإتحاد الديمقراطي، أما أنا فلم أرغب في عضويتها حتى لا "أعرض" الرابطة للخطر، فتعاركنا معاً، ولكن يجب أن أعترف أن أحداً لم يعترض على دخولي اللجنة.

كانت الأمور تبدو بسيطة فحرب سنة 1940 هي حرب بين إمبرياليين وعلينا ألا نشارك فيها بمال، وألا نرتبط بأى من أطرافها. وكان الأمر يختلف معي قليلاً، ففي بداية الحرب تطوعت في الجيش الفرنسي: لم أكن حينئذ أشعر بمسئولية خاصة في مجال العمل السياسي ولم أكن أدرك حقاً أن الديمقراطية، سواء كانت إمبريالية أو رجعية تعادل الفاشية؛ كنت إلى حد ما قد إتخذت قرارى الذى أنبنى عليه بوانتى، على كل الأحوال لم يكن لتطوعى نتيجة عملية حيث أنه لم يتم أبداً استدعاء المتطوعين.

ولكن التعاون مع الإنجليز أمر مختلف تماماً. لم يكن هذا الموقف صادراً عن "غريزة طبقية" فأنا لم أملك يوماً مثل هذه الغريزة: مع الإنسحاب الأوروبى تجمع في مصر العديد من عملاء المخابرات Intelligence Service، هل أحتاج إلى القول بأننى لم أشعر نحوهم بأى نفور؟ يجب هنا أن أعترف بأمانة أن "الحقد الطبقي" تجاه "المستغلين" ينعدم لدى، وبأننى كنت وللأسف لا أزال أميل إلى فهمهم؛ الأمر الذى لا يثير الدهشة على الإطلاق فالعديد من الغرائز ينقصنى وبخاصة القدرة على تكوين رأى يعتد به محدثى ! ولكن في حالتنا هذه، كان الوضع المصرى هو القضية: هل كان ممكناً أن نأمل في إقامة علاقات مع المصريين التقدميين ونحن متورطون ولو قليلاً مع مضطهديهم؟! كان هذا الأمر يبدو لي جلياً.

لم ننجح فى إقناعهم، ولكننا إنتصرنا بفضل إصرارنا، فغيرت رابطتنا إسمها وأصبحت "الرابطة الديمقراطية"، ولم يعد وارداً استخدامها لصالح السياسة الإنجليزية وأخيراً لم نر بعد ذلك صاحبنا الإنجليزي، وأعتقد أنه من ناحيته قد لقي تعنيفاً شديداً لإتصاله بنا.

ولكننا سنلتقى فيما بعد وفى أكثر من مناسبة بالمشكلة الهامة التى تشكلها العلاقات مع الإنجليز أثناء الحرب العالمية الثانية حيث سنعرض للفترة التى أصبحت فيها إنجلترا حليفاً للإتحاد السوفييتى، وهو وضع أكثر تعقيداً.

إذا كانت هذه الفترة كلها قد شهدت تزايداً ملحوظاً فى عدد الشيوعيين الأجانب والمصريين على حد سواء، فإن نشاط هؤلاء ظل نشاطاً فردياً يتم من خلال المنتديات على إختلاف أنواعها ولم يتجاوز الشكل الجماعى المحدود. فلنكرر القول: "هناك شيوعيون عديدون، ولكن لا وجود لحركة شيوعية مصرية حيث أن ظروف ميلادها لم تتحقق بعد".

2 - يونيو سنة 1941 - فبراير سنة 1942:

ستتحقق هذه الظروف، وهى بالتحديد ثلاثة، فى الفترة بين يونيو سنة 1941 وفبراير سنة 1942: العدوان النازى على الإتحاد السوفييتى فى 21 يونيو سنة 1941، تغيير الحكومة بالقاهرة تحت ضغط من القوات المسلحة البريطانية فى 4 فبراير سنة 1942، وأخيراً إنتصار ستالينجراد فى فبراير سنة 1943.

أثار العدوان النازى الكثيرين منا؛ وكانت صدمتى فى حال مصر البائس ولاسيما فى الريف هى الدافع وراء بحثى عن حلول لهذه المشكلة، وقد فشلت كل محاولاتى لإيجاد حلول بدءاً من الجهود الميدانية العملية مثل رعاية "فلاحينا"¹⁰ بأقصى جهدنا، أنا والسيدة التى أصبحت فيما بعد زوجتى والتى تتمتع بكفاءة عالية فى مسائل الصحة والنظافة، وميلاً إلى البحث الفلسفى حيث إنضمت إلى مجموعة رينيه الحبشى الإنسانية بالقاهرة (مجموعة تعتنق مذهباً يؤكد على أهمية الشخصية الإنسانية وعدم جواز إنتهاك حريتها).

لن أطيل الحديث عن هذه الإتجاهات وغيرها فهى جميعاً قد إنتهت إلى طريق مسدود؛ بهذه الطريقة، وفى ظل ظروف لا أتذكرها على وجه التحديد، إكتشفت الشيوعية ولم أتخلى عنها ليوم واحد فى حياتى الطويلة.

فى البداية، وجدت فى الشيوعية الإجابة على مشاغلى الإجتماعية؛ إننى أذكر فى هذا الصدد مقالاً صغيراً نشرته فى إحدى المجلات الأسبوعية التى توليت إدارتها؛ برهنت فى هذا المقال على أن حال الحمار فى مصر أفضل كثيراً من الفلاح..

أصبحت شيوعياً إذن لأننى لم أحتمل سوء أحوال الجماهير المصرية ولاسيما الفلاحين؛ أما الجانب "السياسى" للمذهب فلم أتبينه إلا فيما بعد بالتدريج.

¹⁰ يقصد الفلاحين بعزبة والده بالمنصورة، حيث قام هنرى وروزيت بزيارات متعددة لهم فى بيوتهم لتزويدهم بالأدوية الوقائية.

علمت بنبأ العدوان النازى¹¹ فى طريق عودتى بالقطار من أحد أملاك أبى، بينما كنت أقرأ نشرة صغيرة عن "التعليم فى الإتحاد السوفييتى" كنت مندهشاً مما تحقق فى هذا البلد بينما لم يبذل فى بلدى مجهود لتحسين الوضع، هزنى النبأ.. نتائج كل هذه الجهود معرضة إذن للضياع.. لم أحتمل هذه الفكرة وقررت أن الوقت قد حان لكى أهب نفسى للنضال أساساً.. أظن أن هذا هو رد فعل الكثير من الشيوعيين وبصفة خاصة الأجانب منهم حيث شعر الجميع بإرتباطهم بمصير هذه الحرب، وكنت أتميز عن معظم هؤلاء بأن أعبأى المهنية الخفيفة توفر لى إمكانات واسعة نسبياً.

الحادث الثانى معروف تماماً: فى 4 فبراير سنة 1942 طلب السفير الإنجليزى¹²، سير مايلز لامبسون، من الملك تغيير حكومة على ماهر لميولها الفاشية، وإعادة الوفد إلى السلطة، رفض الملك خوفاً من أن ينتقم الوفد لنفسه بعد جميع الضربات التى وجهتها له السراى، فتوجه السفير إلى السراى على رأس كتبية إنجليزية مسلحة تصحبها الدبابات. فأذعن الملك.

كان للحدث دوى هائل بين العناصر الوطنية غير الشيوعية التى رأت فيها الدليل على أن صلات إنجلترا بمصر لم تزل صلات سيادة، وأن شيئاً لم يتغير بالرغم من الإعتقاد الشائع بأن المعاهدة قد أنهت ذلك العهد الذى كانت فيه الحكومات المصرية مضطرة إلى الإذعان أمام تهديد الأسلحة الإنجليزية. مثال من ردود فعل هذا الحدث: استقالة اللواء محمد نجيب الذى جسد لفترة ثورة سنة 1952، وقد عاد محمد نجيب وسحبها استجابة لطلب فاروق.

فقد الوفد شيئاً من نفوذه فى هذا الموقف: وإن كان توليه السلطة أوقف ردود الفعل الشعبية، إلا أن رأى العام كان بعيداً عن الإبتهاج، كما ظلت العناصر الوطنية المتشددة على موقفها المعارض، وهى عناصر غير وفدية وبالتالي قليلة نسبياً.

وأخيراً العنصر الثالث من الوضع الجديد: معركة ستالينجراد، فى هذه المعركة لم تحرز الجيوش السوفيتية إنتصاراً حاسماً ضد جيوش ألمانيا فحسب، بل إنها قلبت رأساً على عقب البنية الأيديولوجية المعادية للسوفييت – وأستطيع هنا أن أشهد أنها فعلت ذلك بالنسبة لمصر – وبالتالي للشيوعية منذ عام 1917.

كانت هذه البنية تقوم على عنصرين رئيسيين:

أولهما: عدم فعالية إقتصاد يرتكز على الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج: "الإخفاق" المتوالى للخطط الخمسية.

وثانيهما: هو التفكك الإجتماعى فى دولة "ملحدة" حيث تعطى بوفرة التفاصيل عن حالة الإنحلال الخلقى السائدة فى الإتحاد السوفييتى، فالطبقات المالكة فى مصر تتادى بمبادئ شديدة الصرامة بالرغم من إنحلالها !!

¹¹ يقصد الغزو الألمانى للإتحاد السوفييتى.

¹² لورد كيلرن فيما بعد.

أخذ تراشق المدافع فى ستالينجراد يدك ويدمر جذرياً هذين المفهومين خاصة أن الجيش المهزوم كان يبدو منيعاً: "الجنرال شتاء" هو الذى فاز أمام موسكو !! وبدا المعنى الجلى لهذا النصر وهو إرتكاز النظام السوفييتى على الجماهير الشعبية التى دافعت عنه ببطولة بلغت حد التضحيات الخارقة، بالإضافة إلى تمتع إقتصاده بقوة وفعالية لا مثيل لهما.

ونقل فى هذا المجال إن إعادة تأسيس البنى الأيديولوجية المعادية للسوفييت فى مصر تتطلب وقتاً طويلاً؛ وقد أوقف تحالف الإتحاد السوفييتى مع القوى الغربية الجهود المبذولة فى هذا الإتجاه حتى نهاية الحرب، ثم زادت بعد ذلك مساندة الإتحاد السوفييتى الحازمة للمطالب الوطنية من تعاطف جماهير المصريين وأيضاً قطاع هام من البورجوازية. على أنه يجب التركيز بإصرار على أن "الظروف الموضوعية" لا تكفى وحدها؛ فقد لعبت مساندة الشيوعيين المصريين الحازمة دوراً حاسماً فى ذلك وكذلك تفسيراتهم المستمرة فى مواجهة الإفتراءات المعادية للسوفييت وحملات التشهير؛ وعندما أثيرت الأفكار المعادية للسوفييت وغيرها مثل: الإتحاد السوفييتى قوة عدوانية وتوسعية أساساً، الإتحاد السوفييتى هو القوة "الاستعمارية الرئيسية" !! الإتحاد السوفييتى قوة عظيمة تهدف إلى إقتسام العالم مع الولايات المتحدة، وفى الوقت ذاته الإتحاد السوفييتى الدولة ذات الإقتصاد المتأخر حتماً، وجهت الحملات النشطة للشيوعيين فى كل البلاد ضربات حاسمة لتلك الدعاية المعادية، على أساس من الحقائق السوفييتية.

والمثير للأسف حقاً هو تأثير الشيوعيين فى بعض البلاد بالحملة البائسة "من أجل حقوق الإنسان" التى اضطرت إلى الإرتداد إليها الأنظمة البورجوازية بأزماتها الدائمة والمتزايدة، فهم لم يكتفوا بعدم التصدى لها بل إنهم إعتقدوا أن إشتراكهم فيها سيقوى من نفوذهم، لا يمكن وصف هذه السياسة المذهلة بأقل من قصر النظر حتى لا نستخدم ألفاظاً أقوى. ولنعد إلى مصر خلال تلك الفترة، ولنقل إن الظروف الموضوعية لميلاد حركة شيوعية مصرية حقيقية قد إكتملت بنصر ستالينجراد.

وجدير بالذكر أننا بدأنا فى تحقيق الظروف الذاتية لميلادها إعتباراً من يونيو 1941 حيث إفتتحنا مكتبة بإحدى ميادين وسط القاهرة¹³ وأسميناها "الميدان"، وقع الإختيار لهذا الإسم لمعناه المزدوج: ميدان، وساحة قتال؛ تم الإفتتاح الذى أثار استنكاراً شديداً دون صعوبات كبيرة لإشتراك الإتحاد السوفييتى فى الحرب، ولإنتمائي إلى الطبقة الإجتماعية المتميزة التى تتمتع بحقوق هائلة.

فى ظل المقاطعة الكاملة لأوروبا، كانت معظم الكتب ترد إلينا من الولايات المتحدة؛ وقد قامت المكتبة بدور لا يستهان به فى تزويدنا بأعمال عن الإتحاد السوفييتى والنظرية الماركسية، وهذا هو الغرض من إنشائها حيث كانت هذه الأعمال ممنوعة منذ عام 1924 بينما كان مصرحاً بمؤلفات تروتسكى؛ مما أدى إلى إعتناق العديد من المصريين للشيوعية مروراً بالتروتسكية، الأمر الذى يبدو شاذاً فى الغرب؛ يعود الفضل إذن فى تكويننا الماركسى العميق نسبياً إلى هذه الكتب التى درسناها بحب ومثابرة.

¹³ميدان مصطفى كامل.

أدت المكتبة أيضاً دوراً هاماً فى إعلام الجمهور المصرى المستنير؛ كان الكثير من الناس يأتون للتزود منها بالكتب والمجلات، وبالرغم من كثرة العملاء لم تكن الحالة مزدهرة لأن العاملين بالمكتبة، وهم أصدقاء من نوى القلوب الرقيقة، كانوا يغمضون عيونهم عندما يغادر أحد الطلاب – وأكثرهم فقراء جداً– المكتبة دون أن يسدد ثمن ما يحمله من كتب.

وأخيراً كان للمكتبة دور شديد الأهمية كحلقة إتصال؛ كان فى مصر حوالى المليون من جنود الحلفاء الذين ينتمون إلى جميع الجنسيات ويتحدثون مختلف اللغات: فرنسيون، إنجليز، أستراليون، نيوزيلنديون، سنغاليون، يونانيون، بولنديون، يوغسلافيون، وفلسطينيون يهود إلخ .. وكانت المكتبة تتلقى كتباً بكل هذه اللغات خلاف الكتب الإيطالية والألمانية التى توزع داخل معسكرات الإعتقال –وحدات يهودية فقط– بالإتفاق مع الجنود الفلسطينيين المكلفين بالحراسة: لم يكن الإنجليز يرحبون بإشتراك الفلسطينيين فى المعارك الحربية حتى لا يكتسبوا الخبرة العسكرية؛ فقط عدد قليل منهم يتميز بالجرأة الشديدة كان يكلف بأشد المهام خطورة وغالباً ما تكون مهام إنتحارية؛ ساعد هذا النشاط على تكوين مجموعات تقدمية معادية للفاشية داخل هذه المعسكرات. وحتى لا نعود مرة أخرى لهذا الموضوع أود الإشارة إلى المجلة المعادية للفاشية التى أصدرتها الحركة المصرية للتححر الوطنى بعد ميلادها فى إطار المهام الدولية التى قامت بها؛ كانت هذه المجلة موجهة إلى معسكرات الإعتقال باللغة الألمانية، وقام بتوزيعها أيضاً الجنود اليهود الفلسطينيون؛ هكذا كانت المكتبة وسيلة الإتصال بين التقدميين من كل البلاد (وبيننا).

لم تكن المكتبة هى النشاط الوحيد لنا، فقد إزدادت خلال هذه الفترة كثافة النشاط الدعائى داخل الأوساط المصرية لاسيما الشعبية؛ وأحب هنا أن أقول إننى أعتبر لقائى بعبده ذهب فرصة كبيرة لى.

إن عبده ذهب سودانى الأصل، وهو يكاد – حينذاك– أن يكون بلا مورد؛ ولكنه ذكى نشط، مناضل، سريع البديهة، والأهم من ذلك شعبى جداً؛ ويجدر بنا الإشارة إلى إنتصار مذهب حقه التضامن النوبى مع حصافة عبده ذهب عندما نجح هذا الأخير فى الإتصال بأحد المحيطين بأحمد حسنين، رئيس الديوان الملكى آنذاك، وحصل منه على التقارير العديدة التى ترد إلى السراى عن الشيوعيين؛ وهو الذى حصل على الرخصة – التى لا غنى عنها عند نشر أية دورية– للمجلة الأسبوعية "حرية الشعوب" حيث قمت باستئجارها من المالك الذى أقنعه عبده ذهب بمواجهة جميع صداماتنا مع البوليس السياسى، وكان هو أيضاً الذى إجتذب معظم المحررين. وأود هنا الحديث عن أحدهم للدور الخاص الذى قام به وهو النوبى عبد الرحيم صلاح عرابى.

كنت أشعر دائماً بالحب تجاه النوبيين – المصريون منهم والسودانيون– قد يرجع هذا إلى المودة الكبيرة التى كنت أكنها للإنسان الرائع الذى يعمل بخدمتنا: أحمد صاحب القلب النادر والهيئة العظيمة، الدرة التى حسدنا عليها جميع الأصدقاء؛ كان لأحمد إبن فى مثل سنى وكنا متفاهمين، بدأ هذا الإبن طريقاً لامعاً وأعتقد أنه أكمله وإن كانت أخباره إنقطعت عني؛ أما أحمد فمازلت نادماً نادماً لا يخف مع الزمن لأننى لم أوفر له حياة أكثر راحة فى أيامه الأخيرة.

كان أحمد هو الذى يقوم بإختيار بقية العاملين: الطباخ وغيره من الخدم ذكوراً وإناثاً، ولا أذكر أننى تعودت على قيام أحمد "بخدمتى" على المائدة، ولا أظننى تناولت وجبة واحدة – كنت الأصغر سناً وبالتالي الأخير فى الترتيب – دون أن تثير ضيقى الشديد فكرة ذهاب "بقايا الطعام" إلى المطبخ ليتناولها الخدم؛ أما عن إهتمامه بى فلم يؤثر فى كثيرأ حيث أن أمى وعمتى كانتا تفعلان الشيء نفسه.

ولنعد إلى عبد الرحيم الذى أخبرنى يوماً أن أحد الضباط المصريين، وهو سودانى من جهة الأم، سأله فى إحدى الجمعيات التى إعتاد النوبيون اللقاء فيها عن موقف الشيوعيين من المسألة السودانية؛ هذه هى المناسبة التى كتبت فيها، لهذا الضابط، التقرير الطويل الذى يحدد بصفة نهائية موقفنا من هذه المسألة.

تعرفت على هذه المشكلة بفضل عبده ذهب والطلبة السودانين الذين كان يحضرهم للقائى. أذكر حماسى عند إجتماع أول خلية شيوعية كلها من السودانين ! وساعدنى أصدقائى على أن أقيم وزناً للحقائق السودانية حتى لا يكون تصورى للمشكلة "مصرياً" تماماً.

كانت السياسة السودانية الداخلية تنقسم إلى تيارين كبيرين:

الأول: ينادى بالوحدة مع مصر؛ لا أريد أن أحلل بالتفصيل التكوين الإجتماعى لهذا التيار، ولكنه – بداهة – معاد للسيطرة الإنجليزية ولشدة ضعفه لا يتصور مستقبلاً ذاتياً للسودان فى مواجهة الإمبراطورية البريطانية المهيبة؛ ويرتكز هذا التيار على مجموع القوى السياسية المصرية التى لا تقبل شعاراً خلاف "وحدة وادى النيل"¹⁴ تحت التاج المصرى أى تحت السيادة المصرية.

وينادى **التيار الثانى** الذى يسانده الإنجليز بكل قواهم والذى يدعى أعضاؤه "بالإنفصاليين" باستقلال السودان، ولن نعرض لتكوينه الإجتماعى هو الآخر.

عن أى الموقفين دافع التقرير ؟ كان التقرير مؤلفاً من عنصرين: الأول خاص بالنضال المشترك للشعبين ضد الإمبريالية، وهو موقف أساسى وإن لم يكن لدى بعض الأوساط "الديمقراطية" بالبداية التى يظنها البعض: أذكر أننى إلتقيت فى هذه الفترة – لا أذكر سنة اللقاء بالتحديد – بأحد الشيوعيين الإنجليز الذين عملوا بالتدريس فى السودان؛ وكان هذا الشخص يرى أنه من المسلم به أن يرتبط الشيوعيون السودانيون مباشرة بالحزب الشيوعى الإنجليزى عملاً بالمبدأ القائل "بتحالف البروليتاريا (الطبقة العاملة) فى البلد الإمبريالى مع حركات التحرر فى المستعمرات" التابعة لهذا البلد، أكدت له – وأنا على يقين مما أقول – أن الصلات المتميزة التى يقيمها الشيوعيون السودانيون ينبغى أن تكون معنا نحن الشيوعيين المصريين. غضب لرأبى وعرفت بعد فترة أن الحزب الشيوعى الإنجليزى أعلن أننى "تروتكسى".

كان هذا الإتهام هو الأول فى سلسلة طويلة استمرت فى كل مكان حتى يومنا هذا؛ وقد أثر فى هذا الإتهام وأضعف من نفوذى لمغزاه الكبير فى هذه الفترة حيث أصبح على مواجهة

¹⁴ عند إلغاء معاهدة 1936 فى عام 1951 نادى الوفد "بوحدة الوادى تحت التاج المصرى".

العداء – داخل مصر نفسها– من التيارات التقدمية وخاصة الشيوعيين الإنجليز العديدين المتواجدين بالجيش، وهم بإعتبارهم "شيوعيين معترفاً بهم" يتمتعون بتأثير كبير علينا نحن – الشيوعيين المناضلين "غير المعترف بنا"– الذين نسعى وراء هذا "الإعتراف" بكل قوانا لأنه القادر وحده على إعطائنا الثقة فى أننا شيوعيون حقيقيون.

وإذا بالحزب الشيوعى الإنجليزى الذى ندين له بصورة ما بالتبعية حسب المبدأ المذكور عليه يتهمنى –فى أول موقف له من الشيوعيين بمصر– بالتروتسكية؛ ياله من نصر بالنسبة لأعدائى !

إنه إذن "نضال مشترك"؛ وبما أننا نحب الانتقال من القول إلى العمل فسرعان ما وجد عبده ذهب "رخصة" أخرى للإيجار لنشر مجلة سودانية أسبوعية: أم درمان التى تحمل منذ عددها الأول إسم "نضال مشترك" بحروف كبيرة إلى جانب الإسم الأصلى المطبوع بحروف أصغر بصورة ملحوظة؛ وقد قامت هذه المجلة التى تحمل عبده ذهب مسئوليتها بالكامل بدور رئيسى سواء فى السودان أو فى مصر.

كان العنصر الثانى فى التقرير هو "حق الشعب السودانى فى تقرير مصيره بعد التحرر من سيطرة الإمبريالية"، ويتكون هذا العنصر بدوره من شقين:

الشق الأول: حق تقرير المصير وهو من المبادئ الدائمة فى الحركة الشيوعية؛ وكانت ميزته الأولى فى رأينا تكمن فى أن النداء به وممارسته يؤسسان القاعدة لوحدة القوى المعادية للإمبريالية فى السودان. كما أنهما يحولان دون إنقسام الوطنيين السودانين بسبب مشكلة مستقبل بلدهم، الأمر الذى يقوى النضال ضد الإمبريالية.

كانت القوى "الإنفاصلية" مع حلفائها من الإنجليز دائمة الإشارة إلى "تقرير المصير" هذا، مما أدى إلى تعرضنا مرة أخرى للهجوم من جانب جميع الذين يتهموننا بأننا "عملاء للإنجليز" –لا شعورياً على الأقل– وبأننا، على أحسن الفروض، "نساعد الإمبرياليين على تحقيق أهدافهم" إلخ..

لم نتأثر؛ فلقد كان هناك بالفعل إختلاف جوهرى بين التصورين، فالشق الثانى من هذا العنصر ينص على أن هذا الحق لا يجب ممارسته إلا بعد الإنتصار على الإمبريالية، وليس تحت رعايتها. كما تعد لذلك المخططات الإنجليزية.

أثار الموقف بكامله مناقشات كثيرة قبل أن يتم قبوله وإعتباره "مسلماً به" حتى أننا إكتشفنا، أنا وعبد الخالق محجوب، عند لقائنا فى الخمسينيات بباريس أن ظروف ميلاد هذا الموقف قد إنمحت وأنه بطريقة ما، يظنه "موجوداً دائماً".

لم أستطع نسيان هذا الموقف -خاصة أنه هو الذى أتاح للسودان فى عام 1953 أن تكون أول بلد يتحقق لها الجلاء التام بالشرق الأوسط– فى إطار إنتمائها جزئياً على الأقل إلى هذه المنطقة، وأن الضابط الذى استفسر عن موقفنا هو "محمد نجيب" !!

يعتبر "محمد نجيب" أخصائياً كفوفاً فى هذه المسألة فهو كنصف سودانى عاش وعمل وناضل فى الفترة الأولى من حياته فى السودان الذى إحتفظ فيه بصداقات عديدة؛ وفى

مذكراته "كلمتى للتاريخ" الذى خصص فيه فصلاً كاملاً لهذا الموضوع تبنى "محمد نجيب" هذا الموقف وأثبتته كما فعلت وإنتهى إلى الحصول على تطبيقه، ولكنه أغفل ذكر أن الشيوعيين المصريين والسودانيين فقط هم الذين دافعوا عنه حتى ذلك الحين بسبب عدائه الشديد للشيوعية؛ كان ينبغي لهذه الواقعة أن تكتب، وهذا هو أحد أطراف هذا الكتاب: ذكر فضل الشيوعيين فى تاريخ مصر الحديث، الأمر الذى حرموا منه طويلاً.

إن الأنشطة التى تمثلها السودان – بالرغم من أهميتها – والمكتبة كانت تتم بالإرتباط مع إتجاه سياسى ينبغى عرضه، ولكن أود قبله أن أنتهى من نشاط إضافى له أثر كبير فى إعدادنا منذ بداية نشاطنا، هذا النشاط هو ما سمي "بالمسألة اليونانية" التى لن أعرض لها إلا من خلال عملنا فهى موضوع يطول شرحه كما أن عناصر كثيرة تعوزنى، ولكنها سنتيح لنا مع هذا تصحيح بعض الأخطاء وكذلك التشويه المتعمد الفاضح.

من المعروف أنه حدث عصيان بين الجنود اليونانيين فى مصر عام 1943، لم يكتب لهذا العصيان تاريخ حقيقى، فكل ما كتب عنه هو تحليل جاد؛ وأنا فى الواقع أجهل ما إذا كان ذلك حدث داخل الحزب الشيوعى اليونانى. ماذا كان موقفنا؟

يبدو أن إسكرا Iskra قد إتخذ من هذه الحركة موقفاً سلبياً تماماً. وإن كنت لا أعلم ذلك علم اليقين لأننى – كما سبق لى القول – أجهل ما يدور عند "منافسينا" مع أنها حركة جمعت بين ثقافة نظرية بدت لى عميقة، وإن لم أتمكن من التحقق منها وإيمان مطلق "بالطهارة الثورية" لأفرادها الذين "يصدرون أحكاماً" على كل شيء فهم على يقين من قدرتهم على التحليل الصحيح للموقف فى أى من بلدان العالم وليس فى مصر فقط. كما أنهم على ثقة ليس من إنتصار القضية التى يدافعون عنها فحسب، بل من عدم إمكان خسارتها مؤقتاً فى أى مكان، وأذكر تحليل الإنسحاب "الإختيارى" للجيش السوفييتية فى يونيو سنة 1941 وأخيراً وقت الفراغ الهائل لدى أعضائها، بالإضافة إلى الفرصة الممتازة التى أتحت لشغلهم.

كتب تحليل إسكرا فى هذه المناسبة لينتهى إلى أن هذا العصيان قد أدين بشدة لأنه "يحد من جهد الحلفاء فى الحرب"، ولكنى لم أصدق شيئاً من هذا فجهد الحلفاء بالحرب – وأقصد الإنجليز بالذات – يحد منه الحكام الإنجليز: كان هناك مليون من الجنود البريطانيين يحشدون بلا قتال فى الشرق الأوسط.

إن الهزيمة لم تبد لى قط دليلاً كبيراً على خطأ قرار الحرب: ونذكر هنا موقف لينين بعد هزيمة الثورة الروسية فى 1905، تجاه الذين قالوا: "كان ينبغى ألا نحمل السلاح" ... إلخ..

مرة أخرى لا يمثل حكمى إلا "رأياً عابراً"، أما موقفنا المساند للعصيان فكان قائماً على إعتبرات أخرى، أولها وأهمها هو عدم إمكان المناقشة عندما يطلب منا الممثلون الرسميون لحزب شيوعى "شقيق" شيئاً – كان شعورنا بهذه الأخوة قوياً لدرجة لا مثيل لها – لم يكن أمامنا سوى تنفيذ المهام المطلوبة بأقصى جهدنا، وخاصة أن العداء الإنجليزى للعصيان لم يبد لنا بالضرورة عنصر إدانة بل على العكس من ذلك أكد جهودنا لصالحه، وقد سبق لى أن قلت هذا الكلام وسأعود إليه مرة أخرى.

ما أهمية عملنا فى هذا المجال؟!!

لا أعرف إلى أى حد ساعد عملنا الحركة، كانت أنشطتنا عديدة بالطبع فهى تشمل توزيع المنشورات والتستر على المناضلين العديدين الجارى البحث عنهم: أذكر أنه فى إحدى المرات قيل لنا إنهما إثنان ووجدنا عند اللقاء سبعة عشر، وكنا نخفيهم فى أماكن مختلفة... مرة ثانية كان لدى مسئول يونانى لم أتمكن من إيجاد سرير له إلا حيث أقطن فى الطابق الثالث عشر من عمارة كبيرة وحديثة تضم أندية للضباط البريطانيين، وتلقينا تحذيراً بأن البوليس السياسى يحاصر العمارة ويفتشها، كنا نأوى حينئذ ضابطاً من القيادة العامة البريطانية العظيمة، وهو جامعى النشأة تؤهله معرفته باللغات التى يجهل عدد ما يجيده منها لاستجواب السجناء، لم يتردد صاحبنا هذا؛ إرتدى لباسه العسكرى الخاص بالضباط من مرتبة القادة وتأبط زميلنا الذى لم يكن عظيم الهيئة وإجتاز الحواجز تصحبه تحيات الشرطة والحرس، إنضم هذا الضابط بعد تسريحه إلى الحزب الشيوعى الإنجليزى الذى لا يزال عضواً فيه حتى الآن، ومع هذا كان هذا الضابط هو المقصود عندما إتهمنى الحزب الشيوعى الفرنسى فى عام 1952 بالإتصال بعميل من المخابرات البريطانية.

ولنستأنف إحصاء نشاطنا فى مساعدة الوطنيين اليونانيين المتمردين الذين كنا نوفر لهم أماكن اللقاء.. فضلاً عن تأمين الصلات بين مركز الحركة بالقاهرة والجنود اليونانيين المحاصرين بالجنود الإنجليز فى الصحراء: عبر إثنان من زملائنا الصحراء مرتين، وفى إحداهما تعرضا لرصاص حرس الحدود المصرى. أما أنا فكان دورى هو المساعدة فى تزويد الجنود المحاصرين بالمؤونة، فكونت فى أحد أملاك أبى على أطراف الصحراء إحتياطياً من البنزين والغذاء وكنت أذهب ليلاً لتسليمه فى أماكن متفق عليها. لم يستمر هذا لأكثر من خمسة عشر يوماً أو بالأحرى خمسة عشر ليلة كان على أثناءها الاستمرار فى أنشطتى اليومية بما فيها الأنشطة المهنية، لذا لم أستطع الصمود إلا بتناول كميات متزايدة من البنزدرين Benzedrine -وهو مستحضر يعطى للحرس الليلية لمنعهم من النوم- الذى يمدنى به رفاقى الإنجليز، يجب أن أقول إن جهازى العصبى إهتز لسنوات طويلة.

نقطة أخيرة: كان لى حديث بعد سحق التمرد مع قواد الحركة الذين شكرونا بتأثر وقال لى أحدهم وإسمه نيفيلوديس Nephelodis: "نحن نعرف أن موقفك حرج فى مصر ونحن أقوى مما تظن فإذا تعرضت لخطر أذرننا وسنبعث بغواصة لإحضارك!"

لماذا أروى هذا ؟ بسبب مايلى: فى سنة 1952 إنعقد بفيينا المؤتمر الدولى لرجال القانون الديمقراطيين وقد مثل مصر فيه أحد رفاقى، إلتقى هذا الرفيق بعضو هام من الوفد اليونانى قال له: "أنت قادم من مصر، حسناً نحن نعرف أن بها (كنت قد أبعدت منذ سنتين فى ظروف سأرويها فيما بعد) تروتسكياً معروفاً: هنرى كورييل.. هل تعرفه؟"

والآن إلى واقعة لقاء المسئول اليونانى مع أندريه مارتى¹⁵ Andre Marty حيث أن الرواية الموجودة فى الكتاب اليونانى المترجم بالفرنسية مشوهة للغاية: كان أندريه مارتى ماراً بالقاهرة فى طريقه إلى الجزائر - ساقص هذا فى مناسبة أخرى- وألح علينا المناضلون اليونانيون عندما علموا بذلك فى ترتيب لقاء معه، كان لدى مارتى تعليمات مشددة جداً بعدم

¹⁵أحد الكوادر القيادية بالحزب الشيوعى الفرنسى ومن مسئولى "مكتب المستعمرات" وقد أقصاه الحزب عام 1953 بسبب صلاته بهنرى كورييل.

إجراء أى إتصال وبخاصة فى مصر حتى لا تثار الشبهات حول قدومه للجزائر، فكيف بلقاء سرى مع مناضلين فى صراع مع حلفاء الإتحاد السوفييتى ومطلوبين أيضاً ! كيف استطعنا إقناعه أنا وزوجتى ؟ لا أذكر، لعله تأثر باستعدادنا الطيب وعدم إدراكنا للأمور.. نجحنا فى النهاية، وتمت المقابلة فى سيارتى التى توليت قيادتها لمدة تقرب من ساعتين قدم فيهما المسئول اليونانى إلى مارتى تقريراً عن كل الأحداث المتعلقة بهم، سمعه هذا الأخير بإهتمام، محاذراً إتخاذ موقف ووعده بنقل الحديث؛ لم يتعد الأمر ذلك.

كانت المشاركة فى المسألة اليونانية هامة جداً بالنسبة لنا حيث كانت المخاطر فى الأنشطة المصرية التى تتم فى ظل ظروف أمن مرضية نسبياً، كما سابين ذلك فيما بعد، تبدو لنا بعيدة، أما المشكلة اليونانية التى كانت بحق شكلاً ضارياً من أشكال الصراع ضد الإمبريالية فقد واجهنا معها حقائق فظيعة: من تفتيش فظ إلى تعذيب مخيف للمناضلين المعتقلين، ونحن مدينون لها بالقوة التى اكتسبناها من مشاركتنا المتواضعة.

ولنعد الآن إلى الفترة التى تنتهى بميلاد حركة شيوعية مصرية حقيقية وثورية؛ لقد كانت بحق فترة غنية جداً.

ولنتصور الوضع أولاً: قمنا حتى ذلك الحين بإذاعة الأفكار الشيوعية المرتكزة على نشر النظرية الماركسية والدعاية للإتحاد السوفييتى؛ ومن الآن فصاعداً نريد الذهاب لأبعد من ذلك؛ لذا ينبغى أولاً الإجابة على هذه الأسئلة – مع إعطاء إجابات عملية لا إجابات مجردة أو تعريفات حكيمة:

• ما معنى إعتناق الشيوعية ؟

• ما الأهداف التى ينبغى للشيوعيين أن يتخذوها ؟

• ما المهام التى ينبغى أن يقوموا بها ؟

يجب الإعراف بأننا لم نسى التصرف، وخاصة أنه لم يكن لنا معلم: لقد كنا فى آن واحد، مبتدئين بلا معلم، وقادة بلا إعداد، حاولنا بالطبع أن "ننقل" عن المناضلين الذين إتصلنا بهم من خلال المكتبة، ولكن التجارب لم تكن مثمرة جداً، فالغالبية العظمى منهم مناضلون بأحزاب شرعية بدائية التكوين، والمسئولون المهمون – مثل بعض المسئولين الإنجليز (راجع ما سبق) – يقاطعوننى، أو يزدروننا أو كانوا غير قادرين على فهم مشاكلنا وإيجاد حلول لها.

كانت أكثر الصلات ثراء هى صلاتنا بالزملاء اليونانيين ولاسيما اتيين Etienne الذى قام بدور كبير فى تنظيم جنود الجيش الملكى، وهو حسب إعتقادى، عامل خراطة مريض بالسل، له تحياتى.. كم أكون سعيداً لو عرفت أخباره ! وأستطيع القول، رغم أحاديثنا الشيقة أحياناً مع مناضلين شيوعيين أجانب، إننا لم نتلق أبداً نصائح ولاتوجيهات ولا تعليمات من أى شخص. وأرغب هنا فى الحديث عن صلاتى بسفارة الإتحاد السوفييتى التى فتحت أبوابها عام 1942 أو 1943: كنت الوحيد فى مصر الذى أقام علاقات عمل مع الإتحاد

السوفييتى وهى صلات لا يمكن إعتبارها تجارية، فحسب، ومن جهة أخرى كانت زوجتى أمينة صندوق "السيدة تشرشل ! للإعانة الروسية (!)" يا لها من هيئة مدمرة !

كان من الطبيعى إذن أن أقابل المستشار عبد الرحمن سلطانوف الذى ربما اختير لهذا المنصب بسبب أصله الإسلامى ولمعرفته باللغة العربية، قابلنى المستشار عبد الرحمن ثلاث أو أربع مرات، وقد أعلننى على الفور فى أول مقابلة أن الإتحاد السوفييتى لا ينوى القيام بأى نشاط فى مصر التى يجهل عنها كل شيء، شرحت له أفكارنا عن الوضع فى مصر وأعتقد أننى لم أؤثر فيه كثيراً فقد عرفت بعدها أنه كتب مقالاً فى مجلة سوفييتية أكد فيه عدم وجود شيوعيين بمصر !!

وفى آخر مرة طلب منى أن أتخلى عن استيراد الكتب من الإتحاد السوفييتى لأدير مكتبة "بورجوازية" لأننى أسئ إليهم.. رددت بنبرة مستنكرة: إنه لا توجد مكتبة قادرة على بذل الجهود والتضحيات التى نقوم بها، ولا على الحصول على نتائج تقارن بنتائجنا فلم يعلق على هذا؛ ولكننى لم أره بعدها؛ وقد تمت هذه المقابلات بالطبع على مرأى ومسمع من الجميع.

إن تقارير بعض هيئات المخابرات التى أعلنت أننى "عميل سوفييتى" تعود إلى هذه الفترة، تصوروا ! مقابلة مستشار بالسفارة ! لا يحتاج المرء أكثر من ذلك ليكون "عميلاً" ! لقد تحدث القذر جورج سوفرت Georges Suffert فى إحدى مقالاته المقرزة عن صلاتى بسطانوف "الرهيب" تنطق هذه الصفة "بالعلم" وتعطى لهذه "الصلات" طابعاً مثيراً للقلق، ولكن إذا كان الشخص قذراً.. يجب أن أعلن أن السبب فى هذه الصلات المحدودة بالإتحاد السوفييتى لا يعود إلى.

بدأنا إذن العمل بحماس فى الفترة التى تلت العدوان النازى، أعطانى مارسيل إسرائيل ثقته فى وقت ما وأشركنى فى عمله، ولكن لم تسفر أبحاثنا المشتركة عن شيء يذكر فقد تركت العمل منذ الإجماع الأول بمجموعة مارسيل إسرائيل حيث كانت لى رؤية أوسع -تعود لأصلى "البورجوازي"- من تصورهم الضيق للأمور الذى روعنى؛ كانوا أناساً جادين ولهم "إتصالات دولية" لا أعرف عنها الكثير، ولكنهم -فى رأى- يحملون أنفسهم على محمل الجد أكثر من اللازم، ومع هذا تعاونت معهم "من الخارج" لفترة، ولكن ساءت علاقاتنا إلى أن إنتهت بهجرهم "بسببى" الإتحاد الديمقراطى الذى أنشأوه، والذى إنعقدت إجتماعاته الأولى فى مركز محفل ماسونى إيطالى، فالماسونيون أعداء منطقيون للفاشية التى تضطهدهم وقد أصبح بعضهم مناضلين شيوعيين نشطين مثل ساندروروكا الذى قابلته فى تورين Turin عام 1951، وجدت بعد ذلك خلف مكتبه مركزاً بدا لى رائعاً بالمقارنة بالحجرة الرثة التى وضعها الماسونيون تحت تصرفنا..

بعد ترك الإتحاد الديمقراطى قامت مجموعة مارسيل بتأسيس ناد جديد أكثر شعبية وذى إلهام مصرى "الثقافة وأوقات الفراغ" وذلك لعدم قدرتها على تغيير أسلوب عملها، هكذا كنت أعتبر ممثلاً للبورجوازية بينما يمثلون هم الجماهير الشعبية ! لست أعرف بالتحديد تاريخ المقابلة الحاسمة التى جمعتنى ومارسيل بعد رجوعه من فلسطين حيث إقترح على، فى محاولة جديدة للوحدة شجعتة عليها الأحزاب الشقيقة، أن أنضم لمجموعته، حاولنا معاً

الإمام بالموقف ولكن سرعان ما توقفنا عند تعرضنا لمسألة الدين؛ كان مارسيل يؤكد في جميع الحالات على ضرورة الإلحاد بالنسبة للشيوعيين وعلى أهمية الأنشطة المعادية للدين بالنسبة للحزب؛ راعى موقفه بالرغم من أننى فقدت إيمانى مبكراً: كنت يهودياً فى مدرسة كلها من المسيحيين.. (مدرسة الرهبان اليسوعيين المدهشة بالفجالة. وهى مدرسة أحتفظ لها بذكرى طيبة للغاية فهى قد ربت فى القيم الأخلاقية العالية كما أدين لها بتلقينى فلسفة التومائية الحديثة التى أشعرتنى بحاجتى لتصور شامل للعالم، هذا التصور الذى وجدته فى الماركسية) ولأننى عشت فى بلد مسلم أدركت نسبية العقائد ومنافاة تمييز إحداها على الأخريات -باعتبارها جامعة لجميع الحقائق- للعقل، ساعدتنى أيضاً على التخلص من "الأفكار" الدينية "المسبقة" الذى لم يتطلب وقتاً طويلاً، معلمة فرنسية غادرتنا لتدير ليسيه البنات التابع للإرسالية العلمانية بالقاهرة.. ولكن مصارعة الدين فى مصر حيث يتمتع بجذور عميقة عملية إنتحارية بحق.

كان جوهر المناقشة فى الواقع غير هذا: هل يهدف الشيوعيون إلى نشر الماركسية كأفكار، كمفاهيم، كعقيدة؟ أم يهدفون إلى جعلها دليلاً للصراع من أجل تحرير الشعب المصرى؟ يجب أن أقول إن مفاهيمى "الإنتهازية العميقة" أثارت تقزز مارسيل لمدة طويلة، ومع هذا كانت ولا تزال المناقشة أساسية، فالشيوعيون إما سيبرزون أن الماركسية هى الأسلوب الأكثر فعالية لتحسين أحوال الجماهير المصرية جذرياً، وفى هذه الحالة يكونون جديرين بثقتها، أو سيقاثلون مع أو ضد مفاهيم فلسفية ودينية مما يودى إلى إنقسام قوى التحرير.

سيقال لى إن الثورة البلشفية ناضلت ضد الكهنة الأرثوذكس! ولكن ما العلاقة بين الكنيسة الأرثوذكسية التى تمثل السند الرئيسى للقيصرية الطاغية فى العشرينيات وإيمان الجماهير المصرية!

حقاً إن أكثر القوى رجعية تستخدم الدين ضد الشيوعية وقد قدمت واقعة من هذا الصراع (راجع موضوع القدر جورج سوفرت Georges Suffert فى بوان دى جوان (نقطة يونيو) Point de juin سنة 1976) ولكن هذا يحدث أيضاً فى دولة فرنسا العلمانية؛ من الغباء إذن الرد على مثل هذا الهجوم بهجوم على الدين لا على الرجعية.

إن العالم بعد ثورة أكتوبر، وهذه الفكرة من الأفكار العزيزة جداً على، لم يعد هو عالم سنة 1917، فالقوة المحولة للثورة البلشفية المنتصرة يزيد وزنها فى جميع المجالات شيئاً فشيئاً: كل شيء فى المجتمع يتغير كما أن دور الدين قد تطور كثيراً حيث وقف إلى جانب الجماهير عدد متزايد، لا من المؤمنين فقط، بل ومن رجال الدين الذين إنضموا بعزم إلى قوى التحرر الإقتصادى والإجتماعى وشاركوا فى النضال من أجل إجراء تغييرات إجتماعية عميقة كفوا عن محاولة كبجها.

سأسبق الأحداث بعض الشيء وأتحدث هنا عن عملى بالأزهر: كان للحركة المصرية للتحرر الوطنى قطاع بالأزهر، وكان هناك فى الفترة التى توليت فيها مسئولية هذا القطاع (!) مجموعة فى كل من كليات: أصول الدين، الشريعة، اللغة، ومجموعة أخرى فى المعهد الثانوى الذى يؤهل لدخول هذه الكليات، وكانت لجنة الأزهر تضم عضواً من كل مجموعة.

كان طلبة الأزهر هم أكثر الطلبة فقراً في مصر، وهم نازحون من الريف ويقطنون لدى عائلات فقيرة هي الأخرى، ويحصلون من الجامعة على منحة شهرية: جنيهان مصريان يتدبرون بهما أمرهم، بحيث يبعثون إلى ذويهم بجزء منهما، كان يأتيهم من الريف بعض الطعام: جرة الجبن الذي يأكلون به الخبز الموزع عليهم مجاناً بالجامعة، وكانوا يظنونني لعدم معرفتي باللغة العربية، وهي اللغة الوحيدة التي يمكنني التحدث بها إليهم، عاملاً فرنسياً (!) ويجدون طبيعياً إهتمامى بهم.

كنت أحضر إجتماعات "الجنة الأزهر" وكانت كثيراً ما تتوقف في أوقات الصلاة، ولأعلن رسمياً أنه لم تحدث قط "مشكلة" – ولو صغيرة – تتصل بالدين: نظم أحدهم قصيدة شعرية من خمسمائة بيت عن الجدلية (الديالكتيك) ! وقد إتخذ طلبة الأزهر في سنة 1946 موقفاً تقدماً حازماً إلى جانب طلبة جامعة القاهرة، وبالإضافة إلى ذلك أقاموا الصلة الأولى بين الشيوعيين والريف المصرى الذى عادوا إليه: كان عملاً مثالياً ينبغى استننافه باستخدام كل القوى وهي قوى أكثر عدداً من تلك المتاحة لنا.

يحيا ثوار الأزهر ! .. وليسقط استخدام الدين بواسطة الرجعية المنحلة والفاصلة ممثلة في الطبقات التي تزدهر فيها جميع المبادل..

وليحيا الشيوعيون المدافعون عن أخوة شعوب الأرض جميعاً، سواء تلك التي تحررت أو التي لا تزال تناضل في سبيل تحررها، مثلاً للاستقامة والخلق والإخلاص للوطن وللجماهير المصرية !

كان أكثر مواقف الحركة الشيوعية المقبلة حسماً هو الموقف المعادى للإمبريالية، بينت قبلاً أن للبورجوازية المصرية والقوى التقدمية رأياً في معاهدة سنة 1936 تكريساً فعلياً للاستقرار في مصر، كما بينت أن أحداث سنة 1942 هي أحداث "تقدمية" في رأى مجموع التقدميين فهي قد إنتهت إلى:

1. الإتيان بحكومة أغلبية بدلاً من حكومة أقلية.

2. الإتيان بحكومة حليفة "لديمقراطية" بدلاً من حكومة موالية للفاشية، مما يزيد من قوة المعسكر المعادى للنازية.

منذ البداية أوضح لى كتاب لينين "الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية" الجانب المعادى للإمبريالية في النظام الشيوعى، لم يكن هناك شك في أن النضال ضد الإمبريالية هو جوهر نضال الشيوعيين في العالم كله، وحسب ما تراءى لى لم تغير الإمبريالية الإنجليزية من قوامها فنادت على الفور (في مواجهة المناضلين ضد البورجوازية العدو الرئيسى للجماهير المصرية، وفي مواجهة المؤيدين للنضال ضد الفاشية العدو الرئيسى للشعوب) بالنضال ضد الإمبريالية الإنجليزية، العدو الرئيسى للشعب المصرى، وضد فاشية النازيين الذين لا يفضلونهم بحال.

كان أول نشاط "عملى" لى هو توزيع منشور كتبه زملاء مصريون لبوانتى Pointet وقمت أنا وهو بتوزيع أربعة آلاف نسخة منه في أحياء القاهرة الشعبية، ليلة بعد ليلة في ظل

الأحكام العرفية بعد تقدم الجنود الإيطاليين عن طريق ليبيا: كانت الأحكام العرفية قد أعلنت منذ بداية الأعمال الحربية ولكن تطبيقها ظل غير مشدد حتى ذلك الحين. ماذا يقول هذا المنشور؟ بإختصار "إن الغزاة الجدد ليسوا بأفضل من الإنجليز. وهنا أيضاً ينبغي الإختيار بين الإنطلاق من مفاهيم مجردة أو من وقائع يجب تغييرها؛ لا وزن إذن لنشاط يعادى الفاشية ويميز الإمبريالية، فنشاط كهذا ليس إلا دعاية إنجليزية: (الرجوع إلى واقعة إخوان الحرية).

أما إدراكى الداخلى للصراع ضد الإمبريالية كهدف للشيوعيين فى مصر فقد تحقق فى الزيتون.

فى سنة 1942 حدثت دفعة قوية للجنود الألمان الذين توغلوا فى مصر بقيادة روميل فأحرقت سفارة إنجلترا الأرشيف الخاص بها وشاهدت القاهرة كلها الدخان يرتفع فوق حدائق السفارة، وقامت بتخصيص قطار لنقل "المناضلين المعادين للفاشية" من كل الجنسيات إلى فلسطين، فى هذا القطار كانت الرفيقة التى أصبحت زوجتى ترتدى كبقية زميلاتها زي الجنود اليونانيين، ولحسن الحظ أن تم تفتيشهن عند الحدود بواسطة رقيب إنجليزى شيوعى تزوج فيما بعد من الصديقة المصاحبة لها، وقد أصبحت هذه الصديقة منذ وصولها إلى إنجلترا - ولا تزال - عضواً بالحزب الشيوعى الإنجليزى. وكان هذا الرقيب واحداً من الشيوعيين الإنجليز الذين إنحازوا إلى مجموعتى، فدفعت مع زوجته غالياً جداً ثمن هذا العمل الذى أدى إلى عزلهما لفترة داخل لجنة الشرق الأوسط للحزب الشيوعى الإنجليزى¹⁶.

أتاحت هذه الرحلة للشيوعيين إقامة صلات مع ممثلى الأحزاب الشيوعية العربية وبخاصة الحزب الشيوعى الفلسطينى، ولا أعرف من مضمون هذه الصلات غير مطالباتها الشديدة "بوحدة" الشيوعيين المصريين..

أما أنا فقد قررت البقاء لأننى ظننت بمنتهى حسن النية إمكان تنظيم "المقاومة ضد الألمان" .. الأمر الذى لم يكن ممكناً ولاسيما أننى لا أستطيع الذوبان داخل الجماهير بسبب شكلى "الأجنبى" وعدم إجادتى اللغة العربية. ولكن هذا لم يحل دون مضاعفة نشاطى خلال هذه الفترة التى كانت فيها "أسماء البقل" الطالبة آنذاك هى السند المعنوى القوى لى، وكانت عائلتها القاطنة فى المعادى تستقبلنى هى الأخرى بكرم الضيافة الحار الذى يميز المصريين من كل الفئات: تزوجت أسماء فيما بعد من شاب لامع هو "أسعد حلیم" الذى سيصبح الساعد الأيمن لمارسيل إسرائيل، ولقد قابلت والدها الذى كان مديراً لسجن محكمة الاستئناف حيث تم حجزى فى سنة 1946 على ذمة القضية المسماة "بالمؤامرة الشيوعية الكبرى" وكان استقباله للمعتقلين السياسيين العديدين طيباً للغاية.

¹⁶ كان هنرى كورييل قد زود كوكس - صديقه الإنجليزى - عضو لجنة الشرق الأوسط بالحزب الشيوعى الإنجليزى - بالمعلومات الخاصة بموقف حدثت من ثورة يوليو (أوائل أغسطس 1952) مما دفعه إلى كتابة مقال بالدائلى ووركر أيد فيه حركة الجيش المصرى، وعندما إتخذت الحركة الشيوعية الدولية موقف الإدانة للثورة، عوقب كوكس وزوجته.

ولكن هذا النشاط لم يدم طويلاً ففي أوائل يونيو تقريباً وجدت ذات صباح فى المكتبة مجموعة كبيرة من رجال البوليس بالداخل والخارج وقد قاموا بتفتيش دقيق للمكتبة وحجزوا بعض الكتب وتم ترك الباقي، ثم صحبوني إلى فيلا العائلة حيث لم يسفر التحقيق عن شيء فالفيلا كبيرة وتتيح بسهولة نقل ما قد يورطنى من غرفتى الخاصة بواسطة المصعد وإخفائه فى القبو بمساعدة جميع الموجودين.

تم إقتيادى بعد ذلك إلى فيلا كبيرة بضاحية الزيتون ووجدت هنالك ما يقرب من خمسين شخصاً من "الخطرين على الأمن العام" (كم من مرة عرضت فيها هذا "الأمن العام" للخطر!) الذين تم حجزهم بمقتضى القانون القائم على الأحكام العرفية، وهم جميعاً من المصريين فقد تم وضع الأجانب وبصفة خاصة رعايا دول المحور فى معسكرات واسعة بالصحراء، ويمكن القول بأن عزلتهم هذه نسبية حيث ذهبت مرة هنالك لزيارة أحد أصدقائى الإيطاليين الذى لم يكن فاشياً على الإطلاق!

قضيت فى الزيتون ستة أو سبعة أسابيع شيقة كجميع فترات إعتقالى اللاحقة: كانت المرة الأولى التى أعتقل فيها وبينما كنت فى حالة من الإعياء البدنى لا يمكن وصفها كنت على درجة من التأهب النفسى جعلها تبدو لى "مألوفة" بل ومثيرة للحماس، لم أشعر بالطبع "باستحقاقى" لها، لذا عاهدت نفسى أن يكون كشف حسابى إيجابياً فى المرة القادمة حتى لا يثير لى شعوراً بالذنب من هذه الجهة ولقد حافظت على العهد..

لماذا ألقى القبض على بينما خصص قطار لحماية المناضلين اليساريين الآخرين؟ عرفت بعدها أن البوليس السياسى المصرى هو الذى إتخذ قرار إعتقالى - خلافاً لما جرت عليه العادة حيث كان للإنجليز اليد الطولى فى هذا المجال- على أساس من منطق بسيط: أن الألمان سيدخلون مصر، ونحن فى نظرهم متورطون بسبب تعاوننا مع الإنجليز كما أن إعتقال وتسليم شيوعى -يهودى علاوة على ذلك- يعد عربوناً عن حقيقة مشاعرهم تجاه الألمان، كان هذا شرفاً كبيراً لى!

كان المعتقلون الآخرون - وبينهم عميل فرنسى بيتان Petain- مناضلين نشطين لصالح دول المحور ويتميزون بعدائهم الشديد للشيوعية والسامية، وكان الإتصال الأول بهم مثيراً للقلق إذ إتفق الجميع على تصفية الحساب معى فى الليلة نفسها فلم يتم قبولى بأية غرفة ولكن هناك شخصين أتيا لوجدتى: أحدهما بارون روسى أبيض عرض على مشاركته غرفته بعد أن وجد فى شخصاً من وسطه، أما الآخر، وكان شخصاً ذا نفوذ، فهو أمين سابق فى الحزب الشيوعى المصرى¹⁷ " ! " أقصى فى ظروف لا أعرفها حتى اليوم بواسطة الدولية الشيوعية فأصبح عميلاً ألمانياً! لماذا أظهر تعاطفاً؟ ربما لأننى أمثل بالنسبة له ماضياً لا يزال يشعر بالحنين إليه؟ لست أدرى ولكنه ذهب إلى حد قبول إنضمامى إلى مائدته وكانت لنا محادثات طويلة ناشدنى خلالها أن أتحوّل إلى الإسلام تحسباً لوصل الألمان الوشيك، كان الإغراء شديداً إذ كنت فى هذه الفترة أتمنى أن "أتمصر" وبدا لى أن إعتناق الإسلام

¹⁷يقصد محمود حسنى العرابى السكرتير العام للحزب الشيوعى المصرى 23 - 1924.

إحدى الوسائل لتأكيد "مصريتي" وكان ما أنفدنى من هذه الهفوة هو بالفعل خطر التقدم الألماني ونفورى من أن يبدو الغرض من هذا التحول هو حماية نفسى.

كان هناك العديد من اليهود الذين يشعرون بالرغبة نفسها فتحول الكثير منهم إلى الإسلام، وتعمقوا فى دراسة اللغة العربية وتناولوا الأكلات المصرية وحاولوا جادين تذوق الغناء والرقص والأفلام المصرية، أمل أن يكونوا قد نجحوا فى هذا، أما أنا فقد حلت المشكلة بطريقة مختلفة حيث أن العبرة هنا أيضاً بأفعال المرء وليس بماهيته، فتحسين لغتى العربية مثلاً لم يكن مفيداً لأحد سواى بينما يعد وقف جهودى لتعلم الماركسية أكثر فائدة لزملائى وبلدى، لن أصبح مصرياً إذن إلا بالنضال من أجل بلدى وشعبه: لا أزال مؤمناً بأننى سرت فى الطريق الصحيح.

ولنعد إلى إعتقالى وهو بمثابة أول غوص لى فى واقع السياسة المصرية التى لم أكن أعرفها جيداً، فهو قد أتاح لى إدراك أن المواطن المصرى الحق لا يمكنه قبول أية "مرونة" تجاه إنجلترا ! وإذا كان هدفنا هو حقاً النضال ضد المحور فكيف يمكننا الحصول على نتائج أفضل إنطلاقاً من الموقف المجرد: "إنجلترا تقاتل المحور وينبغى مساعدتها" الذى يؤدى إلى نتيجة وحيدة ألا وهى حرماننا من إهتمام الرأى العام؛ على العكس من ذلك بدا لنا أن الطريق الأفضل هو الإنطلاق من موقف ثابت فى عدائه للإمبريالية وتنمية أقوى حركة شيوعية يمكن إقامتها على هذه القاعدة ونشر الشعور بالإحترام والحب نحو الإتحاد السوفييتى، وأعتقد أننا كنا على حق. ولكن كم من معارضة أثارها هذا الخط ! وكم من إتهام –"مرة أخرى"– لإثبات أننى إنتهازى قدر إلخ.. صمدنا وأطلقنا على مجموعتنا التى سنعود إليها لاحقاً إسم "الحركة المصرية للتحرر الوطنى".

كان الحدث الآخر أثناء الإعتقال هو مشاركتى فى إضراب عن الطعام.

إنتخبنا عضواً ونائباً سابقاً عن الحزب الوطنى ممثلاً للمعتقلين، لست أذكر ظروف هذا الإنتخاب كما أننى لا أذكر إسم هذا العضو ولا سبب إبعاده عن مركزنا الذى أسفر عن قرار المعتقلين بالإضراب عن الطعام للمطالبة بعودته.

كنت قد إتخذت قرارى بالتضامن مع جميع المعتقلين حتى لو كانوا ينتمون إلى المعسكر المعارض لمعسكرى، لذا سمحت لنفسى أن أنتقل مباشرة من صيام رمضان إلى الإضراب عن الطعام، بينما لم يبدأ الآخرون الإضراب إلا فى اليوم التالى بعد وجبة حافلة بالطعام. كنت أصوم رمضان كالأخرين إذ أن المرء لا يعتد بكلامه إذا تحدث وهو شبعان إلى أناس خاوية بطونهم كما أن من اللائق إحترام العادات الإجتماعية للوسط الذى يتواجد فيه الإنسان وبخاصة إذا كان فى هذه العادات ما يزعج، وعلى الشيوعى أن يسلك سلوكاً مثالياً لأن هذا يخدم قضيتنا أكثر من الأحاديث الطويلة.

كان هذا الإضراب ناجحاً، على كل حال فيما يخصنى فهو أقصر –إذ لم يستمر سوى عشرة أيام– وأنجح إضراب فى حياتى.

كانت الظروف العامة مواتية، فالألمان قد هزموا وعاد قطار الديمقراطية حاملاً إياهم إلى مصر، والظروف العامة شرط هام يجب أخذه فى الحسبان عند الإعداد لإضراب،

والإضراب عن الطعام "كغيره من الإضرابات" التي يتشابه معها فى التكتيك، يتطلب مراعاة بعض القواعد مثل عدم تعبئة كل القوى منذ البداية حتى لا تضعف بمرور الوقت.

ينبغى إذن البدء بأكثر العناصر عزماً مع الإنضمام التدريجى للآخرين حتى تزيد قوة الموقف بدلاً من أن تضعف إلخ.. لم ينقص هذا الإضراب إلا "الإعداد" وهو أحد العناصر الرئيسية التى يجب توافرها مع التعبئة فى الخارج حتى يحتفظ بتأثيره، إذ أن الإضراب عن الطعام هو السلاح الأخير فى يد المعتقل وينبغى ألا يضيعه. وهو للأسف— ما فعلناه فى النهاية ! عادة ما تتم التعبئة فى الخارج ببطء ولكن هذا لم يكن مهماً فى حالتى لأن الخارج بالنسبة لى هو العائلة التى تحركت على الفور فتدخلت لصالحى تعزيزات قوية حالت دون إصدار قرار إتهام ضدى.

إن العزيمة هى العنصر الأساسى لإنجاح الإضراب عن الطعام ولم يكن هناك شك فى إصرارى على المضى "للنهاية": لن أذكر الضغوط التى مورست على لحملى على قطع هذا الإضراب ولكن فى المستشفى حيث نقلت، قيل لى حين طالبت بإطلاق سراحى: "النحاس باشا يقول لك إنه سيطلق سراحك إذا توقفت ويندرك أنه لن يفعل إذا استمرت إلخ..". ولكنى صمدت.

أطلق سراحى وتم وضعى إدارياً تحت المراقبة فكان على ألا أغادر منزلى منذ الغروب إلى الشروق، وقد اتخذ هذا الإجراء لسلب المجرمين فى نظر القانون العام القدرة على الإيذاء إذ أن المعروف أن هؤلاء يتحركون ليلاً، وهو يعتبر إمتحاناً كبيراً عانى منه سنين طويلة رفاقى الذين تعرضوا له، فالاستيقاظ فجأة عدة مرات بالليل ليس دائماً بالأمر المحتمل وهو قاس فى كل الأوقات، أما أنا فلم أتأثر به على الإطلاق لصلتى الوثيقة بإمتهارات البورجوازية الكبيرة.

كان أحد رجال البوليس يمر مرتين أو ثلاثاً للإطمئنان، وكان مدركاً تماماً لوضعه فهو لإنبهاره من مظاهر البذخ المحيطة لم يكن يجرؤ على الدخول من الباب الرئيسى، وكان يدخل من الباب المخصص للخدم حيث تتم مقابلته فى غرفة الخدمة فيقدم له شيء من الطعام مع أجر بسيط ثم ينصرف بعد التوقيع فى سجل التفيتيش، غادرت فى النهاية منزل والدى إلى المنزل الذى أقيم فيه مع زوجتى ولكن رجل البوليس رابط الجأش، استمر فى المرور على الفيلا ثلاث سنوات أى حتى إنتهاء الأحكام العرفية ومن المؤكد أنه استاء بعدها كثيراً لفقد هذا المورد من الرزق.

شدت فترة الإعتقال أزرى من كل النواحي واستأنفت جهودى لتكوين حركة شيوعية مصرية بعزيمة أكبر من ذى قبل، وأخذت بعض المواقف تتضح شيئاً فشيئاً:

- المضمون المعادى للإمبريالية كمحور لنضال الشيوعيين.
- الموقف من السودان.
- الحياض الدينى.

كنا فى طريقنا للإعداد لهدفنا الرئيسى وهو بناء الحزب الذى أصبح حديث الكثيرين، ولكن أهدأ غيرنا لم يعطه مضموناً فعلياً، فمعظم الشيوعيين حتى سنة 1943 ينظرون لتأليف الحزب على النحو التالى: تكوين مجموعة من الشيوعيين المخلصين والصادقين والأحسن إعداداً من "الأخرين"، وتتويج هذه المجموعة بإعتراف من الدولية الشيوعية، وأنا اليوم أكثر تفهماً لهذا الموقف الذى ينظر إلى الأحزاب الشيوعية على أنها "أقسام" من الدولية الشيوعية التى تعد الإدارة الحقيقية لها بصفتها الهيئة التى تحدد للأحزاب خطتها وتكتيكها كما تقوم بتصحيح الأخطاء التى قد تحدث إلخ.. من هنا يتضح أن إنشاء "قسم" أكثر سهولة من تأسيس حزب. ولكن مفهومنا الذى أكده لنا عمل الدولية الشيوعية مختلف تماماً، فنحن نرى أن الحزب هو طليعة الطبقة العمالية، وليس من الممكن إكتساب هذا الاسم بغير إنضمام جميع العناصر العمالية الطليعية إليه، ومن هنا كانت المهمة التى أسميناها "بناء" الحزب والتى رأينا تنفيذها على مراحل.

ولكنها ليست مهمة لمناضل واحد أو مجموعة صغيرة، بل هى مهمة للحركة الشيوعية المصرية التى يتعين البدء بها، وهى أيضاً مهمة معقدة بطريقة غريبة، إذن أنها تتطلب مناضلين ثوريين من الجماهير الشعبية لا من المثقفين، كما أن هؤلاء المناضلين ينبغى أن تكون لهم "رسالة"، وكان هذا الأمر على درجة من البساطة على الصعيد الاجتماعى حيث يجب التركيز على أن معاداة الإمبريالية – وهو ما نتفق فيه ظاهرياً على الأقل مع تكوينات سياسية أخرى – ليست الرسالة الوحيدة للحركة المصرية للتححرر الوطنى: المجموعة الوحيدة التى تخاطب مناضلين لا يمكنهم الاستغناء عنها لأنها مجموعة ذات رسالة إجتماعية حقيقية. كانت الصيغة بسيطة:

"الفقر، الجهل، المرض" هذه الأوبئة الإجتماعية الثلاثة:

- ليست حتمية.
- لا يمكن القضاء عليها فى إطار نظام رأسمالى يضيف إلى عدم عدالة التوزيع عجزه الواضح عن زيادة الإنتاج بدرجة كافية لتصفية هذه الأوبئة.
- لا يمكن القضاء عليها إلا فى ظل نظام إشتراكى على غرار ما حدث فى الإتحاد السوفييتى.
- إن تاريخ المجتمعات يجعل من قدوم المجتمع الإشتراكى أمراً حتمياً.

سيقال إن كل هذا ليس مبتكراً ! ولكنه واضح ومقنع، وقد أثبتت التجربة أن هذا كاف.

من جهة أخرى كان علينا تحديد خبراتنا "السياسية" من أجل التقدم فى مجال غير مألوف لنا وهو مجال التنظيم، أعنى التنظيم السرى، الذى كان نقطة ضعفنا.

فى بداية "نشاطى" استدعانى عمر "بك" حسن مدير "القسم المخصوص" .. (ضمنياً لمكافحة الشيوعية) الذى يتحدث الروسية، وهو قد تم إعداده مع سليم زكى "باشا" – رئيس

البوليس فيما بعد-. الذى يتحدث الروسية¹⁸ هو الآخر على يد الأوكرانا القيصرية: البوليس السياسى الرهيب التابع للقيصر، وقال لى:

"إننى أقدر أسرتك كثيراً وأعرف "مثاليتك"، وأنا أعمل منذ عشرين سنة بهذا المكتب "وتحت يدي" جميع الشيوعيين: إن عملائى يحيطون بكم ! تعقل وكرس نفسك للنشاط الإجتماعى " حقيقة كان المخبرون وقتئذ أكثر عدداً من المناضلين..

لم ينل هذا من عزيمتنا وقررنا مواجهة الموقف بوعى فأنا لست من المؤمنين "بالقوة غير المحدودة" للبوليس السياسى ولكنى أو من بالإعداد "الكافى" أو بعدم الإعداد للمناضلين، وإلى الآن لم أقابل استثناء واحداً لهذه القاعدة: إن الفشل والإعتقال يرجعان لا إلى التقدم "الفنى" أو القدرات الفائقة للبوليس، بل إلى تخلف الشيوعيين أنفسهم، وليسأل هؤلاء أنفسهم بأمانة عن "تجاوزاتهم" غير المعقولة لأبسط قواعد الأمن والتنظيم.

بدأنا إذن بوضع هذه القواعد وهو بداهة أسهل كثيراً من تطبيقها، ولكن يجب ألا ننسى أننا لم نتلق إعداداً، وأن إكتشاف القواعد الأولية، وهى أهم القواعد، يطلب منا جهوداً كبيرة، وقد أدى تناولنا الجدى للأمور إلى النجاح فى تطبيق هذه القواعد بطريقة لائقة، وإحاطة عملنا "بالهامش الأمنى" اللازم لإزدياد نشاطنا على الأقل خلال الفترة التى إمتدت حتى سنة 1947، كما ساعد إعداد اللوائح على تحديد المشاكل التنظيمية وكانت أولى هذه المشاكل هى إختيار الإسم، وهى مشكلة حلتها على طريقتها كل من المجموعات الأخرى سواء بعدم إختيار إسم أو بإختيار "إسم مستعار" مثل مجموعة "الديمقراطية الشعبية" التى تدعى غير ذلك وترى أن خداع الرأى العام حيلة جيدة !!! هناك أيضاً الأسماء الموجهة "للمبتدئين": إسكررا Iskra مثلاً، ما الذى يعنيه هذا الإسم أو ترجمته العربية لغير الشيوعيين ؟

وقفنا فى إختيارنا للإسم عند إقتراحين فقط:

1. الأول هو إتخاذ إسم "الشيوعية" المجيد بشكل ما، ولكننا تراجعنا لثلاثة أسباب:

- السبب الأول: يتعلق بالأمن فهذا الإسم يعرضنا للهجوم لأن الشيوعية "خارجة على القانون".
- السبب الثانى: وهو أهم من الأول، هو أن هذا الإسم يؤدى إلى الحكم علينا لا من خلال حقيقتنا أو أهدافنا الحقيقية بل إنطلاقاً من أفكار مسبقة غير معقولة أدخلتها فى العقول دعاية مستمرة تصور "الشيوعية" على أنها المرادف لأكثر المبادئ شذوذاً.
- ويتعلق السبب الثالث: وهو أهم الأسباب جميعاً، بما تنتظره الطبقة العمالية والجماهير المصرية من الشيوعيين، إذ يعنى هذا الإسم بث الإعتقاد فى النفوس بأننا قادرون على أداء دور قيادى: دور الحزب الطليعى بينما نحن لم نزل فى المرحلة الأولى من بنائه.

¹⁸ هذه المعلومات غير صحيحة، فكل من عمر حسن وسليم زكى تدربا على يد الإنجليز وليس الروس، ولم تكن أعمارهم - عندئذ - تنبئ بأنهم أدركوا الأوكرانا، اللهم إلا إذا كان تدريبهم قد تم فى مرحلة الطفولة.

وقد حدث آنذاك إجماع على هذا الرأى، لذا كان الشباب المثقف¹⁹ الذى تم "إعداده" من خلال المناقشات داخل الحزب الشيوعى الفرنسى - لا عن طريق النضال فى بلاده - على خطأ حين خرج عن الإجماع فى هذا الشأن وألف "حزباً شيوعياً مصرياً" فإختيار هذا الإسم وإن كان حسنة لا جدال فيها، إلا أنه يعد غلطة سياسية عميقة، الذنب الأول فيها هو خداع الجماهير (ولم يكن - للأسف - الخطأ الأخير فهم لم يتركوا خطأ إلا وإرتكبه).

2. ولنعد إلى مسألة إختيار الإسم للمجموعة التى كنا بسبيل إنشائها: إتخذنا قرارنا بأن يكون الإسم معبراً عنا وعن هدفنا فوقع إختيارنا على ما يلى:

- حركة: لا حزب للإشارة إلى أننا لا نزال فى البداية.
- مصرية: لأن التمصير يجب أن "يتم" وسنرى أنه تحقق مع ميلاد المجموعة.
- تحرر وطنى: فالتحرر الوطنى هو المهمة التى حددناها لأنفسنا حتى فى ذروة نضالنا ضد النازية والتى تعبر عن نشاطنا المعادى للإمبريالية، وبالإضافة إلى هذا هناك الواقع الإجتماعى الذى لا يمكن إنكاره لمفهوم التحرر.

هاهو العرض الملخص للطريقة والسبب اللذين تم بهما إختيار إسم "الحركة المصرية للتحرر الوطنى"؛ هناك ملحوظتان أخريان فيما يتعلق بالإسم:

الأولى: وهى أنه عند وحدتنا مع "إسكرا" تم بناء على إقتراحى إختيار كلمة "ديمقراطية" بدلاً من "مصرية" التى فقدت مع تأليف المجموعة الجديدة سبب وجودها مع الحفاظ على إسمنا السابق: لقد أصبح إسمنا - أكثر من أى وقت مضى - هو رايتنا فالتحرر الوطنى والنضال من أجل الديمقراطية هما المهمتان اللتان حددناهما لأنفسنا.

الملحوظة الثانية: هى أن إختيار الإسم لمجموعة ما، لا يعنى بالضرورة ظهورها به فور إختياره، فقد أصدرنا منشورنا الأول (نكاد نكون مجبرين كما سنرى لاحقاً) فى سنة 1945 بينما إختيار الإسم فى سنة 1943.

واجهتنا أيضاً بقية اللوائح بالعديد من المشاكل:

ما شروط دخول المجموعة؟ من يكون داخل وخارج المجموعة؟ كان هذا على درجة من الأهمية وخاصة أن عدد الشيوعيين فى تزايد: أعنى هؤلاء الذين كانوا حينئذ يعتبرون أنفسهم كذلك، هل سيصبحون أعضاء من "تلقاء أنفسهم" وبعضهم معروف بل و"شهير" وسبق له دخول السجن؟ هل سنتركهم جانباً؟ هل هذا من حقنا؟

هاكم الطريقة التى عملنا بها:

أولاً: غيرنا "الوسط"، غادرنا "عالم الشيوعيين" المعروفين والمكشوفين الذين لا يعرفون للنظام معنى، ولا يرغبون فى دخول "ثكنة" ! هذه هى الكلمة التى استخدمها لينين للإشارة

¹⁹يقصد د. فؤاد مرسى ود. إسماعيل صبرى عبد الله اللذين أسسا تنظيمياً حمل إسم "الحزب الشيوعى المصرى" عام 1950، عرف فى أوساط الحركة الشيوعية المصرية بإسم "الراية"، وهو إسم الجريدة التى أصدرها الحزب.

إلى نظرة العديد من المثقفين للحزب؛ "نزلنا" (إعذروا جرأتى فى استخدام هذا اللفظ فالأولى أن أقول "صعدنا") إلى الجماهير العديدة داخل هذا المحيط الحقيقى الذى لا يمكن للبوليس أن يعرفه جيداً وبالتالي لا يمكنه التحكم فيها؛ هذا "النزول" يمكن أن نقول إننا نجحنا فيه فى حدود متطلباتنا المتواضعة فقد عدنا منه بعدد من المناضلين يعدون من أكثر المناضلين الذين عرفتهم مصر صدقاً فى ثورتهم، والذين يفخر بهم أى "حزب" لم يزد عددهم على العشرين، فنحن لم نكن قادرين على "استيعاب" عدد أكبر، ومع هذا فقد أنشأنا الحركة الشيوعية المصرية بهم.

كان العثور عليهم هو المرحلة الأولى، يليها بعد ذلك الإعداد الذى كان أيضاً مغامرة مثيرة: مدرستنا الأولى للكوار، لقد كانت مغامرة حاسمة.

تمت تسوية المشاكل المادية بسهولة بفضل إمكانياتى "البورجوازية" مرة أخرى حيث كان مقر مدرسة الكوار الأولى "السراى" وهو بيت ريفى كبير يقع فى مزرعة واسعة يمتلكها أبى وأتولى إدارتها.

ضمت المدرسة خمسة عشرة مناضلاً استمر تدريبهم خمسة عشرة يوماً على ما أذكر، وكانوا من العمال والطلبة الفقراء – بينهم أزهرى واحد على الأقل – و"صغار البورجوازيين"، الأخرى أن أقول "صغار" بدون بورجوازيين.

ماذا تعلموا؟ لقد نقلنا إليهم كل ما نعرفه تقريباً. أولاً: من المقصود بـ "نحن"؟ مجموعة صغيرة جداً لا تزيد على ستة أو سبعة أشخاص من المثقفين بالطبع، وقد نجح معظمهم فى حياتهم العملية وأصبح أحدهم وزيراً! ²⁰ كانوا جميعاً مخلصين، متواضعين، راغبين فى نقل معلوماتهم بطريقة بسيطة ومباشرة للغاية وكذا فى "نقل الشعلة" بقدر إمكانهم إلى من هم أقدر على حملها مدة أطول ومسافة أبعد؛ إننى أذكرهم بمودة عظيمة فرغم طريقتهم اللامع فى الحياة لم يركن أحدهم أبداً "للخيانة".

عاش الدارسون حياة بسيطة وزاهدة فى ظروف مادية شديدة التقشف وجو معنوى غير عادى، وقد ترجم أحد المرشدين "النشيد الأسمى" بقدر كبير من الدقة والفن، وكان سماع هذا النشيد بالعربية من مناضلين صادقين قاموا على الفور "بإتخاذه نشيداً لهم" مكافأة أكبر من كل الجهود التى بذلناها.

كانت مهام التدريس أكثر تعقيداً بالطبع فالمقرر "غير منسق"، وإن كنت لا أستطيع تذكره إلا أننى أعرف أنه يضم بعض العناصر عن مصر: مواردها وبؤسها، مع تحليل أولى – على الأرجح – للطبقات بها، ومبادئ عن الإقتصاد السياسى والفلسفة الماركسية: نص ستالين الشهير عن "المادية الجدلية والمادية التاريخية"، مبادئ عن تاريخ الحزب الشيوعى البلشفي بالإتحاد السوفييتى وإنجازات الإتحاد السوفييتى فى جميع المجالات: القضاء على البطالة، المساواة بين الجنسين، التعليم للجميع إلخ.. كل ما يبدو خرافياً وما تم إكتسابه بفضل أكبر

²⁰تولى التدريس بهذه المدرسة هنرى كوريبيل، وجوماتالون، ودافيد ناحوم (من العناصر البورجوازية اليهودية)، بالإضافة إلى ثلاثة من أبناء البورجوازية المصرية هم: طاهر المصرى، وأحمد التونى، وزكى هاشم، والأخير كان وزيراً للسياحة لفترة قصيرة فى عهد أنور السادات.

مجهود بذلها شعب من الشعوب فى ظل ظروف كثيراً ما بلغت فى صعوبتها حد القسوة.. ولأتوقف هنا، فأنا كلما فكرت فى الإتحاد السوفييتى أتحوّل إلى شاعر.

ولنعد إلى مدرسة الكوادر: أقيمت المدرسة حوالى أكتوبر سنة 1943، ولم يداخنا شك فى أنها علامة على الميلاد الحقيقى للحركة الشيوعية المصرية حيث "استوعب" الماركسية مثلنا، مناضلون من الجماهير الشعبية استعدوا لأخذ مكاننا، كانوا بالطبع يعترفون لنا بالجهود التى قمنا بها، وكنا نحس بحبهم وإحترامهم لنا، فهم يولولنا ثقتهم وينوون على الإحتفاظ بنا إلى جانبهم لا التخلّص منا، ومع هذا فقد أصبحوا هم الشيوعيين من الآن فصاعداً، أما نحن فكنا فى ذروة السعادة لأننا أقرب الأصدقاء إليهم.

كنا قد إتفقنا أن التنظيم الشيوعى يمر بسلسلة من المراحل وإن لم نتفق على مغزى ولا مضمون هذه المراحل:

فى أول مرحلة يعمل الحزب -فلنسمه هكذا لتبسيط الأمور- "من الداخل"، وقد إختلفنا على معنى هذا العمل حيث يرى أكثر "منافسينا" جدية أنه يرتكز بصفة خاصة على الإعداد النظرى؛ أما نحن فكانت لنا رؤية مختلفة.

ولكنى أولاً أود توضيح نقطة: فى كتابه "تاريخ المنظمات اليسارية المصرية" يزعم رفعت السعيد -"لتبرير" الدور الذى قام به "الأجانب" فى إنشاء الحركة الشيوعية المصرية- أن البوليس السياسى لم يكن يهتم بهم بينما تشل رقابته حركة الشيوعيين المصريين، وسأثبت خطأ هذا الرأى.

أثناء بحثنا عن مناضلين "ذوى خبرة"، أحطنا بكل "قدماء" الشيوعيين وبخلاف عصام حفنى ناصف الذى طالب كشرط لإشتراكه بتعيينه أميناً عاماً ولم نكن مستعدين لقبول "شرط" كهذا، وياناكاكيس Yannakakis تاجر الإسفنج الشهير الذى كرس نفسه للعمل بين مواطنيه اليونانيين، إنضم إلينا جميع من توجهنا إليهم من الآخرين وناضلوا معنا أى كان بوسعهم النضال، وهم الذين دخلوا الحركة المصرية ولسنا نحن الذين أصبحنا أعضاء فى مجموعتهم؛ وأود ذكر بعض ممن أتذكرهم بصفة خاصة: الدكتور عبد الفتاح القاضى: تحدثت عنه كناشر ومحرر للمجلة الألمانية التى أصدرتها الحركة المصرية لأسرى الحرب الألمان (الرجوع إلى ما سبق)، وقد عمل كثيراً فى ترجمة الكتب النظرية ونشر المجلات الداخلية التى سأحدث عنها لاحقاً؛ ظل عبد الفتاح القاضى لفترة طويلة عضواً فى لجنتنا المركزية إلى أن صده أخيراً المعدل السريع لإجتماعاتنا الليلية التى تستمر طوال عشر ساعات من الساعة السادسة مساءً حتى الرابعة صباحاً فضلاً عن عمله صباحاً.

هناك أيضاً الدكتور "حسنونة" المسئول عن مجموعة الأسكندرية، وهو فى الواقع طبيب أسنان على درجة عالية من التعليم، وإن كان أقل "ثقافة" من الدكتور القاضى، وقد تولى الإشراف على مشاكل الطباعة السرية: مجموعة "الكتب الخضراء"، المنشورات إلخ.. والشيوخ صفوان، وعبد الرحمن فضل الذى أصبح شهيراً بسبب منعه من دخول مصر عند عودته من الإتحاد السوفييتى فظل لشهور طويلة جوالاً لا يرسو فى مكان، و"كواء" لا أذكر إسمه.. إنضم هؤلاء جميعاً إلينا وقاموا بعمل هام بالرغم من معرفة البوليس بهم جيداً، وقد

مات جميعهم للأسف، وإننى أتمنى أن يتولى إنسان ما، جمع كل الذكريات التى يحتفظ بها عنهم البعض منا لإحياء ذكراهم كما أمل ألا يتخذ المناضلون "الجدد" الذين يبحثون بجدية عن الخبرة الناقصة لديهم، موقفاً مزدرياً من "القدماء" إذا كان هؤلاء لا يريدون التعاون مع مناضلين "إرتكبوا أخطاء" فإن هذا يعنى الإدعاء غير المعقول بعدم إرتكابهم أخطاء لأن الوحيد الذى لا يخطئ هو من لا يعمل، على حد قول لينين، كما أن موقفهم المزدرى للخطاء القليل إنما يعنى فى الواقع عدم التمسك بالثورة، ونحن الذين كنا على استعداد للزحف تحت أقدام من يتيحون لنا التقدم خطوة واحدة فى أى مجال !

أخذت مجموعتنا إذن فى الإتساع بعض الشيء، وقد تألف – إن صح القول – "العمود الفقري" الثورى فى المرحلة الأولى من عمال الجيش بقيادة سيد سليمان رفاعى الذى يستطيع المساهمة فى تاريخ حزبنا بكتابة مذكراته، وأمل أن يحذو حذوى؛ ينبغى أيضاً نشر المعارك التى قادها هؤلاء العمال المتعلمون والمؤهلون، وهم بحق صفوة الطبقة العمالية فى مصر ومعاركهم جديرة بإحتلال مكان مشرف بين معارك الطبقة العمالية فى العالم.

إننى أذكر جيداً – مع كثرة الأشياء التى نسيتهها – التقرير الذى قدمته إلى اللجنة المركزية، بعد دورة مدرسة الكوادر وهو "خط إعداد الكوادر"؛ قوبل التقرير بحرارة وبخاصة من الأعضاء الجدد باللجنة المركزية، فلقد كان معبراً عن المطلب الرئيسى للمرحلة التى نمر بها: إذا كان هدفنا الأساسى هو "بناء الحزب" فإن الحركة الرئيسية فى هذا البناء هى "إعداد الكوادر" الذى نجحنا فيه بقدر معين ولفترة ما، والدليل على هذا هو رأى "منافسينا": يال هنرى من شخص مزعج ! لم تكن الأوصاف بهذا اللطف – للأسف – إن كوادر الحركة المصرية لا مثيل لهم؟! ومن الأخطاء الكبرى التى إرتكبناها عدم الإنتباه إلى توقف عملية "إعداد الكوادر" بينما تتطلب الزيادة السريعة فى التنظيم عدداً متزايداً من الكوادر الجديدة، وربما كان السبب فى المقاومة غير الكافية التى واجهت بها الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى حملات الشرطة فى مايو سنة 1948 هو هذا التفاوت المستمر بين عدد الكوادر الموجودة وعدد الأعضاء، وبالإضافة إلى هذا فإن كوادر الحركة المصرية – لإنغماسهم بالكامل فى النشاط العملى – لم يتطوروا بإتساق فى جميع النواحي إكتفاء بتطورهم من خلال المشاركة فى المعارك الحادة التى قدناها، وسنرى أن إجتماعات اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية خلال الفترة الطويلة للصراع الداخلى لا تشغلها مهام الإدارة الفعلية للعمل فضلاً عن محاولة التحليل الواعى والهادئ للوضع، وقد كلف هذا "الإنحراف" الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى غالياً، ولكننى أشك فى وجود تحليل كاف لهذه الظاهرة. أقول هذا لأن إجتماعات اللجنة المركزية بالحركة المصرية ساهمت فى إعدادنا: كانت المشاكل كلها تطرح وتناقش بعمق، على سبيل المثال تحليل الوضع السياسى للبلد الذى سنتحدث عنه عند ذكر أحداث سنة 1945 – 1946، وهو تحليل لم تقم بمثله الحركة الديمقراطية كما أننا قمنا وحدنا فى مواجهة الجميع بتحليل لضرورة المد الثورى فى أكتوبر سنة 1945 بالتحديد، على أننا لم نكتشف ولم نتصور الهجوم المتطور للرجعية فى منتصف سنة 1947 تقريباً. لذا كانت الإجراءات التى إتخذناها لمواجهة سطحية أو على أية حال غير كافية؛ ولا أذكر أننا نتناقشنا مرة واحدة حول ما قد يحدث فى 15 مايو: الحرب، إعلان الأحكام العرفية.. فكان

"الإجراء" الحازم الوحيد هو توجيه "النصح" للقادة بتغيير أماكن إقامتهم؛ لم يكن مدهشاً إذن نجاح الهجوم الرجعى من هذا النوع من الإعداد، ولنا عودة لكل هذا.

لا نزال حتى هذه اللحظة فى الحقبة التى تلت "فترة التكوين الأولى" وهى المرحلة الأولى فى بناء الحزب، تلك المرحلة التى يعمل فيها الحزب من الداخل فينشئ كوادره ويحدد أسلوب العمل وتجارب التنظيم والوسائل الفنية، ويحلل واقع البلد تحليلاً مادياً وليس مجرداً: إلى أين وصلت بالفعل كل من القوى الإجتماعية التقدمية، والمحافظة والرجعية؟ ما درجة نضوجها الفعلى؟ ما هو بالضبط التأثير المتبادل بين هذه القوى؟ إلخ إلخ.

من أكثر دراساتنا خصوبة تلك الدراسة التى أسفرت عن إدراكنا بأن القلب الثورى المصرى للطبقة العمالية ينبض بشبرا الخيمة: يا عمال شبرا، هاهى المناسبة للإنحناء لكم ولقائكم المحبوب والمحترم محمد شطا القائد بلا منازع الذى أنشأ "مجالس المصانع" قبل ثلاثين عاماً من تشكيل "اللجان العمالية" بأسبانيا والذى قاد المعارك المثالية الجديرة بأن يذكرها التاريخ.

ساعدت مجموعة من العناصر الموضوعية التى أدركناها جيداً على حب عمال شبرا للنضال:

- ضخامة الطلب وإرتفاع الأسعار حيث أوقفت حالة الحرب الاستيراد الخارجى، كان إذن من صالح أصحاب العمل شديدى الجشع الاستجابة لمطالب العمال إذ أن الخسارة فى حالة الإضراب مرتفعة للغاية.
- على العكس من هذا كان الموقف فى المحلة التى لم يكن بها سوى مصنع كبير واحد، وكان الطرد منه يعنى إما الإغتراب إلى القاهرة مثلاً أو العودة إلى الأرض؛ أما فى شبرا حيث المصانع العديدة – كان البعض منها مجرد ورشة بسيطة – وحيث تنقص الأيدي العاملة المؤهلة كان من السهل أن يجد العامل المطرود بسبب نشاطه مكاناً آخر للعمل.

كانت الظروف إذن مواتية وأعطت جهود شطا ثماراً أخرى ولم تقتصر على إنتصار المطالب، ففى وقت بسيط أصبح عدد كبير من عمال شبرا شيوعيين وأى شيوعيين! أتذكر بياناً لى عن "الأجر، السعر، الفائدة"، يصف هذا البيان ميكانيزم استغلال العمال وكان عمال النسيج الذين يستمعون إليه يفهمونه بصورة أفضل منى، فهم يعيشون هذا الاستغلال وبإمكانهم حساب معدله بدقة.. لقد كان الأمر جلياً بالنسبة لهم، من هنا كان إنضمامهم الفورى والنهائى.

أحسست هذا الإحساس "بالحب من أول نظرة". مرة أخرى أود أن أرويها هنا: فى سنة 1947 تم القبض على وإعتقالى فى سجن الأجانب فى ظروف سأعود إليها؛ قابلت فى السجن معتقلاً آخر، وهو قاطع طريق قادم من الريف، قتل عدداً لا أذكره من الأفراد وإن كنت أظن أن الإحصاء شمل أكثر من عشرة، ولكن أحداً لم يشهد ضده لما يثيره من خوف ورهبة؛ هذا السجن أدين له بفهمى المادى لمعنى النضال الفورى التلقائى فى الريف حيث يأخذ هذا النضال شكل "قطع الطريق" لعدم قيام الطبقة العمالية بقيادته، كما أدين له أيضاً

بمعرفتى بإحتياج الفلاحين إلى "تجسيد" طموحاتهم فى صورة أشخاص "يفوضون" إليهم أمرهم وينقادون إليهم بلا تبصر على أن تكون لهم جميع المزايا: إنه شكل من أشكال "عبادة الشخصية" .. ولنعد إلى "قاطع الطريق" الذى كانت لى معه مناقشة قصيرة: كلمته، وإن لم أحسن التعبير لعدم كفاءتى فى هذا المجال، عن مبدأ "الأرض لمن يزرعها"، لم أرى فى حياتى رد فعل أسرع من هذا فقد نادى السجائين، وكان أطول منهم قامة ويثير فى نفوسهم الرعب، وقال لهم مأخوذاً بحق: "لقد وصل المهدي!" عبثاً حاولت أن أشرح له أن هذه المواقف ليست شخصية وأنها مواقف يتبناها حزبى وكل الشيوعيين فى العالم.. تم الفصل بيننا على أننى أظن أن قاطع الطريق هذا كان بإمكانه أن يصبح تشابايف Tchapaiev مصرياً بحق.

ولنعد إلى عمال شبرا الخيمة الذين يعرف عنهم الجميع أنهم رمح الحركة الوطنية فى سنة 1945 – 1946 فهم القوة الأساسية لمظاهرات الجماهير حيث كان قادتهم هم المحركون الرئيسيون "اللجنة الطلبة والعمال" – والأجدر تسميتها "لجنة العمال والطلبة" – ومصر مدينة لحبهم للقتال وللتضحيات التى بذلوها فى قيادتهم للجماهير بأول إنتصار ثورى تحقق بعد الحرب وهو الجلاء عن وادى النيل المحتل منذ سبعين عاماً.

إن كتابة ملحمة عمال شبرا مهمة لمحمد شطا الذى لم يتوقف دوره الوطنى عند حد قيادة عمال شبرا أو عمال النسيج بصفة عامة بل إمتد إلى "لجنة الطلبة والعمال" وإلى اللجنة المركزية للحركة المصرية التى كان عضواً بها، ثم الحركة الديمقراطية بعدها؛ إن محمد شطا أحد أساتذتى وكان يقول لى أحياناً: "ليس فى مقدورى الرد على حجبك ولكنك مخطئ مع هذا"، وكان على حق.

ولكن الوقت لم يتح لنا الذهاب أبعد من ذلك.

أخذنا فى العمل بجدية "لتحويل" الحركة المصرية إلى حركة "عمالية (بروليتارية) شبراوية"، وصعد عمال آخرون من شبرا إلى اللجنة المركزية بالحركة المصرية.

إن تحويل التكوين الوطنى أو الإجتماعى لهيئة ما ليس بالعملية الميكانيكية، إنه تحول حقيقى ينبغى إجراؤه، لذا يجب النجاح فى العمل على ألا يشعر العنصر الجديد بالإغتراب أو بأنه "فى ضيافة الآخرين"، بل يجب أن يشعر أنه "فى بيته" وأن "الآخرين" هم الذين "فى ضيافته"، يجب أن يمر سريعاً من "أنتم" إلى "نحن"؛ صدقونى ليس هذا بسيطاً وبخاصة أن القادة الجدد لا يتم إختيارهم بواسطة زملائهم الذين لم يصلوا للقيادة بعد وإنما بواسطة الآخرين؛ كيف ينبغى لهذا الإختيار أن يتم؟ ليس تبعاً للمعايير الخاصة "بنا"، وهى درجة الإعداد والحكم على القيم، بل يجب أن يتم على أساس وجهة نظر الآخرين: العنصر العمالى الطليعى هو العامل الذى يعتبره زملاؤه كذلك، سواء فى المصنع أو فى المهنة، وإذا كان هذا العامل محترماً من زملائه فإن هذا بالضرورة يعود إلى:

- أنه يجيد النصح ومن الطبيعى التوجه إليه عند مواجهة صعوبة.

• أنه يهتم بالآخرين أكثر من نفسه: هذا الإخلاص لزملائه، الإخلاص الذى سيكرسه سريعاً للطبقة العاملة كلها وللمصالح العميقة لشعبه، هو قوام شخصية العامل الطليعى.

• وأخيراً أنه لم "ينتظرنا" ليبدأ النضال فالمعرفة بقوانين الماركسية لم تكن هي ما جذبته للنضال، بل إنه هو الذى قاد النضال على الفور من أجل زملائه وطبقته وشعبه، وعندما "قابل" الماركسية وجد فيها ما يبحث عنه بكل روحه وقواه: المغزى العميق لقتاله والسلاح القوى الذى سيمكنه من القتال بفعالية أكبر وهما تجربة كل الذين- من قبله- قادوا المعركة نفسها فى العالم أجمع؛ يالها من حقيقة مثيرة للحماس: إنها حقاً المعركة ذاتها !

ولكن الوقت لم يتح لنا، كما سبق أن قلت، لإعداد عدد كاف من عمال شبرا ككوادر فقد عرفنا عن هذا الإعداد الوحدة التى ينبغى تحقيقها، وكنا نظن تراجعنا مؤقتاً ولكن للأسف لم نستطع استئناف جهودنا فى هذا الإتجاه، إذ يبدو أن المشاكل الداخلية شلنتنا: كنا نعمل بجدية فى كل الإتجاهات، ونشرت الحركة المصرية دوريات داخل الحزب لحل مشاكل التكوين الداخلى: "الوعى" وكانت بمثابة "لسان حال نظريتنا"، وأخرى لا يحضرنى إسمها عن الإتحاد السوفييتى، والثالثة وإسمها "الكادر" مركزة على مشاكل التنظيم.

أما على الصعيد "الخارجى" فكما قلت لم نكن قد ظهرنا بعد كتنظيم وكنا على حق فى هذا الموقف المطابق للنظرية الماركسية اللينينية عن البناء المرحلى للحزب الثورى، ولكن هذا لم يكن يعنى على الإطلاق أن مناضلى الحركة المصرية قانعون "بدراسة الماركسية" كما يحدث لدى "آخرين".

لم يكن بالطبع كل المناضلين صادقين فى ثورتهم، إذ انضم بعضهم إلى تنظيمات أخرى "أكثر جدية" و"أفضل تنظيماً" من وجهة نظرهم لعدم استطاعتهم مجاراتنا، وأصبح بعضهم أشد الأعداء ضراوة، كما ألف آخرون "تنظيماتهم الخاصة" التى يشعرون فيها أنهم "فى بيوتهم".

ولكن هؤلاء لم يمثلوا إلا أقلية، وكنا نرى فى موقفهم تأكيداً لصحة خطنا الثورى فنكتفى، حتى لا نرثى كثيراً لفرارهم، بذكر جملة لينين عن "أولئك الذين ينقلبون بعرباتهم عند المنعطفات"؛ وكنا فى أحيان أخرى ننتفس الصعداء لتخلصنا من هذا "الثقل المعوق" بحق، ولا أذكر أننى أو أننا - مجموعة كوادر الحركة المصرية- رثينا حقاً لمغادرة هؤلاء التى هى فى الواقع بمثابة سقوط الأجزاء الفاسدة فى التنظيم.

كان العمل "خارج" التنظيم يعنى بالنسبة لمناضليه استئناف النشاط الذى تقوم به غالبيتهم بطريقة أكثر فعالية وأكثر إدراكاً وأكثر وعياً فزادت الإضرابات فى كل مكان، وأصبحت أحسن إعداداً وقيادة وأثمرت نتائج أفضل من ذى قبل.

من المشاكل التنظيمية التى كان علينا حلها مشكلة "المتفرغين" أو "المحترفين"، وهو إسم لا يحمل أى معنى مهين، وقد إتبعنا فى مواجهتها وصية لينين - وإن لم يتم قبولها بسهولة- القائلة بأن "الثورة لا يعد لها فى أوقات الفراغ"، والتى تتطلب أكبر عدد من "المحترفين"

الثوريين لمواجهة "محترفي" البوليس السياسى المصرى والآخرين: أحصينا سبعة أنماط من البوليس ينبغى علينا مواجهتها.

كانت المكافأة الزهيدة التى يحصل عليها المحترفون وهى ستة جنيهات مصرية غير كافية إلا بالنسبة للمناضلين من أشد الطبقات بؤساً، مما يضطرهم إلى الاستدانة من رفاقهم ميسورى الحال، وكان السبب فى هذا الجو غير الصحى هو مواردنا المحدودة التى كان لها ثقلها. فلأعترف بأمانة – عند تحقيق الوحدة مع إسكرا Iskra حيث يتيح الحصول على موارد وفيرة تطويراً حاسماً لنشاطنا وذلك عن طريق زيادة عدد ومكافأة المحترفين؛ ومع هذا كان خطأنا الرئيسى هو الاعتقاد بأن "المعجزة" أو المهارة كفيلة بحل المشاكل المالية التى لم ننظر إليها باعتبارها مشكلة سياسية ينبغى مواجهتها بالنشاط الذى نكرسه بصفة عامة لحل المشاكل الهامة.

كان من الضرورى إذن إعطاء أهمية حاسمة لتجنيد وإعداد المتفرغين الذين يعتبر إطلاق هذا الاسم على عدد منهم نوعاً من "التحايل" مثل الطلبة الذين لا يزالون يعيشون مع عائلاتهم.

إن النظرية بدروها لم تأخذ الأهمية الواجبة فى جهودنا لبناء الحزب؛ وسألخص هنا العناصر المختلفة التى لا غنى عنها داخل وخارج الحزب، وهى عناصر يقوم تسلسلها على درجة الإلتزام، حيث نجد على القمة هؤلاء الذين يكرسون أنفسهم بالكامل لخدمة الحزب ويتخذون من الثورة حرفة لهم؛ ينبغى إذن أن تكون مواردهم من الحزب نفسه، إذ أنهم جميعاً يتمتعون بقدرات عقلية وتنظيمية تتيح لهم ممارسة أنشطة أكثر إيراداً، ومن هؤلاء المناضلين تتكون، ما لم يكن هناك استثناء، الهيئات الموجهة لأنهم بالفعل الوحيدون القادرون على ممارسة "مهنة" تركز على العناية بجسم المجتمع، وعندما يصل الثورى منهم إلى منصب "نائب" مثلاً يقوم بتسديد ما تقاضاه للحزب: من المعروف أن هذه المبالغ تمثل مصدراً هاماً جداً من المصادر المالية للحزب الشيوعى الفرنسى مثلاً.. وقد حاول الرجعيون دائماً النيل من هؤلاء المحترفين بوصفهم "بالمترزقة" و"العملاء"، لذا لزم الرد عليهم بحزم، إذ كان علينا مواجهة "محترفين" لا يحركهم مثل أعلى ومعظمهم من المترزقة بحق: البوليس السياسى بأنماطه، ثم الأحزاب البورجوازية التى تضم عدداً كبيراً من الأعضاء وربما لا يحصل هؤلاء الأعضاء على مكافأة أو قد تكون المكافأة غير مباشرة إلا أن إمكاناتهم "الشخصية" تتيح لهم العيش ببذخ.

أصبح لدينا إذن "محترفون" رغماً عن رأى العام، على أن هؤلاء المحترفين فى نظرنا لم يكونوا على درجة كافية من الإحتراف، إذ أننا – كما قلت سابقاً – لم نهتم بإعدادهم إعداداً كافياً وإكتفينا فى الواقع باستغلالهم لأقصى درجة، ومع هذا فهم الثروة الحقيقية للحزب الثورى.

هناك أيضاً "الإنتشار الإستراتيجى" الواسع الذى بذلنا كل ما فى وسعنا لتحقيقه بالتوازي مع جهودنا للعثور على الحلقة الثورية، التى يمثلها فى هذه الفترة عمال شبراء، وتطويرها؛ لا أقصد هنا الجهود التى بذلناها مع اليونانيين والإيطاليين والألمان والفرنسيين إلخ.. فهذه الجهود قمنا بها على أساس "دولية عمالية (بروليتارية)" وكنا فخورين جداً بتقديمها حتى

أنتى لا أذكر إعتراضاً واحداً على الأنشطة العديدة لنا فى هذا المجال، وهى أنشطة كان بإمكاننا استغلالها بحكمة فى تطورنا الذاتى، ومع هذا لم نتهرب أبداً من أية مهمة وكان لنا العديد من المبادرات مثل مساعدة الأثيوبيين، وبرغم ضعف الإمكانيات طبقنا حرفياً القول المأثور: "يثرى المرء بما يعطيه" إذ كان ثراء الحركة المصرية من هذه الناحية لا ينفد.

إن هذه الأنشطة قد أفادتنا كثيراً أيضاً حيث حصلنا من مساعدتنا لليونانيين مثلاً على خبرة فى العمل الثورى السرى، كما ربت فينا هذه المواقف الإحساس الذى ذكرته "بالدولية العمالية (البروليتارية)" التى تؤلف القوام الحقيقى للشيوعية وهو إحساس لا يتنافى مع معنى الوطنية التى ينبغى أن تكون عليها الشيوعية فالشيوعيون هم أحسن الوطنيين، وهم يفضلون كثيراً هؤلاء الذين يدعون أنفسهم كذلك والذين يتسبب مفهومهم الضيق والمحدود فى إلحاق الفشل الذريع بالوطن بدلاً من أن يخدمه فى حين أن الدولية العمالية - قلنا هذا عدداً لا يحصى من المرات - لا تضع حداً لأشد الوطنيات تصلباً بل إنها تضيف إليها تألقاً، ولقد ساعدنا هذا الإحساس على إتخاذ موقفين ضد التيار فى مشكلتى السودان وفلسطين اللتين سنعود إليهما بالطبع.

إننى أتحدث هنا عن المرحلة الأولى التى تمتد من أكتوبر سنة 1943 إلى أكتوبر سنة 1945، هل استطعت إعطاء فكرة عن إتساع وتعقيد مهامنا مع ضعف الإمكانيات المتاحة؟ هل كان بوسعنا عمل "كل شيء" فى هذه الظروف؟

كان "إنتشارنا" داخلياً وقد وجه إلينا اللوم لأننا لم "نعمل بالريف" وهو بداهة ما لم يرق به نقادنا، ولكن هذه قصة أخرى؛ حقيقة أننا عملنا بالقاهرة أساساً - والأسكندرية أيضاً - ولكن هناك إمتداداً لنا يتمثل فى المناضلين الذين يعودون لبلادهم لسبب أو لآخر: الطلبة الذين يعودون إلى ذويهم أثناء العطلة، العمال العائدون إلى قراهم بعد الاستغناء عنهم، الأزهريون أو بصفة عامة حملة الشهادات المقيمون بالريف إلخ.

كان "الإنتشار" فى القاهرة نفسها لا يستهان به: تحدثت عن العمل بين السودانين وهنا ينبغى القول إنه إذا كانت الكوادر العمالية الرائعة للحزب الشيوعى السودانى تدين بتكوينها إلى العمل معنا: عملنا بين النوبيين وذكرت فخر حزبنا بكوادره النوبية التى شاركت فى القيادة على جميع المستويات، فإن العديد منهم، كوادر ومنتقنين، قد ناضل إلى جانبنا ومنهم عبد الخالق محجوب، وهو بلا جدال أكثرهم تأثيراً، الذى قام بدور رئيسى - أهله له الدور القيادى الذى أداه كاملاً فى الحركة المصرية والحركة الديمقراطية وفى الحركة السودانية والحزب الشيوعى السودانى؛ هذا ولا ينال من جدارته الدور الكبير الذى لعبته فى تكوينه الفترة التى قضاها فى مصر والتجربة التى حصل عليها أثناءها سواء على الصعيد السياسى والتنظيمى أو على صعيد مشاكل النضال الداخلى.

لقد تحدثت عن الأزهر وعمال الجيش كما سأذكر كلمة عن "الجنود" (ضباط الصف) عند الحديث عن الجيش وعمال النسيج، أما الآن فإننى أود الحديث عن قطاع "الطلبة" لدينا: فى كل بلاد العالم الثالث كثيراً ما يلعب الطلبة دوراً هاماً فى النضال الثورى، إذ أنهم بتعليمهم وتجمعهم الضخم داخل الكليات التى تجتمع بدورها داخل الجامعة كما هو الحال فى جامعة

القاهرة بالجيزة يمثلون بحق شباب البلد وبالتالي مستقبه ولكن فلنطرح العموميات جانباً ولنعد إلى مصر حيث كانت الخاصة الأولى للطلبة هي الفقر الشديد: فرق واضح بينهم وبين الطلبة الأثرياء الوافدين علينا بعد الوحدة مع إسكرا Iskra، لقد كانوا بالفعل من طبقة إجتماعية مختلفة ! أما الشباب من غير الطلبة الذى تضطره الظروف إلى العمل للوفاء بإحتياجاته وإحتياجات أسرته، والذى يصل مبكراً إلى مرحلة النضوج بفعل هذه الظروف، فهو لا يمثل طبقة مختلفة عن بقية العاملين أو على الأقل لم يظهر لنا هذا الإختلاف.

كان الطلبة ثوريين لأقصى درجة وسنرى فيما بعد الدور الوطنى الذى قاموا به فى مصر حيث كانوا قوة مشاركة لا "مساعدة" فحسب فى إدارة الحركة الوطنية، ويعود الفضل فى هذا الدور إلى الطلبة الشيوعيين بالحركة المصرية.

كان العمل مع لجنة القطاع الطلابى بالحركة المصرية هاماً جداً بالنسبة لى فهو يعد أول محاولة لى للعمل "المباشر" فى قطاع ما: بدأت هذا العمل عندما "يئس" منه المسئول السابق الذى لم أعد أذكر إسمه المستعار، وكان ما شجعنى على الإهتمام بهذا القطاع هو أن العمل مع هؤلاء المناضلين كان معرضاً للتوقف.

"أمين، شوقى، سلطان" كم كانت رائعة فكرة عملى معهم ! أى نوع من البشر هم ! لقد كانوا على درجة من الفقر لا تتيح لهم ركوب الترام البالغ ثمن تذكرته آنذاك ستة مليمات فكانوا يذرعون القاهرة وضواحيها سيراً على الأقدام وهو ما كانت تضطرمهم إليه عودتهم المتأخرة فى أحيان كثيرة عن موعد آخر ترام، ومع هذا كانوا ككل الشباب الثورى: تزيد سعادتهم ويزيد عملهم كلما زادت المطالب وتعددت المهام التى يقومون بها.

وأود هنا الحديث قليلاً عن عبد الرحمن الشرقاوى: لا أذكر الظروف التى إنضمت فيها مجموعته، وهى مجموعة بها عدد كبير من الموظفين بمصلحة الضرائب " ! " إلى الحركة المصرية للتحرر الوطنى MELN؛ ربما كان هناك سبب خفى وراء هذا الإنضمام المؤقت – غادرت المجموعة التنظيم فى سنة 1945 فى ظروف سأعرض لها فيما بعد– ويبرر هذا الظن إتخاذهم أسماء "أوروبية" مستعارة تساعدهم على التعرف على بعضهم البعض دون "النوبان" فى التنظيم؛ وفى رأى فإن الهدف منه هو الحصول على أعمال ماركسية باللغة العربية وإكتساب الخبرة التى تنقصهم فى مجال التنظيم؛ وقد قاموا بعد مغادرة التنظيم بتأسيس "الحزب الشيوعى لشعبى وادى النيل"، وأنا هنا أتحدث عنه لأعطى مثلاً "للتنظيمات" الشيوعية التى هى فى معظم الأحيان "تكتلات": مجموعات من "الأصدقاء" متجانسة تماماً تنشئ سويةً تنظيمياً شيوعياً، أو بمعنى أدق "تنظيماً خاصاً بهم" تسوده نظرة مشتركة للمشاكل؛ وكانت هناك بالفعل صلات شخصية قوية جداً تجمع بين هؤلاء وكانوا أقدر على التفاهم فيما بينهم منهم على التفاهم معنا ومع الآخرين بصفة عامة، فهم يرون أنهم وحدهم يمتلكون الصدق الثورى والقدرة على الفهم الصحيح للأوضاع.

كان الوضع فى الحركة المصرية التى لم تضم "تكتلات" مختلفاً تماماً، فالقادة لم يتعارفوا إلا داخل التنظيم، وكنا نختلف تماماً عن بعضنا البعض بصرف النظر عن إنتمائنا الطبقي الذى قد يكون مشتركاً: لم يكن هناك – مثلاً – تشابه بين بدر الميكانيكى بالجيش والحاصل على شهادة من مدرسة فنية وشطا عامل النسيج وثيق الصلة بمسقط رأسه، على أن هذا لم يحل

دون تشكيلنا فريقاً تجمعنا الأخوة الحققة، وكانت هذه الاختلافات المتبادلة تزيد من ثرائنا حيث كنا نشعر بالتضامن مع الآخرين، أما التشتت فكان يمثل عنصر ضعف بالنسبة لكل منا.

لا أود الرجوع إلى أحداث أكتوبر – نوفمبر سنة 1945، التي كثيراً ما تحدثت عنها، إلا بقدر ما تمس المشاكل الداخلية وإن بقي وارداً أمر عودتي إليها عند كتابة هذا الكتاب بصفة نهائية.

إنها مرحلة جديدة للحركة المصرية التي "خرجت إلى النور" في جو حماسى بهيج حيث قامت بالدعوة إلى العمل فى منشورات تحمل، للمرة الأولى، إسمها وكان الأعضاء يوزعون ويلصقون هذه المنشورات على الحوائط برغم الأخطار التي يتعرضون لها، فإن هذه الأخطار تعنى أن عملنا من الآن فصاعداً أصبح يتم على صعيد أعلى.

لم نكن مع هذا مستعدين لمواجهة علنية مع البوليس: لقد كان إندفاعنا إلى العمل بمثابة زوبعة شديدة أدت إلى إنهيار هيكلنا التنظيمى لا إهتزازة فحسب – دليل آخر على عدم استعدادنا – وإذا كنا استطعنا الصمود فإن ذلك يعود إلى المد الثورى الذى كان فى ذروته وإلى معرفة البوليس غير الجيدة بنا.

أثبتت الأحداث التالية ضعفنا الحقيقى، هذا الضعف أدركه صدقى الذى تولى السلطة فطرح فى يوليو سنة 1946 قضية "المؤامرة الشيوعية الكبرى" التى كنت –ولى الشرف– المتهم الأول فيها؛ كنا أكثر من مائة إلتقينا فى سجن الاستئناف المجاور للعمارة التى توجد بها محافظة القاهرة والنيابة العامة المسؤولة عن إجراء الاستجواب، حقاً لقد شاهدت الكثير من "السينما" بدون مغادرة السجن المشترك حيث كان الجو مثيراً ومرحاً أكثر منه باعثاً على الخوف، إذ أدركنا أن المؤامرة المدبرة ضدنا يحق بها الفشل التام: تخفف عبده ذهب مثلاً من ملابسه وإرتدى "جلباباً" فهذا ليس أول إعتقال له وهو يشعر كأنه فى بيته، أما أنا فكنت أتعرف للمرة الأولى على سجن حقيقى، وكان البق هو مبعث خوفى الرئيسى، وقد وافق المدير الذى كان رفيقاً بنا وبى بصفة خاصة – كما قلت سابقاً – على رش د. د. ت، كانت هذه هى أول مرة يتم فيها الرش، لذا حضر إلى زمراتى المدير يتبعه الممرض مع مجموعة من السجنائين الذين يحملون الرشاشة ويتخذون كافة الإحتياطات كما لو كانت قنبلة، وعند إنتشار البخار بصوته المميز ساد الهرج المكان لمدة دقيقة.

ذهبت إلى النيابة العامة بصحبة ثمانية من الجنود يرأسهم ضابط، وقام باستجوابى رئيس النيابة، كانت لنا فى الواقع أحاديث طويلة عن "الشيوعية" وطبيعتها الحققة لأن ملفى لم يكن به عنصر محدد، فى البداية كنت أرد بإيجاز بقدر الإمكان إلى أن فهمت أنه يرغب فى الحصول على ملف يحتوى على أكبر عدد ممكن من الصفحات المليئة.. أعطيته قدر طاقته وتحدثت باستفاضة.. كان المعتقلون فى مجموعهم يشكلون خليطاً غريباً من وفديين "يساريين" إلى كل "الشيوعيين القدامى" أى الشيوعيين المعروفين منذ بداية الأربعينيات، وقد توقف معظمهم عن العمل وإقتصروا –على كل حال– على الأنشطة الفردية على صعيد المواقف؛ أما أعضاء الحركة المصرية المعتقلون – مثلى ومثل عبده ذهب – فقد تم إعتقالهم لوجود أسمائهم فى القوائم القديمة، هذا وقد أثبت توزيع المنشورات بالخارج فور القبض

علينا أن إعتقلنا لم يؤثر بحال على الحركة الشيوعية المصرية وعلى الحركة المصرية قبل كل شيء.

وتوالى الإفراج بكفالة عن المعتقلين: كان ترتيبى قبل الأخير فى قائمة المفرج عنهم، أما الأخير²¹ فكان تروتسكياً – الوحيد فى مصر أو يكاد يكون كذلك – وقد أدلى بتصريحات خطيرة.. للإنتهاء من هذه المسألة من الطريف أن أقول إن محاكمتنا تمت بعد عشرين شهراً من ذلك بمحكمة الجنايات وصدر الحكم – الغيابى فيما يخصنى – بالبراءة التامة.

وفى العام التالى، حدثت محاولة أخرى "لتغذية" ملف خال: ففى أحد الأيام بينما كنت جالساً فى مقهى مع بعض الزملاء إذا بالبوليس يعتقلنا ويقودنا إلى سجن الأجناب حيث عزلونى عن زملائى وإتهمونى بإصدار منشور: هذه هى الفترة الوحيدة التى إنتابنى فيها شيء من القلق. ولكن سرعان ما أطلق سراحنا إذ أن التحدى كان سافراً.

لمحة عن الأخلاق فى السجن: عندما رأى مدير السجن هزالى، وكان يشعر بمودة نحوى نصحنى بأن أتعاطى "الحشيش" حتى "يفتح شهيتى".. وكان فى الطابق العلوى حيث تجمع زملائى تاجر حشيش أظهر نحوهم الود، وفى يوم من الأيام إذا بالضحكات المصاحبة لعسر الهضم الناتج عن الحشيش ترن عالياً داخل أرجاء السجن ولا تتوقف، كان السجانون يغمضون أعينهم وخاصة أنهم يتلقون مكافأة من جرعات الحشيش التى لا يستطيع معظمهم الاستغناء عنها.

إننى لا أعرف فى أية فترة بالتحديد يأتى تأسيس الحركة السودانية للتححر الوطنى الذى تحكى عنه روايات مختلفة وأود هنا أن أقص روايتى:

إننى على يقين من أننى صاحب إقتراح فصل ما كان حتى الآن القسم السودانى من الحركة المصرية للتححر الوطنى، وتحويله إلى حركة مستقلة، كما أننى أذكر جيداً أن زملاءنا السودانين قابلوا هذا الإقتراح فى بادئ الأمر بالوجوم: "هل تخليتم عنا؟!". ولكنهم سرعان ما استدركوا؛ شرحت أولاً أن المسألة "مسألة مبدأ". وكانت هذه الكلمات السحرية كافية للتغلب على جميع الصعوبات -إذا استخدمت فى محلها- لأننا كنا على استعداد دائم للتضحية فى سبيل "المبادئ"، ثم أكدت لمحدثى أننا لن نهمل أبداً فى أى ظرف من الظروف تقوية الصلات بين الحركتين، ويجب أن أقول إن المشاعر الأخوية التى تربط بين "الحركة السودانية للتححر الوطنى" MSLN التى أصبحت فيما بعد الحزب الشيوعى السودانى والحركة المصرية ثم الديمقراطية للتححر الوطنى لم تضعف أبداً بعد رحيلى، ولكنها للأسف لم تتعد المشاعر، فأنا لا أعرف مواقف مشتركة اتخذت بالتنسيق بين الحركتين: اتخذ قرار حل الحزب²² مثلاً، وإسمحو لى أن أقول كلمات عنه بالرغم من أنه لا يقع فى الفترة التى

²¹يقصد لطف الله سليمان، وعندما أورد جيل بيرو فى كتابه "هنرى كوريبيل، رجل من طراز فريد" هذه العبارة، رد عليه لطف الله سليمان بمقال نشر بمجلة "فرنسا والبلاد العربية العدد 120، يوليو – أغسطس 1984" دون أن يدرك أن بيرو ينقل عن مذكرات هنرى كوريبيل.

²²يقصد قرار 1965 الذى إتخذه الحزب الشيوعى المصرى بعد إنتهاء محنة المعتقلات على أساس أن النظام أصبح يسير فى إتجاه الإشتراكية. (لمزيد من التفاصيل راجع: رفعت السعيد، تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، الوحدة – الإنقسام – الحل 1957 – 1965، دار الثقافة الجديدة).

ينتاولها هذا العمل، بدون الرجوع إلى الحزب الشيوعى السودانى، وقد وجه هذا ضربة حقيقة لهؤلاء الذين يناضلون فى السودان، وعلى رأسهم عبد الخالق محجوب، ضد "الحزب الواحد" الذى تحاول القوى البورجوازية فرضه ويساندها فى هذا تيار يمينى داخل الحزب الشيوعى السودانى؛ لست أقصد عدم وجوب إتخاذ هذا القرار بل أقصد وجوب إتخاذه بمضمون مختلف - سأحدث عنه فى موقف آخر- أى بالرجوع الصريح إلى الموقف السودانى، حيث كان ينبغى مناقشته مع الرفاق السودانين، وأخذ القرار السودانى فى الحسبان.

إن هذا الموقف ليس إلا مثلاً، ولكنه يبدو لى مثلاً صارخاً وخاصة أننى أشعر أن صلات "النضال المشترك" لا غنى عنها -اليوم أكثر من ذى قبل- وإن أصبحت ذات طبيعة عميقة الإختلاف عن تلك الموجودة فى الفترة التى أتحدث عنها.

ويقودنا هذا الموضوع إلى دراسة مشكلة قريبة منه وهى مشكلة الوحدة العربية: تعرضت الحركة المصرية فى موقفها منها إلى أعنف الهجمات التى تبدو اليوم مثيرة للدهشة، ولكن فلنذكر بأن إنجلترا هى التى أوجدت "الجامعة العربية" وساعدت على إنشائها، وقد إشتكرت فيها آنذاك جميع الأنظمة التى تخلص لها الإخلاص كله؛ وفى مصر حيث كانت الملكية فى خدمة الجامعة العربية، حاولت حكومة الوفد برغم صلاتها الممتازة بالإنجليز أن تعطى المشروع مضموناً أكثر وطنية ولكنها سرعان ما إنقلبت -بتحريض من الإنجليز- لتأخذ مكانها حكومة أحمد ماهر.

كان بديهياً أن إنجلترا -بعد خروجها من الحرب- ضعيفة للغاية ولاسيما فى مواجهة الإمبريالية الأمريكية، منافسها الجديد -فى السيطرة على العالم- تنوى أن تجعل من الجامعة العربية أداة لفرض سيادتها، إذ فكر قادتها فى الإحتفاظ على الأقل بسيطرتهم على الشرق الأوسط حيث المصالح البريطانية الضخمة: قناة السويس، الوضع الاستراتيجى، الموارد الإقتصادية مثل القطن وبصفة رئيسية: البترول، وحيث الجنود الإنجليز لا مثيل لكثرتهم، وخاصة أن التحكم فى المنطقة يبدو يسيراً، إذ أن فرنسا قد تم طردها بمساعدة الشرق التابع للإنجليز، كما أن التأثير الأمريكى كان لا يزال غير محسوس.

أثار التمرد دفاعنا عن فكرة الوحدة العربية، رغماً عن السياسة البريطانية، فلا تزال الصفات الرقيقة من نوع "عملاء الإمبريالية" وغيرها تطلق علينا ولكننا كعادتنا فى هذه الفترة رفضنا الإذعان -كان تقويمنا ضرباً من المستحيل- وجعلنا وحدة الشعوب العربية هدفاً من أهدافنا؛ كان رد فعلنا البسيط والرافض للمواقف التى تحاول الإمبريالية إملاءها، قائماً على إدراك أن قوة مواقف أعدائنا تكمن فى أنهم يحاولون دائماً الاستناد إلى وقائع محسوسة وأنا حين نعترض بلا تبصر إنما نحقق أهدافهم، لذا بدلاً من الإعتراض على الجامعة العربية الذى يظهرنا بمظهر المعادين للوحدة العربية، أصبح الشيوعيون المصريون هم المدافعون عن هذه الوحدة، وإذا كنا إمتلكننا الإمكانيات المادية و"السياسية": إمام كاف بالموضوع، محررون أكفاء، صلات بالأحزاب الشيوعية الشقيقة -ولكنها كانت جميعاً تحتقرنا باستثناء الحزب الشيوعى اللبنانى- لأصدرنا نشرة عن الوحدة العربية، وإننى أسف لعدم إصدارها.

إن أحداث الفترة من 6 أكتوبر سنة 1945 حتى 4 مارس سنة 1946 معروفة جيداً ولست أملك الحق فى كتابة تاريخ لجنة الطلبة والعمال، فهذا الحق ملك لهؤلاء الذين شاركوا فيها، لذا سأكتفى بملاحظات إضافية.

أولاً: يعود الفضل فى توقع المد الثورى الذى حدث بعد الحرب إلى الحركة المصرية للتححر الوطنى وإن كان يبدو أننا أخطأنا حين عللنا النفس بأن الوفد -بعد إبعاده المهين عن الحكم- سينتهد فرصة بدء الدراسة بالجامعة، حيث يمثل الطلبة الوفديون طليعة حقيقية له، ليبدأ العمل: وزعنا -لأول مرة- فى هذه المناسبة منشورين بإسم الحركة المصرية، الأول موجه إلى الجماهير والآخر إلى "البوليس والجيش"، وقد تم توزيع عشرة آلاف نسخة من كل منهما فى جو لا ينسى من الحماس، لقد كانت مرحلة رئيسية تم اجتيازها إذ قمنا باتخاذ موقف خاص بنا فى القضية الوطنية الرئيسية وهى قضية النضال ضد الإمبريالية، هذا الموقف الذى أعلننا به عن وجودنا، وأن ظللنا محتفظين بسريتنا.

قلت: قبل ذلك إننا لم نكن مستعدين لهذا على الإطلاق: العمال لم يحاولوا التنظيم بعد، ولم يصل عدد كوادرنا إلى العشرين كما أن القدامى منهم لم تمر عليهم ثلاثة أعوام من النشاط داخل تنظيم لم يزل فى طور الطفولة، حيث لم يكن لتنظيمنا وجود سوى فى القاهرة والأسكندرية ودمياط والمنصورة، وكان بناؤه لا يزال بسيطاً إذ لم يكن لدينا إلا "لجنة فنية" تهتم بالطباعة "المركزية"، ولم تعمل بعض الأجهزة مثل "لجنة الإشراف" و"المالية" إلخ.. بالإضافة إلى هذا كنا نجهل تماماً الصلات بين العمل الشرعى والعمل السرى.. وإذا كنا قد "هاجمنا" بالرغم من نقاط الضعف الكبيرة هذه، فإن هذا يعود لسببين:

• أولهما: إعتقادنا بأن المد الثورى سيقوم برأب الصدع فينا.

• والثانى: هو إحساسنا بالضرورة الوطنية للعمل الحاسم.

من المعروف أن شيئاً لم يحدث فى هذا اليوم وأن الجامعة ظلت هادئة لعدم تلقى الطلبة الوفديين أوامر، بخلاف الأمر بعدم العمل، فالوفد مقتنع تماماً بأنه حقق الاستقلال بمعاهدة سنة 1936 التى طلب مراجعتها، وهذه المراجعة من وجهة نظره تتعلق بنقاط صغيرة وسيتم الحصول عليها، كما أن الوضع الإجماعى الذى إزداد خطورة بسبب ظروف الحرب قد يعبر عن نفسه فى شكل "إضطرابات" قد تصبح خطيرة إذا حدثت مظاهرات.

كان هذا الموقف إنتصاراً -داخل الحركة المصرية- لعبد الرحمن الشرقاوى الذى إنسحب بجنوده، إزاء "إصرارنا" على التمسك بتحليل المد الثورى الحتمى، وأسس معهم الحزب الشيوعى لشعبى وادى النيل، الذى أطلقت عليه الحركة المصرية الإسم الساخر: "الحزب الشيوعى لمصلحة الضرائب"، كان هذا هو أول إنشقاق هام فى الحركة المصرية، ولنقل هنا إن رأى عبد الرحمن الشرقاوى كان أيضاً رأى كل "منافسينا"²³ فلم يتظاهر أحد سوانا.

كنا فى الواقع على حق، إن المد الثورى موجود بالفعل ولكن التوجيه الذى إنتظرته الجموع من الوفد فى المعارضة إنعدم فأخذ مكانه -على الأقل لفترة- توجيه آخر يقف على استعداد.

²³يقصد إسكرا والتنظيمات الأخرى.

بينما كنا الوحيدين الذين تصرفنا بطريقة لائقة على صعيد النضال من أجل استقلال مصر، لم تقف الرجعية مكتوفة الأيدي إذ حاولت أداتها الطيعة جاهدة تحويل الإنتباه إلى القضية الفلسطينية، وهى القضية التى لم تزل تخدمها حتى إنتهت بالقضاء عليها؛ وأود هنا أن أقول إننا أهملنا القضية الفلسطينية آنذاك: كنا كشيوعيين الأعداء المنطقيين (الطبيعيين) الوحيدين للصهيونية فى الوقت الذى كانت فيه المنظمات الصهيونية فى مصر تناضل، بموافقة السلطات ومساندتها، ضد "الرابطة المعادية للصهيونية" التى قام بتأسيسها القطاع الأجنبى فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، وتولى مارسيل إسرائيل مسئوليتها السياسية؛ وكان عداؤنا للصهيونية، المبطن بنفور عميق من معاداة السامية (حتى أننا لم نتمكن من التعاون مع أبسط أعداء السامية) موقفاً مبدئياً، فقد كنا نحس أن معاداة الشيوعية للصهيونية هى جزء من تكويننا إلى حد لم نستشعر معه الحاجة إلى إهدار الجهود "لإثباته"، لذلك عندما قام الإخوان المسلمون بالدعوة للإحتفال بذكرى "يوم بلفور" بقصد صرف الأنظار عن العمل الوطنى، لأنهم لم يقوموا قبلها بالدعوة لتخصيص يوم للإمبريالية، إكتفى منشور الحركة المصرية بفضح عملية الإلهاء هذه، وأظن اليوم أن الحكمة كانت تقتضى منا الإشتراك فى هذا "اليوم".

إن الأحداث بعد هذا معروفة: المظاهرات التى قام بها الطلاب بدفعة من الطلبة الشيوعيين، والبعث الوطنى الذى أعطاه إياه نشاط الطبقة العمالية المصرية وكتيبتها الطليعية: عمال شبرا، ثم الإعلان الإنجليزى فى 8 مارس سنة 1946 بالجلء غير المشروط عن وادى النيل (الجزء المصرى منه بالطبع).

هناك ملاحظات أخرى تبدو لى هامة:

فى الفترة التى كانت فيها الجماهير على استعداد لتتبع خطانا، لم نكن نعرف إلى أين نقودهم لإفتقارنا إلى الخبرة، أدرك هذا صدقى باشا الذى كان حينئذ فى السلطة، إذ يكفيه أن يستقبل وفداً من لجنة الطلبة والعمال ليعرف أنه ليس لدينا خط سير، وهو لوم يمكن توجيهه إلينا. ولكن فلنتذكر أن خبرتنا فى الإتجاه السياسى لم تتجاوز الشهور الستة، وأن وضعنا الداخلى يكاد يوصف بالفوضوية الكاملة حيث ألغيت جميع أقسامنا ولم يعد لنا هيكل تنظيمى؛ أما فى الجامعة فكان الطلبة الشيوعيون من كل المنظمات، والمنظمات الشيوعية جميعها تضم طلبة، يتصلون ببعضهم البعض حيث أدت هذه الفترة المضطربة إلى نبذ القواعد التى تمثل قيوداً على العمل.

ولأذكر هنا تجربة مشابهة تم الحكم فيها علينا ونحن عارون:

كان هذا فى الهاكستب حيث إنتهينا من إضراب عن الطعام، لقد كانت معركة حقيقية نقل أثناءها عدد منا، وكنت بينهم، بإعتبارهم القادة إلى أماكن أخرى: زنازين عارية ننام فيها مباشرة على الأرض، ثم إجتماع بعضنا أخيراً فى ثكنة بلوكات النظام بالعباسية، وكان أول ما ضايقنا هو توقف الإضراب بينما كنا نرى وجوب استمراره لثقتنا من إمكان الحصول على الإفراج.

ذهب رئيس البوليس السياسى إلى الهاكستب وقابل وفوداً من المعتقلين لمناقشة مطالبهم وقد ترك هؤلاء "باعتدالهم" "إنطباعاً ممتازاً" إذ لم يكن لهم فى الواقع مطلب سوى عودتنا.. إزاء هذا الضعف المحقق إتخذت الإدارة رد فعل عنيف بدلاً من الاستجابة للمعتقلين "لحسن سلوكهم" ولم يقف الأمر عند عدم عودتى بل تعداه إلى عدم منح تيسيرات وإلغاء عدد من الإمتيازات التى حصلنا عليها. ولأكمل ذكرياتى عن الإضراب بما أننى بدأت الحديث عنه؛ بدأ هذا الإضراب عندما تم الإفراج عن المعتقلين الصهيونيين بينما ظل الشيوعيون محتجزين، ولأعترف أولاً بغبائى -بالقسوة الإعتراف!- الذى لا أزال نادماً عليه: بعد إتفاقات الهدنة، وكان الإفراج عنا متوقفاً بالفعل مع نهاية الحرب، صارحت أحد ضباط البوليس بحرجى، لأننى وأنا المصرى أدين بخروجى من السجن إلى هزيمة الجيش المصرى ! لقد كنت مخطئاً فى هذا ولكنى لم أكن مدركاً لتأثير هذا الرأى على مجرى الأحداث حيث عدلت السلطات - وأنا على يقين من هذا- عن رأيتها بسبب هذه الفكرة الصائبة فى نظرها ! على أننى لست واثقاً من الاستفادة دائماً من الدرس.

قمنا بإضراب عام عن الطعام، وكان موقفنا قوياً جداً فى ظل ظروف نهاية المعارك حيث فقد إعتقالنا الذى أدى إليه بدء الأعمال الحربية مبرره: قمنا بعمل وصلة تليفونية على الخط الوحيد الذى يصل معسكرنا بالقاهرة وبوزارة الداخلية ! كنا إذن على علم بما يجرى ولقد أدركنا ما وراء الأمر الذى جاءنا بأن الوزارة ترغب فى رؤية المسؤولين بكل عنبر - كانت العنابر هى "مأوانا" بالفعل- لذا طلبت كلمة شرف من نائب القائد الذى أرسلوه للتفاوض معنا فلم يجرؤ على إعطائها، وكان إختياره بسبب صلاتنا الممتازة أثناء الفترة التى قضيتها فى سجن الأجانب فى عام 1947، وقد طلب منى هذا الأخير الذهاب لمقابلة الوزير. عندها أغلقنا علينا الأبواب عازمين على المقاومة وبخاصة أننا نعلم أن الأوامر المعطاة حتى هذه اللحظة تقتصر على إتخاذ إجراءات تهديدية.

كان الوضع إذن يبدو مشجعاً عندما علمنا بأن زملاءنا فى العنابر الأخرى وافقوا على الذهاب معلنين ثقتهم من استمرار الإضراب فى غيابهم بالقوة نفسها، وبالرغم من هذا التبرير "الثورى" داخلى الإحساس بأنهم إنما استسلموا للضغط، لم يعد بوسعنا إذ ذاك التمسك بموقفنا فقد تم نقلنا فى عربات شحن وكنت مرتدياً سروالاً قصيراً جداً بدون قميص، وقد صاحبت خروجنا أغان حماسية ينشدها المئات من المعتقلين، وإن لم أكن واثقاً من أن عدداً من هؤلاء لم يكونوا فى أعماقهم مستريحين للتخلص منا.

قادتنا عربة الشحن المكشوفة التى عبرت بنا القاهرة وأنا نصف عار إلى المحافظة حيث تم توزيعنا على عدد من أقسام البوليس، ولقد كلفنا فشل الإضراب غالياً، إذ أن الوضع تغير مع استمرار الأحكام العرفية لمواجهة حالة الإرهاب التى أدت إليها محاولات الإغتيال المدبرة من جانب الإخوان المسلمين كما أن الرجعية كانت تعلم حدود تصميمنا، لذا إنتظرت السلطات وهى مطمئنة إنتهاء الأسابيع الثلاثة التى نتوقف بعدها حتى لا نتسبب فى إضطرابات خطيرة لدى ذوى الصحة الضعيفة؛ أما الإضرابات الأخرى فقد أسفرت عن الإفراج عن غير المشتركين فى الإضراب من المعتقلين فاستخلصت "المجموعة الأخرى" من هذا أن الإضرابات غير مجدبة وأن العمل داخل المعسكرات فكرة جنونية، وإنتهت الغالبية العظمى من الشيوعيين اليهود بالموافقة على مغادرة مصر حيث "لا فائدة" من

الإصرار، أما نحن فكنا نقول أن الإفراج عنا لن يتم حتى يطلق سراح المجموعات الأخرى من المعتقلين كما أن البروليتاريا (الطبقة العمالية) لا يمكنها التحرر إلا بتحرير كل الطبقات المستغلة !!!

ها نحن قد بعدنا عن عام 1946؛ فلنعد إليه.

كان صدقى باشا على حق فى رأيه بأن لجنة الطلبة والعمال لا تمثل خطراً حقيقياً، ولكنه مع هذا ارتكب خطأ كبيراً عندما أنشأ لجنة على غرارها تضم جميع القوى الرجعية وطلبتها الإخوان المسلمين بغرض إضعاف تأثير لجنة الطلبة والعمال، وعندما شن الهجوم "بالمؤامرة الشيوعية الكبرى" التى سبق لى الحديث عنها والتى أدت إلى القبض على مئات الأشخاص بناء على قوائم معدة منذ زمن طويل.. وقد رويت كل هذا فيما تقدم.

ظن صدقى باشا أنه بهذا قمع الحركة الشعبية فذهب لتوقيع معاهدة دفاع مشترك مع إنجلترا، وكان هذا من سوء حظه لأننا وإن كنا لا نعرف ما نريده كنا على علم تام بما لا نريده وهو معاهدة مع إنجلترا، وقد أعطتنا هذه المعاهدة هدفاً واضحاً فاستؤنف نضال الجماهير بالإشتراك المتصاعد للوفديين، ويعود هذا للأسباب التالية:

- كان العديد من الوفديين قد ألقى القبض عليهم فى يوليو مع الشيوعيين، ومن ناحية أخرى كان العديد من الشيوعيين (وبخاصة د. ش) تعمل داخل الوفد وتساهم فى تثبيت جذوره على الأقل بين الطلبة والصحفيين، كما كان هناك التأثير المتزايد لموقف العمال النضالى فى "لجان الأحياء".

- كان الوفد خارج السلطة، وكانت قيادته، التى تظن أن إنجلترا ستعيدها إلى الحكم، وأنها ستجد بسهولة وسيلة للتفاهم معها، كما حدث فى سنة 1936، سعيدة بإثبات أن الإتفاق بدونها مستحيل.

كان هناك خطأ فى الحساب كما هو معروف فالرجعية لا تزال فى حوزتها أوراق لم تلعب بها إذ خلف صدقى النقراشى باشا الذى ذهب بالمشكلة إلى الأمم المتحدة.

ثم حدثت "حرب فلسطين".

كان هناك أثناء ذلك حملة مشوشة للوحدة: لقد إنتهت فترة الإحتقار المتبادل بين التنظيمات المختلفة وإن ظل هذا الإحتقار موجوداً بين القيادات، لا أستطيع التحدث عن الآخرين ولكن حزبنا لم يكن يحمل للتنظيمات الأخرى إعجاباً شديداً ومع هذا كنا المحركين النشطين للوحدة معها، ولى كعادتى فى ظروف أخرى مسئولية خاصة فى إتخاذ هذا القرار وكنت أستند على ثلاثة إعتبرات:

- أنه كانت لمنافسينا قيمتهم بالرغم من عيوبهم العديدة.
- أن مفاهيمنا ستنتهى بالإنتصار فى جميع المجالات لأنها مفاهيم صحيحة والمفاهيم الصحيحة تنتهى دائماً بالإنتصار، وهذا فى الواقع مفهوم خاطئ.

- أن مواجهة العدو بوحدة وإن كانت هشة إلا أنها أفضل من تشتيت القوى، هنا أيضاً كان الموقف مفرطاً فى السذاجة، وهذا ما أدركناه فى الشهور التى سبقت مايو سنة 1948.

تطوعنا إذن للبدء فى عملية الوحدة بأسرع ما يمكن وكانت المماثلة من جانب إسكرا Iskra التى عرفنا فيما بعد أن ما دفعها لهذا هو حاجتها لضم أكبر عدد من المجموعات الأخرى حتى تتمكن من مواجهة "الوحش" الذى نمثله؛ ومن المجموعات التى إنضمت إلينا مجموعة "القلعة" - سميت كذلك لأن المسئول عنها يقطن هذا الحى - وكان يزعم هذا المسئول أنها تضم مائة ألف عضو ! وقد بلغت عدم واقعية الأعضاء الذين لم يتجاوز عددهم العشرين، حد تصديقه ! ويعود إلى هذا المسئول الفضل التاريخى الكبير فى إجتذاب الضابط الشيوعى الأول الذى لعب فيما بعد دوراً رئيسياً فى ظروف عديدة من تاريخ مصر؛²⁴ هناك أيضاً مجموعة مارسيل، وفى الأسكندرية مجموعة "أناتول" بالإضافة إلى إسكرا ومجموعة شهدي - الجبيلي، أى أن خمس مجموعات إتحدت معنا.

الإجراء الثانى وهو التجنيد المكثف والسريع عن طريق ضم الأشخاص المتواجدين فى محيط التنظيم، وإذا كانت الحركة المصرية تدخل أعضائها بهذه السرعة فلماذا لا تشعر المجموعات الأخرى بالحق فى إدخال مناضلين بدون المرور بمرحلة "الإعداد" التى وضعتها الحركة المصرية، ومع هذا كان هناك فارق رئيسى فى الطبقات التى يتم الإختيار منها، وفى أسلوب الإختيار، وهل يتم من خلال العمل، أو أثناء حفل أو استقبال يختلط فيه الرقص والغزل بالحوار السياسى.

لست أذكر الوقت الذى استغرقه الإعداد للوحدة الذى تلخص من جانبنا فى إبعاد بعض العمال من المرشحين للقيادة، حيث كان واضحاً عدم استعدادهم لتحملها. تم إذن هذا الإجراء الثانى وقد أفضى بلا شك إلى نتائج إيجابية - على الأقل - فى البداية: إنضم الأجنب فى "قطاع" هائل بقيادة مارسيل وكنت مسئولاً عن هليل Hillel نظرياً، فهو يعد لمعرفة التامة بالعربية أكثر "مصرية" منى كما أنه الأقدم والأكفأ فى عمله الذى كان غريزياً، وقد وافق هليل Hillel على عدم المشاركة فى القيادة مع قصر إهتمامه على "الأجنب".

تطور "قطاع" الأجنب على أساس الجاليات: كان هناك قسم يونانى يضم بين أعضائه ياناكاكيس Yannakakis الذى أصبح بعد ذلك مدرساً بإحدى كليات فرنسا وواحداً من أنشط المناضلين المعادين للسوفييتية بجريدة المراقب الجديد Novel ObserVateur وقسم أرمنى يضم "جوجو" Jojo البسيط اللامع، وقسم إيطالى يضم بصفة خاصة العديد من اليهود النشطين، المتواضعين المتفانين وشديدي الكرم؛ وقد توزع هؤلاء منذ ذلك الحين على بلاد عديدة ولاسيما فرنسا، وبرغم هجرهم النشاط النضالى إحتفظ معظمهم بمعتقداته وساعدوا مادياً أحزاب البلاد التى التى استقروا فيها بكرم فائق النظر لقد كانوا حوالى الألف، ونجح جميعهم بلا استثناء فى المهن التى عملوا بها، كما أن الغالبية العظمى من أبنائهم يعتبرون

²⁴ يقصد أحمد حمروش، وكان عندئذ برتبة ملازم، وقد لعب دوراً كبيراً فى العمل بين الضباط، وكان من أبرز كوادر قسم الجيش داخل حنتو.

من الطبقة المثقفة فى جيلهم (بإمكانى الحكم على الوضع فى فرنسا حيث يرتكز، كما قلت، أكبر عدد ممكن وليس هناك ما يدعو لأن يختلف الوضع فى البلاد الأخرى).

أصبح التصير إذن أمراً واقعاً: لم يعد للأجانب الدور الحاسم لا فى الحركة المصرية فقط ولكن أيضاً فى التنظيم الجديد الذى تحققت به وحدة الحركة الشيوعية آنذاك، ومع هذا لم يكن هناك مواقف وطنية متطرفة فقد ظل إثنان من الأجانب وهما يونس وشندى²⁵ فى القيادة، وأصبحت أميرة مسئولة عن قطاع المرأة بينما ضم قطاع الطلبة شقيقها مع العديد من الشباب غيره، كان هناك أيضاً دور لاوليفيه Oliver وتولى جو المجلة، من الآن فصاعداً أصبحت جميع القوميات ممثلة بدرجة كافية. لهذا تم بناء على إقتراح يونس الإحتفاظ بإسم الحركة المصرية مع تغيير لفظ المصرية إلى لفظ جديد أكثر أهمية وهو "الديمقراطية"، وكانت هذه التسمية بالفعل صحيحة ودقيقة حتى أن الموافقة عليها تمت بالإجماع بالرغم من تشابهها مع إسم إحدى المجموعات التى يضمها التنظيم الجديد، هكذا أصبح التحرر الوطنى والديمقراطية هما أهدافنا العامة من الآن فصاعداً.

إتخذنا إجراء آخر بدا لنا ملائماً وهو تجميع القطاعات فى أمانتين تتكون أولاهما من القطاعات التنظيمية والأخرى من القطاعات غير التنظيمية وهى تشمل بالطبع مجالات عمل هامة جداً مثل المجلة التى تمثل أهم إضافة لإسكرا، وكان ما يضمن الحماية لهذه المجلة هو استنادها القوى على إثنين من أبناء شخصيتين هامتين من البورجوازية الكبيرة؛ بالإضافة إلى المجلة كان هناك القطاع الطلابى الذى إنتشر بسرعة مذهلة، وقطاع المرأة، والأجانب، والجيش.. ربما أنسى أحدها.. نعم، وقطاع الأقاليم، وقطاع السودان.

كان إنضمامى إلى هذه القطاعات خطأ كبيراً لأنها تمثل قطاعاً ثانوياً إلى جانب القطاعات التنظيمية التى كان يجدر بى أن أوليها إهتمامى، ولكننى كنت أبغى الإنسحاب عن الأنظار كما أننى كنت أظن صادقاً أن قطاعاً يضم بدر وحميدو وعادل²⁶ ليس بحاجة لوجودى.

لكن المهم هو تحديد الظروف التى أدت إلى وجود الأزمة التى لا أذكر إلا القليل من أحداثها وإن كنت أظننى قادراً على تحليل أسبابها: هناك سببان رئيسيان تضافرا لإحداث الأزمة.

أولهما: وهو السبب الموضوعى، أن الوضع العام يبدو مشجعاً، فالحزب لم يكن يتطور فحسب بل يكاد يتفجر فى جميع القطاعات، وقد تكون النتائج التى حققها قطاع الأقاليم هى النتائج المذهلة بحق وخاصة أن الوحدة ضاعفت من إمكاناتنا المالية حيث بلغت ميزانية الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى حوالى ألف جنيه مصرى بينما كانت ميزانية الحركة المصرية سبعين جنيهاً؛ كان العمل بهذا القطاع الذى تطور بسرعة كبيرة لا يزال فى بدايته إذ أنه يرتكز أساساً على إجتذاب أعضاء، وتوزيع المنشورات والمجلات، إزددنا إذن كفرق وليس ككوار حيث أننا لم ننجح فى إنشاء مدرسة للكوار بالأقاليم، وهذه الحلقة الرئيسية هى القوة الأساسية للحزب.

²⁵يونس الإسم الحركى لهنرى كورييل وشندى الإسم الحركى لهليل شوارتز.
²⁶بدر: هو سيد سليمان رفاعى، وحميدو: محمد شطا، وعادل: عبد المعبود الجبيلى.

لا أزال إلى اليوم أجد التحليل الذى قمت بعمله عن الطبقات فى الريف صحيحاً إلا أنه، لأسباب لا أستطيع تحديدها، لم يكن "مقنعاً"، وهذا ما يدعو للأسف وخاصة أن برنامج الضباط الأحرار للإصلاح الزراعى، وهو البرنامج الذى قام بإعداده عضو اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية للتححر الوطنى، وقد أخبرنى بذلك بنفسه دون حرج، يعكس المفهوم البورجوازى للإصلاح الزراعى حتى أننى ظننت أنه أعد بواسطة خبراء أمريكيان !

كان قطاع "المرأة" أيضاً ينمو داخل الحزب، وكذلك قطاع "الطلبة" الذين بلغ عددهم ألف طالب وهم العناصر اللامعة النشيطة التى تسمى اليوم "باليسارية"؛ أما قطاع "الجيش" فكان يتطور بأقسامه الثلاثة: ضباط وصف ضباط (وهو القسم الذى أعطى أفضل النتائج) وعمال؛ أما القسم الذى شعرنا بالحاجة الشديدة إليه فهو قسم يضم "الجنود".

هناك إذن زيادة سريعة جداً فى عدد الأعضاء فى الحزب كما أن هناك تفاوتاً متزايداً بين عدد الأعضاء وعدد وكفاءة الكوادر؛ أما على صعيد الأنشطة فكان يبدو أن كل شيء يسير على ما يرام حيث تضاعفت أنشطة القطاعات المختلفة وقامت إضرابات هامة جداً وعنيفة جداً بعد الوحدة.

ولكننا لم نكتشف الضغط المتزايد للرجعية فى حينه، لم ندرك فى الوقت المناسب أن الرجعية لا تزيد من ضغطها فحسب (قمع الإضرابات بوحشية متزايدة، إعتقالات متزايدة للمناضلين) بل هناك بالإضافة إلى هذا وضع إقتصادى يتصافر معها، وهو الوضع المرتبط بنهاية حالة الإنتعاش التى أدت إليها الحرب، وبداية الأزمة وعلى وجه التحديد ظاهرة العمال الذين بلغ عددهم 300.000 بالمعسكرات الحربية، هؤلاء العمال الذين وجدوا أنفسهم بين يوم وليلة بلا عمل وبلا إمكانية العثور على عمل.

هناك إذن فى "الخارج":

- وضع إقتصادى يزداد خطورة، وقد أفضى هذا الوضع إلى جو من المعارك تزداد شرستها ويندر الإنتصار فيها؛

- وضع سياسى يزداد خطورة: إن الرجعية لم تكن لتقف مكتوفة الأيدي أما التزايد المدهش للقوى الشيوعية والقوى الوطنية التى يوازى تطورها تطور قوانا.

وبينما كان النضال بالداخل يتطور هو الآخر بقوة، كنا قد أصبحنا عاجزين عن مواجهة هذا الوضع فضلاً عن تحليله.

كان العنصر الثانى فى هذا الوضع هو الصراع ضد يونس، وقد أخذت بسذاجتى المعهودة وقتاً طويلاً – أقصد سنوات طويلة – لإدراكه.

جلبت الجامعة إلى الحركة الديمقراطية مثقفين لامعين يتطلعون إلى اليوم الذى يتولون فيه زمام أمور الحزب؛ لقد كانوا كمتقفين متطرفين بعض الشيء، وهم يتساءلون لماذا لا يتم التمسير كاملاً بنصفية يونس؟ وبينما يرون أن دور "الأجانب" ينبغى خفضه إلى الصفر. يميلون من ناحية أخرى إلى الإقلال من أهمية مرحلة التحويل إلى الوضع البروليتارى؛ كان المهم بالنسبة لهم هو أن يكون المرء مصرياً، أما مقابلة المثقفين بالعمال فى مصر فهو فى

رأيهم مظهر من مظاهر التعميل (القول بأن العمال وحدهم قادرون على قيادة الحركة الاشتراكية)؛ بدأ إذن الصراع ضد يونس، فى البداية بغير وضوح ثم بطريقة حازمة وحاسمة.

كان ما أثار الإضطراب هو تضافر هذين العنصرين (الصراع ضد يونس والسبب الموضوعى) الذين لولاهما لاستطعنا تحليل الأحداث ثم مواجهتها بالإتحاد ولأمكننا التغلب على خلافاتنا الداخلية بسهولة، بالإضافة إلى الصعوبات المتزايدة التى تواجهنا؛ من هنا عظم الصدمة للهجوم الذى يضع مسؤولية هذه الصعاب على عاتق مناضل بعينه ودوره.

كان أول إنفصال فوجئنا بحدوثه إنفصلاً "يسارياً" كاملاً، وهو إنفصال أدين بشدة من الجميع بمن فيهم عادل والإسكريون وقد تم بناء على مبادرة شهدى التى أثرت على قطاع الطلبة الذين "يريدون الذهاب إلى العمال"، كما أثرت على قطاع الأجانب، إذ لم يوافق بعض أعضائه على دورهم المحدود فى إطار القطاع، وعلى المثقفين الذين تمكن شهدى من ضمهم إليه.

ضم الإنفصال أيضاً عدداً كبيراً من الأعضاء الذين لم نشعر بغيابهم على صعيد القيادة، إذ أن شخصاً واحداً هو الذى غادرها، وهو مسئول بالمجلة التى لم ينقصها المحررون كما أن إدارات القطاعات الغنية بالأعضاء والخبرة لم تتأثر هى الأخرى بهذا الإنفصال؛ ستكون لنا عودة لدور القطاعات فى الحركة الديمقراطية، أما بالنسبة لقطاع الطلبة فقد كان هدفنا هو إنشاء تنظيم طلابى شيوعى يمكنه إحتواء عدد كاف من الأعضاء حتى يتخلص القطاع من الزيادة الفائضة.

تم الإنفصال الحقيقى بعد الإنفصال الأول بفترة قصيرة على أثر تقرير قمت بتقديمه، ويهدف هذا التقرير إلى توسيع تمثيل الحزب والإقتراح بأن يصبح "حزب القوى الوطنية والديمقراطية"؛ فى جو عادى تبدو المشكلة بسيطة. ما الصيغة القادرة حقاً على التعبئة فى ظل الظروف التى نمر بها؟ هل هى قاعدة الحزب العمالى أو صيغة أكثر إتساعاً؟ من البديهي أن التنازل عن إقامة الحزب الشيوعى التقليدى لم يكن هو غرض التقرير الذى يعبر فى الواقع عن حقيقة أساسية وهى أن الطبقات ذات الجوهر العمالى يمكن أن تقبل قيادة شيوعية وأن تعتبرها ممثلاً شرعياً لها فى ظل إنتصارات الاشتراكية الباهرة؛ وقد عرفت فيما بعد أن أحزاباً شيوعية عديدة تبنت هذه الصيغة نفسها.

على كل الأحوال كان التقرير قابلاً للمناقشة، لماذا إذن لا تتم مناقشته بهدوء وتعديله وإلغائه إذا لزم الأمر؟ لهذا السبب أقول إن التقرير كان ذريعة — وخاصة أننى سحبتة إزاء ردود الفعل التى أثارها— للصراع ضد يونس الذى أصبح التصالح معه أمراً مستحيلاً إذ أنشئ تيار سمي "بالعادلى" لمواجهة الليونسية، ولنقل فوراً إنه تيار سلبى لا يقترح سوى مقاومة خط القوى الوطنية الديمقراطية، ولنقل أيضاً إن التاريخ أصدر حكمه حين غادر عادل مصر

بإرادته للعمل فى معمل جوليو Joliot حيث بدأ إعداداً علمياً لامعاً، مما أهله ليصبح المسئول عن المشاكل الذرية فى مصر على أعلى المستويات²⁷.

كان الطريق مسدوداً إذ لم يكن فى وسع العادليين الانفصال بعد إدانتهم الشديدة لانفصال شهدى وخاصة أن العمال -بعد تدميرهم الوقتى- لم يكن لديهم أدنى رغبة فى الانفصال؛ أما نحن فقد واجهنا بالإضافة إلى قمعنا وإلى القمع المتزايد، هجمات عديدة على درجة عالية من الدقة، إذ بدأت الحركة الديمقراطية إلى جانب معاركها ضد المعاهدات أهم معركة لها وهى المعركة المتعلقة بمستقبل فلسطين، وسأعود إليها فيما بعد.

بالرغم من سحب التقرير وعدم تغيير شيء فى الممارسة، وبرغم مناشدتنا للمعارضين بأن الواقع يفرض علينا مشاكل خطيرة وهامة جداً إلا أننا كنا كمن ينطح الصخر؛ وكان علينا قبل كل شيء مقاومة هذا الخط المشؤم الذى يعد السبب الحقيقى فى جميع المصاعب.. يمكن التساؤل: لماذا لم أنسحب؟ يجب أن أقول بمنتهى الصدق إننى لم أفكر فى الانسحاب ثانية واحدة، إذ أننى بالرغم من عدم وضوح الرؤية تماماً كنت أعرف أن الحركة المصرية، وهى التى تجتمع على الأساسيات مع استثناء مؤقت لحميدو الذى إنضم إليه مجاهد، هى الممثلة للتيار الثورى الصادق داخل الحركة الديمقراطية وهذا ما أثبتت الأيام صدقه، كما أن زملائى كانوا سيعتبرون هذا الانسحاب، الذى أقول للمرة الثانية إننى لم أفكر فيه أبداً، خيانة.

لقد كانت فترة حزينة ظهر فيها بقوة الوجود المستمر "لتيارين من الحركة الشيوعية المصرية"، وقد كتبت عن هذين التيارين تقريراً ركزت فيه على ضرورة إعداد كوادرات قيادية على جميع المستويات على أن تكون هذه الكوادرات لا من "المتقنين اللامعين" بل بقدر الإمكان من العناصر "سلبية الطبقات الثورية" فهذه العناصر هى وحدها التى لا تتحرك فى جميع الإتجاهات، وهى التى لا تشعر بالخوف وتحفظ بقدرتها على القتال كاملة فى الفترات الصعبة.. إن "الحزم" أهم كثيراً من المعلومات الواسعة المستمدة من الكتب: هذا هو الدرس المستفاد من التجربة المريرة فى سنة 1947 - 1948.

وظلت المشكلة: "هل كانت الوحدة ضرورية؟"، بعد تفكير أقول: إن الأسباب التى أدت إليها لا تزال صحيحة، ولم يكن فى إمكاننا ألا نقوم بها، ولكن كان علينا أن نكون أكثر يقظة وأكثر قدرة على الاستفادة من الدروس، ولكن فيض الأحداث لم يتيح لنا الوقت الكافى للتفكير، وأتحمّل وحدى مسئولية ذلك، حيث أن هذه المهمة تقع على عاتقى بصفتى الأكبر سناً والأقدم والأقل إتصالاً بالأحداث؛ ولكن ما جدوى الندم المستمر على هذه الحقيقة: "لو كنا أكثر قدرة لحققنا نتائج أفضل" ..

بالنسبة لإسكرا التى تمثل التيار الآخر فى هذا الوقت، حسم التاريخ بوضوح نقطة: من هم الثوريون؟ وعلى الرغم من أننى لم أعاصر حقبة الحزب الشيوعى المصرى إلا أننى لا أعتقد أن التاريخ قد أجاب بطريقة مختلفة على السؤال نفسه.

²⁷تولى د. عبد المعبود الجببلى (عادل) رئاسة هيئة الطاقة الذرية عند تأسيسها فى عهد عبد الناصر.

نضال الحركة المصرية للتحرر الوطنى منذ تأسيسها حتى إعلان الأحكام العرفية فى مايو عام 1948

تقرير من هنرى كورييل إلى رفاقه بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى سبتمبر – أكتوبر 1951

تمهيد

منذ فبراير سنة 1948 والحركة الشيوعية المصرية تعيش أخطر أزمة عرفتها من حيث العمق والاستمرار والآثار المصاحبة لها إذ ركزت الحركات والإنقسامات المختلفة التى تنتمى بدرجات شديدة التفاوت إلى الماركسية، هجماتها على الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى كانت أهم تنظيم شيوعى مصرى فى بداية سنة 1948.

إن هناك مع هذا حدثاً رئيسياً فى الصراع الأيديولوجى فى الحركة، وهو الحدث الذى ظهر بصفة خاصة فى المواقف العملية، ثم أخذ يتضح يوماً بعد يوم، فقد تكون معسكران: "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى" من ناحية، ومن الناحية الأخرى جميع التنظيمات والإنقسامات التى كانت تتناسى خلافاتها لتتحالف ضد الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى؛ أى التيار الثورى الذى تمثله فى الوقت الحاضر الحركة الديمقراطية أساساً، والتيار الإنتهازى بأشكاله المختلفة والمتنوعة التى تميل إلى التكتل لإفشال العمل الثورى.

أدى هذا الصراع داخل الحركة الشيوعية المصرية إلى سيل من الإفتراءات والإنتقادات الموجهة ضد الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بهدف إنكار جميع الأعمال الإيجابية للحركة أى الجانب الثورى من نضالها فى مصر؛ ويعرض هذا التقرير، الذى كتب على عجل فى ظل ظروف صعبة، الأعمال الرئيسية للحركة المصرية للتحرر الوطنى والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى إيجاز، فهو لا يعد دراسة تاريخية ولا سياسية، ولا يشكل محاولة للنقد أو النقد الذاتى، حيث أن الهدف منه هو مواجهة الإفتراءات والإنتقادات، بالتذكير السريع بأعمال أولئك الذين حاولوا إنشاء حزب شيوعى مصرى جدير بأن يحتل مكاناً بين الأحزاب الكبيرة الشقيقة فى النضال ضد الإمبريالية العالمية من أجل السلام والإشتراكية، على أساس من مبادئ ماركس وانجلز ولينين وستالين.

نضال الحركة المصرية للتحرر الوطنى ثم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى منذ تأسيسهما حتى إعلان الأحكام العرفية فى مايو سنة 1948:

مقدمة: إن الغرض من هذا التقرير هو إبراز النواة الثورية التى تأسست فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى، تلك النواة التى شكلت بالإتحاد مع العناصر الثورية فى إسكرا نواة النضال فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، وهى الحركة التى لا يزال النضال مركزاً بها إلى حد كبير؛ أما الوصف التفصيلى لجميع أعمال هذا التيار السياسى المصرى فهو أمر يستحيل علينا فى ظل الظروف الحالية.

يمكننا تقسيم حياة الحركة المصرية للتحرر الوطنى إلى خمس فترات على أساس الظروف الملموسة الخاصة بميلادها وتطورها وتأثيرها الكبير على نشاطها وإتجاهاتها؛ وسنكتفى فى هذا التقرير بالحديث عن الفترات الأربع الأولى من نشاط الحركة المصرية للتحرر الوطنى، أما الفترة الخامسة فسنحدث عنها فيما بعد حيث أن ظروف كتابة هذا التقرير لا تتيح لنا العرض التفصيلى لعمل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (2) منذ إعلان الأحكام العرفية فى مصر حتى اليوم.

الفترة الأولى

منذ تأسيس الحركة فى سنة 1943 إلى رفع الأحكام العرفية فى سنة 1945:

كان للإنتصارات العالمية التى ولدت فى ظلها الحركة المصرية للتحرر الوطنى (سحق الجيوش الفاشية فى ستالينجراد، والإندحار النازى فى العلمين) إنعكاس على الرأى العام المصرى إذ خلق الصعود المتزايد للقوى الديمقراطية العالمية وعلى رأسها الإتحاد السوفييتى، والهزائم السياسية والعسكرية والفاشية ظروفًا مواتية جداً لتأسيس حركة شيوعية مصرية ثورية بحق بشرط أن تتوافر لها القيادة الجيدة والعناصر السليمة.

ميلاد الحركة المصرية للتحرر الوطنى:

ولدت الحركة المصرية للتحرر الوطنى على أثر إنشقاق مجموعة صغيرة من العناصر الماركسية غير المصرية التى كونت حركة إسكرا المنتسبة أيضاً إلى الماركسية، وكانت مشكلة "التمصير" هى السبب فى الإنشقاق، إذ اعتبرت العناصر الإسكرية الحديث عن ضرورة "تمصير" الحركة الشيوعية وهى لا تزال جينياً تطرفاً وطنياً، وفضلت الإحتفاظ بتركيبها العضوى وقيادتها غير المصرية بدعوى أن الفصل بين المصريين والأجانب، والعمال والمثقفين أمر غير وارد "بين الشيوعيين".

كان "التمصير" إذن هو شعار الحركة التى إتصلت عناصرها بمتقفين مصريين ينتمى أغلبهم إلى البورجوازية المصرية شديدة الفقر فحمل هؤلاء مذهب الماركسية -اللينينية- الستالينية إلى مجالات عمل أخرى: الطلبة، العمال إلخ؛ واستمر النشاط الناجح للحركة المصرية للتحرر الوطنى فى هذا الإتجاه حتى سبتمبر سنة 1943 حيث إنشقت فجأة مجموعة من المثقفين المصريين والأجانب الذين ألفوا مجموعة "تحرير الشعب" ذات القيادة الأجنبية برغم شعار "كل المسئولية للمصريين" الذى إتخذوه، وقد إنهارت هذه المجموعة التى لم يتعد عدد أعضائها الثلاثين عضواً فى سنة 1947.

إن الحركة المصرية للتحرر الوطنى، برغم ضعفها وبساطتها، لم تتخل أبداً عن واجبات النضال منذ اليوم الأول لإنشائها:

بين المتمردين اليونانيين:

ساعدت الحركة المصرية للتحرر الوطنى المتمردين اليونانيين بفعالية فى القاهرة والأسكندرية فأمدتهم بالموء أثناء حصار الجيش البريطانى لهم، وعاونتهم على الهرب

والإخفاء، وعلى طباعة وتوزيع نداءاتهم؛ وقد قدمت الحركة المصرية فى هذا السبيل توضيحات كبيرة، وأظهرت تفانياً لا يمكن إثباته فى هذا التقرير.

بين العمال:

فى عام 1943، تضامنت الحركة المصرية للتححر الوطنى مع الحركة النقابية المتصاعدة وشاركت فى إعداد قانون عقد العمل الفردى؛ وفى سنة 1944، طورت الحركة نقاط إرتكازها فى مجالات نشاط مختلفة، وبصفة خاصة فى التجمع العمالى القريب من القاهرة: شبرا الخيمة التى تضم 15000 من عمال النسيج، وكذا فى بعض الأحياء العمالية بالأسكندرية، فى مصنع السجائر، وبين الميكانيكيين الذين يعملون بالطيران الحربى وبالهندسة، كما إتصلت بعمال المطابع الأميرية وعمال ورش ومخازن السكة الحديد، وعمال شركة قناة السويس بالإسماعيلية.

النضال الخارجى: الذى أخذ خلال هذين العامين 1943/1944 خطأً واسعاً جداً تبعاً لإمكانات ومبادرة الأعضاء أو مجموعات الأعضاء العاملين فى أحد الأوساط، وتبعاً لإمكانات هذا الوسط بدون توجيهات محددة من القيادة إذ كانت الحركة عاجزة عن إدارة أو تنسيق هذه الأعمال؛ ولقد تضاعف هذا الضعف شيئاً فشيئاً مع نمو المد الثورى وتزايد قوى الحركة نفسها.

فى سنة 1945 استمرت الحركة المصرية للتححر الوطنى فى تطوير نقاط إرتكازها بين العمال ومدتها إلى الأقاليم لاسيما المحلة الكبرى، مركز صناعة النسيج الكبير الذى يضم حوالى 30000 من عمال النسيج الآلى وعشرات من عمال النسيج اليدوى، كما شاركت فى عدد من الإضرابات الإقتصادية الكبرى فى شبرا والمحلة بنشر وتوزيع المنشورات على نطاق أوسع من العام السابق.

فى شبرا الخيمة، نظمت بعض كوادر الحركة إضراباً عاماً للمطالبة بإعادة فتح النقابات التى أغلقتها الحكومة؛ ضم الإضراب 15000 عامل، واستمر عشرة أيام إضطر بعدها العمال إلى التراجع، ولكن الحركة المصرية للتححر الوطنى نادت بتكوين لجان تنفيذية عن طريق الإنتخاب المباشر فى المصانع، وذلك للحفاظ على وحدة العمال بالدائرة برغم الإغلاق التعسفى للنقابة؛ استجاب العمال لهذا النداء وشكلت بالمصانع لجان تتبع لجنة تنفيذية إقليمية إنتخب بها أعضاء من الحركة المصرية للتححر الوطنى.

وفى الأسكندرية، ناضلت عناصر الحركة المصرية بفعالية داخل نقابات النسيج العمالية التى يسيطر عليها أرباب العمل، وحصلت على ثقة العمال بتشكيل لجان من ممثلى المصانع، وقد أخذت هذه اللجان فى البداية شكل لجان الإعانة الإجتماعية.

هكذا لعبت الحركة المصرية للتححر الوطنى دوراً هاماً جداً بين عمال النسيج وعمال الحكومة والجيش، وتمكنت جزئياً من القضاء على تأثير الأحزاب البورجوازية فى هذه الأوساط العمالية التى ظهر بينها إتجاه جديد، فلأول مرة تنعزل الطبقات العمالية التقدمية عن هذه الأحزاب لتقوم ببناء قوتها المستقلة، ومنذ ذلك الحين والعمال أكثر قدرة على مقاومة استغلالها لهم فى الصراعات الحزبية والبرلمانية.

قامت الحركة المصرية أيضاً بنشاط كبير من أجل تمثيل مصر فى الإتحاد العالمى للنقابات فرشحت إثنين من أعضائها لهذا الغرض، وجمعت تفويضات عديدة لهذين المرشحين الذين يضمهما رسمياً الوفد المصرى، كما أعدت جميع التقارير والدراسات المقدمة للإتحاد العالمى للنقابات F.S.M.؛ وبينما يقوم أعضاء الحركة المصرية بالنشاط الدعائى داخل التجمعات العمالية والنقابات لبيان أهمية مشاركة مصر فى الإتحاد العالمى، تعمل الحركة المصرية للتححرر الوطنى على تأسيس مؤتمر نقابات العمال بالشركات الصناعية والتجارية (الخدمات العامة، صناعات ذات طابع إحتكارى، إلخ).

وفى هذه الفترة إنضمت مجلة "العهد الجديد" العمالية إلى الحركة المصرية للتححرر الوطنى التى استعملتها للدعاية للديمقراطية وفى نضالها الوطنى.

المشاركة فى النضال الإقتصادى:

شاركت الحركة المصرية للتححرر الوطنى، بالإضافة إلى عملها السياسى ونشاطها فى مجال الإعداد فى المراكز العمالية، فى النضال الإقتصادى لعمال النسيج والأحذية، وعمال الجيش؛ وقد أعطى هذا النضال نتائج إيجابية منها زيادة أجور عمال النسيج، وتجميع القوى العمالية بغرض إنشاء النقابات المختلفة.

المشاركة فى النضال الوطنى:

فى سنة 1944 أعدت الحركة المصرية للتححرر الوطنى تحليلاً للحركة الوطنية فى مصر، وحددت فيه المطالب الوطنية، التى لم تكن واضحة آنذاك، فطالبت بالجلء، وإلغاء معاهدة سنة 1936 وإتفاقية سنة 1899.

أنشئ فى آن واحد داخل الحركة قسمان: أحدهما: نوبى والآخر: سودانى، ولقد أصبح القسم السودانى فيما بعد الحركة الشيوعية الوحيدة فى السودان؛ الحركة السودانية للتححرر الوطنى التى حافظت بعد استقلالها على صلات النضال الوثيقة التى تربطها بالحركة الديمقراطية للتححرر الوطنى.

أحست الحركة فى هذه الفترة بالحاجة إلى جريدة تصبح منبراً سياسياً لها فحصلت على مجلة سودانية تصدر فى القاهرة باللغة العربية وهى مجلة "أم درمان" التى أسميت "النضال المشترك"؛ وتعد هذه المجلة أول لسان للحركة يعرض آراءها فى النضال الوطنى وأيضاً فى بعض المسائل ذات الأهمية المحلية؛ وقد نشرت المجلة رأيها فى المسألة السودانية، ودافعت عن ضرورة النضال المشترك لشعبى مصر والسودان من أجل تحقيق الاستقلال الوطنى، وجلء جيوش الإحتلال الإنجليزية، فى مواجهة البورجوازية التى تنادى بوحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى.

لقد كانت الحركة المصرية للتححرر الوطنى هى الحركة الشيوعية المصرية الوحيدة التى تبنت موقفاً مستقلاً من هذه المشكلة، وقد أوضحت الحركة أن على السودانين، بعد تحرير وادى النيل من قبضة الإمبريالية، ممارسة حقهم الكامل فى تقرير المصير بالوحدة أو الانفصال، أو أى حل آخر.

أنشطة أخرى:

طورت الحركة المصرية للتححر الوطنى نشاطها خلال هذه الفترة فى مراكز أخرى: الجنود، صف الضباط، الموظفون بالجيش، الجامعة، الجامعة الدينية (الأزهر) وأيضاً فى مدن الأقاليم.

هناك أيضاً عملها بين الأسرى الإيطاليين والألمان حيث ساعدت على إصدار نشرتين سريتين باللغتين الإيطالية والألمانية، وقد قامت هاتان النشرتان بدعم الحركة المعادية للفاشية بين الأسرى.

الفترة الثانية

تبدأ هذه الفترة مع نهاية الحرب العالمية الثانية حيث هبت الشعوب الخاضعة للاستعمار تناضل بشراسة من أجل التححر الوطنى بعد الهزيمة الساحقة للفاشية ونمو القوى الديمقراطية لاسيما الإتحاد السوفييتى.

مشاركة الحركة المصرية للتححر الوطنى فى النضال الوطنى:

فى نوفمبر سنة 1945 رأت الحركة المصرية للتححر الوطنى فى الإضرابات التى إندلعت بشائر المد الثورى فاستعدت للمشاركة فى النضال وتوجيهه إلى المطالب الوطنية السابق تحديدها وهى: "الغاء الفورى عن مصر والسودان، إلغاء معاهدة سنة 1936 وإتفاقية سنة 1899 الخاصة بالسودان".

كانت الحركة المصرية للتححر الوطنى تعتقد أن المعارضة البورجوازية، لاسيما الوفد الذى أبعد عن الحكم، ستعمل على تطويع النضال بين الطلبة المحدد شهر أكتوبر لعودتهم إلى الجامعة، فقامت فى 6 أكتوبر سنة 1945، اليوم المحدد لبدء الدراسة فى الجامعة، بتوزيع عشرين ألف نسخة من منشورين:

أحدهما: موجه إلى الطلبة والعمال والجماهير الكادحة وينادى بالنضال.

والآخر: يخاطب الجنود والبوليس.

ولكن شيئاً لم يحدث فى هذا اليوم إذ إتفق الوفد مع حكومة النقراشى على تفادى المظاهرات، وأفسد الإخوان المسلمون محاولة الوحدة داخل الجامعة، وكانت الحركة المصرية للتححر الوطنى أو الحركة الشيوعية بصفة عامة أضعف من أن تقود الحركة بمفردها فنادت بعقد المؤتمرات المحلية للدعاية والتحريض على الثورة والنضال الفعال من أجل تحقيق المطالب الوطنية، وقد إنتهت هذه المؤتمرات بسلسلة من المظاهرات؛ وزعت الحركة المصرية أيضاً منشوراً ينادى بالنضال الوطنى ويكشف خيانة الأحزاب البورجوازية وتخليها عن النضال الوطنى.

لقد كانت الحركة المصرية للتححر الوطنى هى الحركة الشيوعية الوحيدة التى تشارك فى النضال الوطنى بينما إكتفت الحركات الماركسية الأخرى "بمراقبة" المد الثورى غير الطبيعى فى رأيهم؛ ومع هذا إمتدت دعوة الحركة المصرية للثورة إلى الشباب الوفدى الذى

تزايد ضغطه على القيادة الوفدية، وقد زاد من اشتعال ثورة الحركة المصرية للتحرر الوطنى المذكورة الضعيفة التى بعث بها النفراشى إلى إنجلترا تحت الضغط الشعبى، طالباً بدء المفاوضات.

فى عطلة أعياد المسلمين نادى الحركة المصرية للتحرر الوطنى بإنتخاب لجان تنفيذية فى الجامعة والمدارس تمهيداً لإنتخاب لجنة تنفيذية للطلاب، وقد رفعت النداء نفسه بين عمال شبرا الخيمة التى أجريت بها إنتخابات جديدة وتم بالفعل إنتخاب لجنة تنفيذية محلية بها.

وفى ديسمبر تم تشكيل اللجنة الطلابية التنفيذية من الجامعيين وطلبة المدارس الثانوية وطلاب الأزهر، وكان أعضاؤها من الشيوعيين والتقدميين، وقد أثر هذا العمل التنظيمى تأثيراً كبيراً على الحركة الوطنية فى سنة 1946.

موقف الحركة المصرية للتحرر الوطنى من المشكلة الفلسطينية:

فى الثانى من نوفمبر سنة 1945، اليوم الموافق لذكرى إعلان بلفور، حاول الإخوان المسلمون، بتحريض من الإمبريالية والحكومة المصرية، إثارة المظاهرات المعادية للسامية، وقاموا بالفعل بمذبحة حقيقية فى حماية البوليس، ولكن الحركة المصرية للتحرر الوطنى استعدت لهذا اليوم وكشفت هذه المناورة فى منشور يحدد المطالب الوطنى مرة أخرى ويربطها بالمسألة الفلسطينية، ويرفع الشعارات المعادية للإمبريالية والرجعية العربية والصهيونية؛ وقد أوضحت مجلة "النضال المشترك" موقف الحركة من المسألة: "استقلال البلاد، جلاء الجيوش الإمبريالية، وحق تقرير المصير للعرب واليهود" إذ رفضت الحركة رؤية المسألة من زاوية "الهجرة" كما فعلت إسكرا حتى لا تحول الإهتمام عن المسألة الرئيسية.

لقد استمرت الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى جهودها لدعم الحركة الوطنية فرأت فى الأعياد الدينية والتجمعات الشعبية فرصة مواتية لتحقيق الإرتباط العضوى بين الطلبة والعمال فأثارت سلسلة من المظاهرات شعارها النضال الوطنى كما وزعت منشوراً بهذا المعنى، وقد إشتراك فى هذه المظاهرات العمال والطلبة والجماهير.

تحقق إذن الإرتباط العضوى بين العمال والطلبة داخل الحركة المصرية للتحرر الوطنى التى أنشأت "اللجنة الوطنية للعمال والطلبة"، وهى لجنة تمثل عمال شبرا الخيمة، وعمال مؤتمر النقابات، وعمال الشركات الكبرى، بالإضافة إلى طلبة الجامعات والمدارس الأخرى، وقد إنضمت إليها فيما بعد رابطة طلاب كليات الأزهر، ورابطة خريجي الجامعات، ورابطة خريجي المدارس الصناعية.

بدأت اللجنة عملها فى تنظيم الحركة الوطنية تحت إشراف الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى النصف الثانى من يناير سنة 1946 أى فى الوقت الذى أدركت فيه الحركات الأخرى لاسيما إسكرا أن المد الثورى ليس صناعياً كما تزعم فإضطرت، تحت ضغط من قواعدها وبخاصة الطلبة، إلى المشاركة فى النضال، وإذ رأى الإخوان المسلمون أن قيادة النضال القومى إنتقلت إلى الشيوعيين، الأمر الذى قد يؤدى إلى إنعزالهم وتخلفهم، إنضموا إلى إسكرا فى المطالبة بإنتخابات جديدة لإعادة تشكيل اللجنة التنفيذية للطلاب وإنتخبت بالفعل

لجنة جديدة فى نهاية يناير، وأحرز الشيوعيون فى هذه الإنتخابات فوزاً كبيراً يليهم الوفديون ثم الإخوان المسلمون فالمستقلون وبعض ممثلى الأحزاب الأخرى، وقد انسحب الإخوان المسلمون من اللجنة بعد فترة قصيرة لأنهم وجدوا التيار الوطنى بقيادة الشيوعيين والوفديين شديداً جداً عليهم.

كانت كوادر الحركة المصرية للتححر الوطنى هى التى تقود النضال وتشجع الطلبة عليه، عاملة على إبعاد وكشف الإخوان المسلمين الذين يحاولون بث الخوف والتراجع، وفى الخامس والسادس والسابع من فبراير نظمت لجنة الطلاب التنفيذية مظاهرات ضخمة فى الأحياء الشعبية بقيادة الشيوعيين والوفديين، وقد فشل الإخوان المسلمون فى تحويل المتظاهرين الذين كانوا يهتفون بالشعارات الوطنية.

وفى مظاهرة التاسع من فبراير التى رفع فيها شعار "الجلاء بالدماء" إصطدم البوليس بالطلبة على كوبرى عباس فى مذبحه النقراشى الشهيرة التى أسفرت عن مئات من الجرحى وأكثر من عشرة من القتلى.

كان لهذه الأحداث آثار خطيرة استغلتها الحركة المصرية للتححر الوطنى لمضاعفة جهودها التنظيمية فطلبت من العمال الإنضمام إلى الطلبة فى الجامعة التى حاصرها البوليس والجيش غداة هذا اليوم، وقد إنتهى هذا الحصار بصدمات عنيفة أحرقت فيها الزينات المعدة بمناسبة عيد ميلاد الملك فى الحادى عشر من فبراير، وقتل فيها الطالب السودانى الشاب محمد على من مجموعة مجلة "أم درمان"، وإجتمع الطلبة فى كلية الطب للسهر على جثمان زميلهم، وحاصره البوليس بها يومين وليلتين، ثم لجأ إلى الغازات المسيلة للدموع والأعيرة النارية لسرقة جثمان الطالب وتحطيم مقاومة المتظاهرين الذين هاجموا الشعلة الملكية عدة مرات.

كانت الحركة المصرية للتححر الوطنى آنذاك توزع المنشورات، التى تدور كلها حول القضية المصرية، مطالبة باستقالة النقراشى، وقد إضطر هذا الأخير بالفعل إلى الإستقالة إزاء الضغط الشعبى الضخم وخلفه صدقى باشا فوزعت الحركة فى اليوم ذاته منشوراً بعنوان "صدقى عدو الشعب رقم 1" كما قادت مجلة "النضال المشترك"، (أم درمان سابقاً) بالإشتراك مع صحافة المعارضة حملة واسعة ضد صدقى باشا الذى إضطر إلى التنازل قليلاً أمام الحركة الوطنية بغرض استنزافها.

كان يوم 21 فبراير هو يوم الجلاء، فاستعدت له اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بنشر النداءات وتوزيع المنشورات، كما أعدت له عدته الحركة المصرية للتححر الوطنى وإسكرا فوزعت المنشورات العديدة بين العمال بصفة خاصة— لشرح مضمون النضال الوطنى، ونادت "بضرورة الإعداد للنضال المسلح".

هكذا بلغت الحركة الوطنية درجة من القوة أفزعت الإمبريالية والرجعية اللتين تحاولان القضاء على الحركة الشيوعية فى مصر، لماذا؟ لأن الشيوعيين هم الداعون للإحتفال بهذا اليوم الذى شارك فيه الوفد على استحياء ولم يشارك فيه على الإطلاق الإخوان المسلمون؛ وقد أدى النجاح الكبير الذى حققه هذا اليوم إلى زيادة النفوذ الشيوعى فى الجامعة، والإقلال

من نفوذ الإخوان المسلمين، بالرغم من محاولتهم إفساده بالإشتراك مع التجمعات الفاشية التى شكلت لجنة وطنية أخرى تولت إذاعة الدولة الدعاية لها.

إن أهمية هذا اليوم الذى أعلن "يوماً لنضال الشعوب المستعمرة" ترجع إلى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة، القيادة الشعبية الجديدة من نوعها فى مصر، وإلى تأييد الجماهير التى أعربت عن شكها فى الأحزاب البورجوازية التقليدية الخائنة، وانضمام هذا العدد الكبير من عمال النسيج والترام والأوتوبيس والمقاولات العامة والسينما إلخ إلى الطلبة والجماهير الوطنية المصرية.

بعد هذا عجزت الحركة المصرية لتحرر الوطنى عن الحفاظ على هذا المستوى من النشاط إذ سيطرت العناصر الإنتهازية على لجنة العمال والطلبة وقادتها فى طريق المهادنة والتبعية الذى لم يكن ليقودها إلا إلى الفشل، ولم تملك الحركة حيال هذا إلا توزيع المنشورات وفضح هذه السياسة فى مجلتها "النضال المشترك" و"العهد الجديد"؛ ومع هذا وبالرغم من الهدوء النسبى الذى ساد القاهرة والأسكندرية عقب فترة الثورة ناضل أعضاء الحركة المصرية بطريقة عفوية مع الجماهير فى الرابع من مارس، يوم الحداد الوطنى على أبطال 21 فبراير، وفى مظاهرة الأسكندرية الكبرى يوم السادس من مارس كما إمتد تأثير الحركة إلى الأقاليم حيث قاد أعضاء الحركة مظاهرة كبرى فى المنصورة والزقازيق وأسيوط.

وبعد فترة قصيرة إنهارت اللجنة الوطنية لأسباب عديدة لا داعى لذكرها جميعاً إكتفاء بالسبب الرئيسى فى هذا الإنهيار، وهو ضعف الحركة الشيوعية وعجزها عن التخلص من هذا الضعف من خلال المد الثورى.

قامت عندئذ المجموعات الماركسية المختلفة: الحركة المصرية لتحرر الوطنى، إسكرا، تحرير الشعب، الفجر الجديد، بتشكيل لجنة للتنسيق بينها فى القطاعات العمالية والطلابية كما أسست تنظيماً طلابياً جامعاً هو "إتحاد الطلاب المصريين" ويعد إنشاء هذا الإتحاد إنتصاراً للحركة المصرية التى دعت إلى تنظيم طلابى "جامع" فى مواجهة فكرة تكوين تنظيم "أحمر" التى روجت لها "إسكرا".

أخذ إتحاد الطلاب المصريين يستعد بنشاط للمشاركة فى مؤتمر جمعية الطلاب الدولية التى أرسلت إليه دعوة لحضوره وقرر إيفاد عضوين: أحدهما: من الحركة المصرية.

والآخر: من إسكرا ولكن عضو إسكرا سافر بمفرده لوجود عضو الحركة المصرية لتحرر الوطنى بالسجن آنذاك.

فى 16 مارس سنة 1946 إحتفل الديمقراطيون المصريون وعلى رأسهم الشيوعيون بجلاء الجيوش الإمبريالية من سوريا ولبنان وحدثت صدامات دموية مع الإخوان المسلمين الذين تدخلت النيابة لحمايتهم؛ وفى الثامن من أبريل نظمت الحركة المصرية بالإشتراك مع الديمقراطيين الآخرين مظاهرات واسعة فى مقر مؤتمر نقابات عمال مصر وفى الجامعة لتكريم الوفد السودانى عملاً بشعار الحركة المصرية "نضال مشترك ضد عدو مشترك، وحق تقرير المصير للسودانيين".

بين العمال العاطلين:

فى بداية سنة 1946 حاولت الحركة المصرية جاهدة تنظيم العمال المسرحين من ورش الجيش البريطانى الحربية، وحثت على إنشاء إتحاد يجمعهم بالقاهرة والأسكندرية.

إنضم هذا الإتحاد فيما بعد إلى مؤتمر نقابات عمال مصر، وأثارت مظاهرات العاطلين التى نظمها ضجة صحفية؛ وفى الأسكندرية قام عدة آلاف من العمال العاطلين بمسيرة تلبية لدعوة قيادة الحركة المصرية للتحرر الوطنى.

المؤتمر الدولى للسيدات الديمقراطيات:

فى يونيو سنة 1946، أوفدت الحركة المصرية للتحرر الوطنى إحدى عضواتها حاملة تفويضات من العاملات للمشاركة فى مؤتمر السيدات الديمقراطى التى مثلت إسكرا فيه ثلاث مبعوثات.

أول مايو 1946:

فى هذا اليوم إحتفل الديمقراطيون بالعيد العالمى للعمال، وطالبوا بالدعوة لمؤتمر من أجل إنشاء إتحاد عام للنقابات المصرية.

تدخل البوليس لتفريق المؤتمرين اللذين عادوا للإجتماع مرة أخرى، ولكن المواقف الإنتهازية للفجر الجديد حالت دون بلوغ المؤتمر النتيجة المأمولة.

فى نهاية مايو 1946:

نظمت الحركة المصرية للتحرر الوطنى أكبر إضراب عرفته مصر فى تاريخها، ووقفت "إسكرا" تراقب عن بعد بينما حاول "الفجر الجديد" إفساده، مثله فى ذلك مثل الإخوان المسلمين.

استمر الإضراب خمسة أيام وشارك فيه 15000 ألف عامل من شبرا الخيمة، وكانت أهدافه هى ضمان حق الإضراب، والحفاظ على مستوى الأجور التى يرغب أرباب العمل فى تخفيضها، وإيقاف فصل العمال.

هذا، وقد نظمت الحركة المصرية أيضاً إضراب عمال شركة غزل القطن بالأسكندرية.

11 يوليو 1946:

طلبت الحركة المصرية للتحرر الوطنى بتشكيل لجنة إتصال للتنسيق بين الحركات الديمقراطية فى النضال ضد مشاريع صدقى باشا الإمبريالية فى المفاوضات مع إنجلترا، وتشكلت بالفعل لجنة من مجلة "النضال المشترك"، وإتحاد الطلاب المصريين، ونظيره السودانى والنوبى، والشباب الوفدى، وشباب الكتلة (الكتلة الوفدية المستقلة)، والشبان المسلمين، والشباب السعدى الحر، وشباب الحزب الوطنى، إلخ.

نظمت هذه اللجنة المظاهرات بمناسبة ذكرى قصف الأسطول البريطانى للأسكندرية فى الحادى عشر من يوليو، وشاركت الحركة المصرية والجرائد فى هذه المناسبة بتوزيع المنشورات ونشر النداءات.

الفترة الثالثة

من 11 يوليو سنة 1946 إلى سبتمبر سنة 1947: تجمع القوة الرجعية:

تشهد هذه الفترة نهاية "الرخاء" الإقتصادى والصناعى الناتج عن الحرب: إرتفع معدل البطالة والتسريحات، وأخذ مستوى الأجور فى الهبوط بينما أصبحت الإضرابات العمالية أشد قسوة وأقل نجاحاً لإزدياد شراسة وسائل القمع حيث أصبح "النظام القائم" الأداة الطبيعية التى تستخدمها الإمبريالية لتحطيم الحركة الشعبية، والوقوف فى وجه المطالب الإقتصادية والنقابية للعمال ولطبقات الشعب المختلفة التى تناضل من أجل رفع مستوى المعيشة.

ومع هذا تفشل الحكومات المتعاقبة فى محاولاتها لهدم الحركة الشيوعية فتتجمع القوى الرجعية بقيادة الإمبريالية للقضاء على الحركة الوطنية فى بدء المفاوضات الإنجليزية المصرية، وتحاول أولاً تصفية الحركة الشيوعية فى 11 يوليو سنة 1946 حيث يلقى صدقى باشا القبض على أكثر من مائتى شخص بتهمة تدبير "مؤامرات تخريبية" كما يقوم بإغلاق الأندية والجرائد التقدمية؛ ولكن تنظيم الحركة المصرية السرى يتصدى للمحنة بقوة إذ لم يقبض إلا على خمسة من أعضائه بالرغم من أعماله العديدة، ويقوم بالتنظيم بعد يومين بكشف الأهداف الحقيقية لحملة صدقى باشا الإرهابية كما يصدر العدد الأول من مجلة "المقاومة" نصف السرية التى تم طبعها فى مطبعة التنظيم السرية، وقد قامت هذه المجلة بدور هام فى النضال ضد صدقى باشا ومحاولات التراضى مع الإمبرياليين الإنجليز وكشفت عن ضعف وإنهزامية بعض مثقفى الحركة الذين إنشقوا وشكلوا حركة مستقلة بإسم "العصبة الماركسية" منذ أن ضربت الرجعية ضربتها الأولى.

موقف الحركة المصرية لتحرر الوطنى من النضال:

لم تنجح "حملة" صدقى باشا فى تنفيذ مشروع الإمبريالية والنظام الرجعى الحاكم فى مصر إذ إنضم الوفد والكتلة، تحت الضغط الشعبى، إلى الحملة الشرسة التى قام بها الشيوعيون والديمقراطيون ضد مفاوضات صدقى - ستانسجات Stansgate (ستانسجات): إن الجامعة فتحت أبوابها فى أكتوبر، وبدأ الطلبة، فى القاهرة والأسكندرية، سلسلة من حركات الإحتجاج التى كانت كثيراً ما تقضى إلى صدامات دموية مع البوليس والجيش، فأعلن "الحصار" الدائم للجامعة بقوات من البوليس والجيش، وفى نهاية سنة 1946 إضطر صدقى باشا إلى تقديم استقالته التى كرست نهائياً فشل مشروع صدقى - بيفن.

فى هذه السنة الدراسية، قدمت الحركة المصرية لتحرر الوطنى مشروع ميثاق وطنى للطلبة إلى لجنة التنسيق بين الحركات الماركسية، وقام إتحاد الطلاب المصريين بتقديمه إلى شباب الأحزاب المختلفة الذين وافقوا عليه جميعاً باستثناء الإخوان المسلمين، فطبع الميثاق وتم توزيعه بتوقيعات جميع الموافقين عليه.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يصدر ويوزع فيها في مصر ميثاق وطنى يحدد بوضوح الأهداف الوطنية ويتعهد بالنضال من أجل تحقيقها؛ وبعدها أصبح الشيوعيون، بتحالفهم مع الشباب الوفدى، القوة الرئيسية في الجامعة.

في سنة 1947، يستأنف طلبة الجامعة؛ بالقاهرة والأسكندرية، النضال فيحتفلون بذكرى توقيع المعاهدة الإنجليزية - المصرية بخصوص السودان (سنة 1899) في 19 يناير؛ وتنظم الحركة المصرية للتحرر الوطنى وإسكرا مظاهرات كبرى للإحتفال "بيوم نضال شعوب المستعمرات" في 21 فبراير فيتدخل البوليس بعنف ويفتح الكوبرى الذى يصل شبرا الخيمة بالقاهرة لمنع العمال من التظاهر.

في 31 مارس: مظاهرات دموية بمناسبة جلاء الإنجليز عن القاهرة والأسكندرية، ويشارك في هذه المظاهرات عناصر من إسكرا والحركة المصرية للتحرر الوطنى التى تفضح هذا الجلاء الزائف، ويردد فيها الشعب الشعارات الموجه بعضها ضد السراى خادم الإمبريالية.

في مايو، حول العمال الأعضاء بالحركة المصرية للتحرر الوطنى جنازة صبرى أبو علم باشا أحد أمناء الوفد إلى مظاهرة وطنية واسعة ضد الإمبريالية، وفي العاشر من أبريل "يوم السودان" كشفت الحركة المصرية علناً في المظاهرات وفي المجلات والمنشورات عن المواقف الإنتهازية للوفد السودانى.

ثم نادى الحركة المصرية بعد هذا "بنقل المشكلة المصرية إلى مجلس الأمن" إذ كانت هذه هي الحلقة التى تتيح للنضال الوطنى فرصة التطور، وذلك لعدم استعداد الشعب للقتال المسلح بعد فشل المفاوضات المباشرة.

أخذ هذا النداء يتكرر، وأخذ مضمونه في الإتساع حتى أصبح شعاراً وطنياً تسانده جميع القوى الديمقراطية في البلد فاضطرت حكومة النقراشى تحت الضغط الشعبى إلى حمل المسألة المصرية إلى مجلس الأمن.

في هذه الفترة، بدأت أيضاً الحركة المصرية للتحرر الوطنى في طبع مجلة "نضال العمال" في مطبعتها السرية الخاصة، وقد أدت هذه المجلة دوراً كبيراً في الدفاع عن الحقوق العمالية وربط نضالهم بالنضال الوطنى ضد الإمبريالية.

ومن الأعمال الإقتصادية للحركة في هذه الحقبة أيضاً إضراب الميكانيكيين الحربيين بمطار ألماطة القريب من القاهرة، وقد نجح هذا الإضراب تماماً بعد أن إحتل العمال مواقع العمل؛ لذا لزم التنويه.

الوحدة:

في مايو 1947، تكونت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بإتحاد الحركة المصرية للتحرر الوطنى وحركة إسكرا؛ وفي الشهور الأولى لتكوينها كان العمل الخارجى صعباً بسبب إتصالات ومشاكل التنظيم الداخلية.

وفى يونيو جمعت الحركة الديمقراطية التوكيلات، وقامت بالدعاية اللازمة لسفر المبعوثين إلى الإتحاد العالمى للنقابات لتمثيل مصر فى إجتماع جمعيتها العامة برغم معارضة الحكومة والعقبات التى أقامها "الفجر الجديد"؛ كما شاركت بفعالية فى إضراب خريجي المدارس الصناعية من أجل تحسين ظروف العمل.

كررت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى النداء بنقل المسألة المصرية إلى مجلس الأمن فى صحافتها السرية والرسمية، وحاولت إيفاد أحد أمنائها لإسماع صوتها فى الأمم المتحدة ولكن سفارة الولايات المتحدة رفضت السماح له بدخول الولايات المتحدة.

أعدت الحركة الديمقراطية أيضاً دراسة عن المسألة السودانية تتيح للأمم المتحدة إضعاف المواقع الإمبريالية بوادى النيل، ووجهت إلى الوفد المصرى فى مجلس الأمن نداء بالمطالبة بوصاية مصر على السودان بدلاً من "وحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى" التى تطالب بها البورجوازية المصرية، وبالإعتراف بحق السودانين فى تقرير المصير بعد جلاء الجيوش الإمبريالية؛ هذا بخلاف التقريرين عن معاهدتى سنة 1936 وسنة 1899.

فى سبتمبر سنة 1947، ظهر وباء الكوليرا الذى ساهمت الحركة الديمقراطية فى مكافحته حيث شكلت بواسطة إتحاد الطلاب المصريين ولجان المصانع "لجاناً لمكافحة الكوليرا" فى مختلف أحياء المدينة والمصانع والمدارس إلخ، وأيضاً فى الأقاليم؛ وقد ساعدت هذه اللجان على إمتداد نفوذ الشيوعيين إلى الكثير من الأوساط.

وفى الشهر نفسه أضرب المدرسون عن تصحيح الإمتحانات بقيادة ومشاركة أعضاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

حاولت الحركة الديمقراطية إعادة تشكيل اللجنة الوطنية على قاعدة أكثر متانة فنادت "بتكوين لجان وطنية فى المصانع والمدارس والأحياء الشعبية، إلخ"، وتضم هذه اللجان، إلى جانب الشيوعيين، أعضاء من مختلف الأحزاب؛ وقد صاحبت هذه الحركة المنشورات والنشرات الرسمية وغير الرسمية، وعمل عدد من هذه اللجان بنجاح أدى إلى إمتداد نفوذ الحركة إلى الأحياء الشعبية، خارج الدوائر المحدودة للعمال والطلبة؛ وقد زادت هذه اللجان من وعى العمال الطبقي وإدراكهم لضرورة الوحدة العمالية.

وفى ديسمبر قادت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وشاركت فى إضراب المدرسين.

مجالات جديدة للنشاط:

إمتد نشاط الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى إلى الأقاليم بالوجهين القبلى والبحرى حيث أسست مراكز لها فى جميع مراكز المديریات تقريباً، واتصلت بعمال الأتوبيس، وعمال النسيج الآلى واليدوى، وعمال ملحج القطن؛ كما أنشأت قسماً جديداً للحركة فى دمياط وكفر الدوار وعشرات القرى التى أقيمت بها صلات مع العمال الصناعيين وعمال مصانع السكر، فضلاً عن صلاتها بالعصابات المسلحة فى الريف.

وفى القاهرة، بدأ قسم المرأة فى التطور بين المصرىات فضم مثقفات، وعاملات، إلخ؛ وإجتذبت الحركة أيضاً أعضاء بالمطبعة الوطنية والنقابة، وبين الميكانيكيين والحجارين كما توسعت بين عمال النسيج والسكك الحديدية ووكلاء النيابة.

ملاحظات عن الفترة الثالثة:

جدير بالذكر أن المشاركة العمالية فى النضال الوطنى خلال هذه الفترة أضعف منها فى الفترة السابقة؛ ويعود هذا إلى الظروف الإقتصادية الصعبة، وتسريح عدد كبير من المناضلين النقابيين بالإضافة إلى ضعف التنظيمات العمالية إزاء الهجمات الوحشية المتكررة للرجعية التى لم تتردد فى استخدام الدبابات والبنادق ضد العمال، فإضطر أولئك إلى التركيز ضد النضال الإقتصادى الذى كان بالنسبة لهم مسألة حياة أو موت بحق (النضال ضد نقل المصانع إلى القاهرة إلخ).

وبالرغم من هذا، فقد زادت هذه المحن الصعبة من إحساس الطبقات العمالية بوحدتها.

الفترة الرابعة

الإعداد لحرب فلسطين – إعلان الأحكام العرفية:

عاد النقراشى باشا من مجلس الأمن معتقداً أن الضجة التى أثارها والموقف الإنتهازى لحزب الوفد الذى رفض كشفه طوال عرض المسألة المصرية بالأمم المتحدة نجحاً فى خداع الرأى العام، ولكن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى استقبلته فى مطار القاهرة بمظاهرة عنيفة شاركت فيها السيدات.

أخذت إجراءات النقراشى لقمع الحركة الوطنية والحركة العمالية تزداد بشدة، وأصبحت القاهرة والأسكندرية ساحتين للقتال ضد المضربين من العمال والممرضين، والطلبة والمدرسين والمهندسين إلخ؛ وفى بداية سنة 1948 وبرغم القمع البوليسى الشديد، حرضت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى الطلبة، بصفة خاصة، على القيام بسلسلة من الإضرابات وحركات الإحتجاج بمناسبة ذكرى معاهدة السودان.

وفور إعلان الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين الذى أيده الإتحاد السوفييتى أصبحت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هى المدافع عن هذا المشروع برغم معارضة بعض أعضائها ومعارضة الحركات الماركسية الأخرى، وقد أثارت حملتها الصحفية الدعائية الرجعية التى وضعت قنبلة بالجريدة، والبوليس الذى يعتبر الحركة الديمقراطية العدو الرئيسى القادر على تهديد الجيش المصرى من الخلف.

21 فبراير

رغم إجراءات البوليس الشديدة، إحتفلت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى "بىوم نضال البلاد المستعمرة" بتوزيع المنشورات ونشر النداءات فى مجلاتها؛ وقد حدثت مظاهرات فى هذا اليوم بين عمال النسيج والطلبة ولكن البوليس منع العمال من بلوغ المدينة وفرق

مجموعة صغيرة من المتظاهرين بميدان الإسماعيلية، موقع المظاهرات الكبرى فى سنة 1946.

فى أبريل، قام الضباط وصف الضبط بإضراب، وطالبت الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى بإنضمام العمال والطلبة إلى الحركة فحدثت مظاهرات عنيفة بالقاهرة وبصفة خاصة فى الأسكندرية حيث أعادت مظاهرات العمال العنيفة ذكرى أيام سنة 1946 العظيمة.

كان للمظاهرة الشعبية الناجحة التى نظمتها لأول مرة الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى فى أحياء الجامعة والأزهر المكتظة بالسكان لتأييد مشروع تقسيم فلسطين تأثير كبير، وقد وجد البوليس صعوبة كبيرة فى تفريق المتظاهرين، ولم ينجح فى هذا إلا بعد القبض على بعض السيدات بالحركة.

النضال فى المجال الإقتصادى:

يعود الفضل فى النداء "بوحدة عمال المهنة الواحدة" إلى الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى التى عمل أعضاؤها على دعمه من خلال الصحافة والمنشورات كما أنشئت اللجان التى تضم ممثلى المصانع والمناطق المختلفة، وذلك على الرغم من إعتراض الحكومة على هذا الشعار بكل الوسائل.

إن الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى قامت بدور أساسى فى إضراب المحلة الكبرى الذى شارك فيه حوالى 25000 من عمال النسيج، وقد إنتهزت الحركة هذه الفرصة لمناشدة جميع عمال النسيج فى مصر بالتضامن مع زملائهم فحدثت إضرابات ومظاهرات بين عمال شبرا الخيمة والأسكندرية إلخ، وفى دمياط تظاهرت جميع المصانع وإمتدت المظاهرات إلى المدينة ذاتها كما إنعقد إجتماع يضم ممثلى العمال بهذه المناطق لتأييد مطالب الملحمة وهى "تغيير النقابة الصفراء، وتعديل لوائح المصنع"، وكانت غالبية المشاركين فى الإجتماع أعضاء بالحركة الديمقراطية للتححر الوطنى أو مؤيدين لها.

إنعقدت فى هذه الفترة أيضاً إجتماعات لممثلى المطابع المختلفة.

قادت الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى حملة قوية ضد مشروع "كادر عمال النسيج" الذى قدمته الحكومة، وإحتجت عليه لجان المصانع التى تشرف عليها الحركة ونجحت بالفعل فى إلغائه.

وإزاء ضعف الحركة النقابية قررت الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى إنشاء مكتب نقابى للإتصال بعدد كاف من أعضاء النقابات بالقاهرة والأقاليم، وقد قدم المحامون الأعضاء بهذا المكتب خدمات لا تحصى للعمال المناضلين ودافعوا عن حقوقهم، كما قام المكتب فى أول مايو بجمع المساهمات لصالح عمال مصانع "سباهى" المضربين.

بالإضافة إلى هذا تولت الحركة طبع ونشر وتوزيع الكتب والمجلات التالية:

الكتب:

- لماذا ساندنا الإتحاد السوفييتى ؟
- أندونيسيا المناضلة.
- الجلاء عن فلسطين !
- تقرير الرفيق جدانوف عن الوضع الدولى.
- ملخص "رأس المال" لكارل ماركس.
- أحمد حسين الفاشى.
- الثالث عشر من نوفمبر، يوم الكفاح الوطنى.
- نريد أن نتعلم.
- الحكومة والشعب.
- مائتا مليون سيدة معنا.
- الجبهة الشعبية.

المجلات:

- "الجماهير": مجلة سياسية أسبوعية تصدر رسمياً ويوزع منها فى المتوسط من 7000 إلى 8000 نسخة، ويبلغ الحد الأقصى فى التوزيع 15000 نسخة.
- "نضال العمال": مجلة أسبوعية نصف سرية.
- "صوت الطالب": من أعمال الحركة الديمقراطية أيضاً فى هذه الفترة الإضراب الذى قام به الميكانيكيون بالمطارات الحربية من أجل رفع مستوى المعيشة، وقد حقق هذا الإضراب النجاح بعد أيام من بدايته، وألقى القبض أثناءه على بعض أعضاء الحركة بصفتهم "المحرضين" عليه ولكن سرعان ما أفرج عنهم بعد أن تضامن العمال معهم.

ينبغى هنا الإشارة إلى الأزمة الداخلية التى تنمو داخل الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى وتعرقل العمل بها منذ سنة 1948، وبالإضافة إلى هذا كان نضال أعضاء الحركة قاسياً بسبب المعارضة الوحشية التى يصطدم بها يومياً من جانب البوليس السياسى؛ وقد قدم هؤلاء المناضلون تضحيات مادية لا نظير لها، وأظهروا روح فداء وتقانياً فريدين.

خاتمة

قدمنا فيما سبق لمحة سريعة عن أعمال الحركة المصرية للتححر الوطنى ثم الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى بالخارج، ومنها يتضح:

1. أن الحركة المصرية للتححر الوطنى هى الحركة الوحيدة التى حاولت منذ البداية:
 - ربط النظرية الماركسية بحركة الجماهير المصرية والعمال بصفة خاصة.
 - الإتصال بالمتقنين المصريين رغم معارضة غالبية العناصر غير المصرية آنذاك.
 - الإتصال بالعناصر الفقيرة والطبقة العمالية.

- إجتذاب الأعضاء بصفاتهم الشخصية.
- قيادة بعض الأنشطة المحلية بطريقة غير مباشرة.
- المشاركة الكاملة فى صراع الطبقات وفى النضال الوطنى.

وقد عملت الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى هذه المجالات بدون مساعدة خارجية باستثناء مجال الكتب والدراسات التى يصعب فهمها على أشخاص لا خبرة لهم.

إن الحركة المصرية للتحرر الوطنى لم تكن لتستطيع "البقاء" بعد كل الضربات التى وجهتها إليها الرجعية لولا خطها الثورى القائم على تجارب النضال المصرى الملموسة فى وقت لم تعرف فيه مصر العمل الثورى.

2. إن الحركة المصرية للتحرر الوطنى هى الحركة الوحيدة التى أعدت فى أتون العمل، بعيداً عن التأثير البورجوازى غير الثورى، مواقفها من المسائل الحيوية الخاصة بالنضال من أجل التحرير فى مصر والسودان والبلاد العربية فكانت الحركة الوحيدة التى تبنت موقفاً مستقلاً من المسائل الوطنية، فى مصر والسودان، على أساس مبادئ الماركسية – اللينينية حيث إعترفت بحق تقرير المصير للسودانيين، ونادت بإلغاء معاهدتى سنة 1936 وسنة 1899، وطالبت بعرض المشكلة المصرية على مجلس الأمن؛ وكانت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هى الحركة الوحيدة، سواء فى مصر أو على الصعيد العربى، التى تبنت موقفاً سليماً من المسألة الفلسطينية بالدفاع عن مشروع التقسيم.

ويمكننا اليوم أن نؤكد أن الشعب بأجمعه وافق على الشعارات التى رفعتها الحركة المصرية للتعبير عن تطلعاته رغم إعتراض التنظيمات الأخرى عليها فى كل مرة.

3. إن الحركة المصرية للتحرر الوطنى هى الحركة الوحيدة التى إتخذت وحدة النضال أساساً للتنظيم فحولته من تنظيم دراسى شبيه بنظام إسكرا إلى تنظيم نضالى يتفق تطبيقه مع تطور الحركة ويخدمه.

4. إن الحركة المصرية للتحرر الوطنى هى الحركة الوحيدة التى لم تر فى هجمات وضربات الرجعية داعياً للخوف والقلق إذ إعتبرتها دائماً سبباً للتفاؤل بمستقبل النضال، وقد نجحت الحركة بالفعل فى التكيف مع الظروف المتغيرة والقاسية للحفاظ على سيرتها.

لقد كانت الحركة المصرية هى الحركة الديمقراطية الوحيدة التى ردت على حملة صدقى الإرهابية بنشاط متزايد كما كانت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هى الحركة الوحيدة التى ساندت علناً مشروع تقسيم فلسطين رغم هجوم الفاشيين والرجعية بأكملها بينما سيطر التشاؤم والإنهزامية على الحركات الأخرى؛ وكانت العناصر الثورية داخل الحركة الديمقراطية هى التى أصرت على دعم العمل الخارجى فى الفترة الحرجة من فبراير إلى يونيو سنة 1946 بينما كانت عناصر إسكرا الإنتهازية ترغب فى التركيز على العمل الداخلى.

5. إن الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى تشارك اليوم أيضاً بفعالية فى النضال الوطنى فتنمى إرتباطها بالطبقة العمالية وبالشعب بينما تجد التنظيمات الأخرى جميع الظروف صالحة للهرب من النضال مفضلة بث الفرقة والإنقسام داخل الحركة الشيوعية.

إن الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى، إمتداد الحركة المصرية والحركة الديمقراطية للتححر الوطنى، هى الحركة الأكثر تماسكاً، من ناحية الأيديولوجية والتنظيم، فى الوقت الذى تزداد فيه الحركات الأخرى إنقساماً وتكاد تصل إلى حافة اليأس، وهى اليوم تواصل نضالها من أجل التححر الوطنى، ومن أجل نظام ديمقراطى شعبى، ومن أجل الإشتراكية والسلام مليئة بالتفاؤل والثقة فى القوى الديمقراطية الوطنية وعلى رأسها قوة الإتحاد السوفييتى ورئيسه الفذ الرفيق ستالين.

المراحل الرئيسية للصراع داخل الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى فى عام الوحدة مايو 1947 – يونيو 1948

تقرير من هنرى كورييل إلى رفاقه فى الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى فى نهاية عام 1955

مقدمة:

إن الغرض من هذا التقرير هو تقديم وصف سريع للمراحل الرئيسية للصراع داخل الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى، أثناء العام المسمى "بعام الوحدة" (مايو سنة 1947 – يونيو سنة 1948)، وهو لا يعد تقريراً تحليلياً، ولا نقدياً، كما لا يمكن إعتباره من قبيل النقد الذاتى.

وبالرغم من ضعف الموضوع إلا أن لهذا التقرير أهمية خاصة، فهو يكشف بالفعل مجريات الأمور فى أعنف صراع داخلى عرفته الحركة الشيوعية المصرية إلى اليوم، وهو الصراع بين الحركة المصرية للتححر الوطنى والتيار المدعو "بالإسكرى".

إن هذا الصراع لا يعد جديداً بالنسبة للعارفين بتاريخ وتطور الحركة الشيوعية فى مصر، فهو قد بدأ منذ عام 1942 داخل دوائر محدودة جداً من الشباب المثقف ثقافة أجنبية والذى ينتمى إلى الماركسية، فى وقت كانت تعد فيه الشيوعية غريبة تماماً على المصريين، الذين كانوا لا يعرفون شيئاً عنها حيث أنهم قد نسوا بالكامل تجربة الحزب الشيوعى المصرى فى الفترة من سنة 1919 إلى سنة 1924، ولم يبق أحد من كوادر الحزب القديمة²⁸؛ ينبغى إذن إعادة البناء كله، والبدء من الصفر دون دراية بالصراع السياسى ولا التنظيم السرى.

كان تفسير الكتب الماركسية التى لم يترجم واحد منها فى هذه الفترة يؤدى إلى مناقشات لا نهاية لها، وقد ظهر إتجاهان داخل هذه الدوائر الأولية: إتجاه ثورى يحدد، قولاً وفعلاً قلب نظام الحكم الإمبريالى القائم كههدف له؛ وينتمى التيار الثانى إلى الماركسية اللينينية قولاً ويتبنى بالفعل مواقف مهادنة توفيقية فهو تيار ثائر فحسب على بعض القيود والعراقيل فى المجتمع المصرى ولا يرغب فى قلب "النظام" الإمبريالى.

إنفصل هذان التياران فى سنة 1942، وبينما أنشأ التيار الأول الحركة المصرية للتححر الوطنى أسس التيار الثانى إسكرى؛ ولم يكن كل من التيارين يضم أكثر من إثنى عشر عضواً.

أخذ هذان التنظيمان يعملان ويتطوران بسرعة فى ظل إنتصار النظام الإشتراكى، وهزيمة الفاشية، والدفعة المحررة للشعوب، حيث لم تكن الإمبريالية والبورجوازية المصرية مسلحتين بدرجة كافية لمقاومة التنظيمات السرية محدودة الإتساع.

²⁸ هذا إفتئات على الحقيقة التاريخية، فقد كان هناك مناضلون من الحزب القديم يمارسون نشاطهم عندئذ مثل شعبان حافظ، وصفوان أبو الفتوح ود. حسونة وغيرهم.

إن الحركة المصرية للتحرر الوطنى وإسكرا كانتا تشكلان بلا جدال التنظيمين الشيوعيين المصريين الرئيسيين من حيث العدد والتأثير والتنظيم إلخ؛ وهما مع هذا، وبالرغم من إنتساب كل منهما إلى الماركسية اللينينية، غير متطابقتن؛ وقد تأكدت ونمت الإتجاهات المختلفة فيهما خلال ثلاث سنوات حتى إنتهت بالإنفصال عام 1942²⁹.

بينما كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى تمارس سياسة "تمصير" وترتبط بالبورجوازية المصرية الصغيرة والفقيرة وبالعناصر العمالية "البروليتارية" الأولى، كانت إسكرا التى ترفض التمصير بإعتباره علامة من علامات التطرف الوطنى تنمو بصفة خاصة بين طبقات البورجوازية اليهودية ميسورة الحال، وبين العناصر المثقفة والمتقدمة فى البورجوازية المصرية الثرية.

كان للتركيب العضوى لهاتين الحركتين أثر حاسم على تنظيم وأسلوب عمل كل منهما: كانت الحركة المصرية تعد أساليب للنضال مرتبطة بالجماهير الكادحة "البروليتاريا" وصغار البورجوازيين الفقراء، أما إسكرا فكانت تعد سياسة "حزبية" كنشاط سياسى "؟" ووسيلة لإجتذاب الأعضاء؛ وبينما تعد الحركة المصرية للتحرر الوطنى "مفهوم الخلية وحدة النضال" كأساس للتنظيم، كانت إسكرا تطبق مبدأ "الخلية وحدة الدراسة"؛ وبينما تؤيد إسكرا براودر Browder وتتحيز لنظرياته Browderisme، كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى ترفض مواقفه الإصلاحية منذ البداية، أى قبل النقد العظيم الذى قدمه الرفيق دوكلوس Duclos عن هذه النظريات.

ومع هذا، ليس من المبالغة القول بأن معرفة الحركتين ببعضهما البعض، بعد صراع دام ثلاث سنوات فى مجالات عمل واسعة الإختلاف، معرفة محدودة لدرجة يصعب معها، حتى على أقدم القادة، تحديد أوجه الخلاف بينهما بدقة؛ وكان الأعضاء الأساسيون غير قادرين على فهم أو تبرير الإنفصال. وخاصة أن العمل الممتد للتنظيمين، لقاء عناصرهما أثناء العمل: فى الجامعة بصفة رئيسية وفى الأحياء العمالية بالقاهرة، كل هذا جعل من محاولة الوحدة ضرورة.

كان لقاء تيارين إصلاحيين ثوريين فى تنظيم شيوعى واحد شيئاً جديداً فى مصر فهو يعد تجربة جديدة بالنسبة للثوريين المصريين؛ لقد عرفت الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى تاريخها القصير صراعاً داخلياً أخذ فى بعض الأوقات طابعاً لا ينقصه العنف، ولكن العمل مع أعضاء تنظيم مختلف لهم مفهومهم السياسى المختلف كان أمراً جديداً عليها؛ أما إسكرا فلم تعرف إنشقاقاً ولا صراعاً داخلياً.

بالنسبة للحركة الشيوعية المصرية، كان عام الوحدة، وهو فترة قصيرة للغاية بالقياس إلى أهمية وتأثير الأحداث التى جرت فيه، هو العام الذى حدثت فيه تجربة سياسية ذات أهمية بالغة إذ أدرك التياران اللذان عملاً جانباً إلى جنب تناقضهما الأساسى فى هذا العام، ولم تكن الحركة المصرية للتحرر الوطنى هى التى وضعت نهاية للوحدة، فالإسكريون هم الذين

²⁹ من الملاحظ أن كوريبيل يخلط بين مرحلة "الصالونات" الماركسية السابقة على تكوين التنظيمات، ومرحلة التنظيم، فإن كلاً من "إسكرا" و"حمتمو" تأسسا فى 1943، ولم يكن لهما وجود تنظيمى قبل ذلك التاريخ.

إنشقوا وانشقوا إلى مجموعات عديدة؛ واليوم يعتبر اسم "إسكرا" أو الوصف "بالإسكرية" إهانة داخل الحركة التقدمية المصرية، وأول المتكبرين لماميهم والرافضين له هم المؤسسون والأعضاء القدماء بإسكرا الذين يظنون أن الكلمات قادرة على الإقناع بأن إنتهازيتم قد إنتهت.

واليوم إذ تستمر الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى طريقها بإسم "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى" فهى تواصل النضال من أجل التحرر الوطنى، والسلام، والإشتراكية، غنية بتجربة جديدة، وقوية بالنضال الذى قادته بلا هوادة ضد جميع التيارات والإنحرفات، وممثلة ثقة وإيماناً.

الصراع بين التيار الثورى والتيار الإنتهازى داخل الحركة المصرية للتحرر الوطنى

الحقبة الثانية: من يونيو سنة 1947 إلى يوليو سنة 1948

مقدمة:

1 - الإعداد للوحدة:

تمت فى الفترة التى تسبق مباشرة الوحدة بين الحركة المصرية للتحرر الوطنى وإسكرا إتحادات ثانوية تدور حول هذين القطبين الرئيسيين إذ إنضم إلى الحركة المصرية للتحرر الوطنى جزء من تنظيمى "تحرير الشعب" و"القلعة"، بينما إنضم بقية أعضاء التنظيمين إلى إسكرا التى لم تنجح مع هذا فى ضم قطاع الأسكندرية من تنظيم "الطليلة".

كانت إسكرا تستعد للوحدة برفع جميع مرشحيها إلى مرتبة الأعضاء وإعلانهم بالوحدة مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى؛ وبهذه الطريقة تقدمت إسكرا للوحدة وعدد أعضائها حوالى الثمانمائة بينما كان عدد أعضاء الحركة المصرية للتحرر الوطنى خمسمائة تقريباً.

2 - الإتحاد:

تم الإتحاد على الصعيد التنظيمى بين الحركة المصرية للتحرر الوطنى وإسكرا على قاعدة من المساواة حوالى نهاية مايو سنة 1947، وتكونت اللجنة المركزية من عشرة أعضاء يتم إختيارهم بالتساوى من أعضاء الحركتين، وظلت التنظيمات الأساسية بلا تغيير، وإن أصبحت تابعة لهيئات متحدة أعلى.

3 - مراحل هذه الحقبة:

يمكن تقسيم هذه الحقبة إلى أربع مراحل رئيسية وفقاً لتطور الصراع الداخلى بين التنظيمين اللذين يمثلان فى جوهرهما تيارين مختلفين:

أ. من يونيو سنة 1947 إلى سبتمبر سنة 1947: مرحلة "شهر العسل".

ب. من سبتمبر سنة 1947 إلى فبراير سنة 1948: ظهور إتجاهات للإنقسام والإنشقاق مرتبطة بفشل كوادرس إسكرافى الصراع.

ت. من فبراير إلى مايو سنة 1948: تبلور الإنقسامات وفساد الحركة.

ث. من مايو إلى يوليو سنة 1948: إنشقاق "عادل" 30 وإعلان الأحكام العرفية.

والجدير بالذكر أن جميع هذه المراحل حدثت خلال سنة واحدة، وهى فترة قصيرة بالمقارنة بما جرى فيها من أحداث وتبلور الإتجاهات، وبالمقارنة بالخطوات الواسعة التى قطعها الوعى الشيوعى فى مصر، رغم الإنقسامات والإنشقاقات؛ لقد كانت الوحدة بين "الحركة المصرية للتححر الوطنى" و"إسكرافى" مرحلة ضرورية ينبغى المرور بها سواء فى مايو سنة 1947 أو بعدها.

المرحلة الأولى: ويمثلها تشكيل الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى كنتيجة للوحدة، وموافقها السياسية، ووجود أسلوبين للعمل بها، إنها مرحلة شهر العسل الممتدة من يونيو سنة 1947 إلى سبتمبر سنة 1947.

التركيب الإجتماعى للحركة الديمقراطية للتححر الوطنى

يمكن إعطاء الجدول التالى من خلال الأرقام التى قدمتها كل من الحركتين عند القيام بالوحدة.

الحركة الديمقراطية		إسكرافى		الحركة المصرية		
28%	390	16%	140	50%	250	عمال
20%	280	22%	200	16%	80	طلبة
6%	90			18%	90	شباب
14%	200	22%	200			متفقون
26%	360	40%	360			أجانب
2%	25			5%	25	جيش
2%	25			5%	25	أزهريون
2%	30			6%	30	سودانيون
	1400		900		500	المجموع

كان نصف الأعضاء التسعمائة الذين قدمتهم إسكرافى من المرشحين الذين أصبحوا أعضاء عند القيام بالوحدة، ولكن الأهم من هذا هو أن الأرقام التى قدمتها إسكرافى مبالغ فيها إلى حد لا يستهان به، إذ إكتشفنا عند الوحدة وجود أسماء وهمية وأخرى موجودة على قائمتى التنظيمين معاً؛ يمكننا إذن القول إن الحركة الديمقراطية تضم حوالى ألف عضو؛ وقد يحتوى هذا التقدير أيضاً على نسبة من الخطأ.

³⁰ عبد المعبود الجبيلى.

وجدير بالذكر أيضاً أن المستوى العام للأعضاء قد إنخفض بالنسبة لما كان عليه فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى، حيث قلت كثيراً النسبة المئوية للعمال، بينما زاد التدفق الحقيقى للمتقنين والأجانب بين صفوف الحركة؛ ومع هذا فقد تقدمت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى على إسكرا من حيث التركيب العضوى، وهذا ما ظهر فى حماس أعضاء إسكرا المطلق للوحدة.

ولإدراك هذه الحقيقة، يكفى إلقاء نظرة على طبيعة الأعضاء الذين تتشكل منهم اللجنة المركزية الجديدة والأمانة.

اللجنة المركزية: حركة مصرية: حميدو³¹، بدر³²، علام³³ من العمال، يونس³⁴ يهودى ثقافة أجنبية، وشوقى³⁵ طالب.

إسكرا: عادل³⁶، سليمان³⁷، عباس³⁸ من المتقنين، شديد³⁹ طالب، وشندى⁴⁰ يهودى ثقافة أجنبية.

الأمانة العمالية: بدر وحميدو من الحركة المصرية، عادل وعباس من المتقنين بإسكرا.

الأمانة غير العمالية: يونس، شوقى، عارف من المتقنين بالحركة المصرية، شندى، شديد وسليم⁴¹ من المتقنين بإسكرا.

يلاحظ فى تشكيل اللجنة المركزية، عجز إسكرا عن تقديم عضو من العمال للترشيح للإدارة مقابل ثلاثة قدمتهم الحركة المصرية، ومقابل ذلك قدمت إسكرا عدداً كبيراً من المتقنين؛ يلاحظ أيضاً وجود صلات قربى أو زمالة دراسية بين الأعضاء من القادة الذين قدمتهم إسكرا، وهو أمر لا وجود له فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى.

رد فعل الوحدة:

أ - فى الداخل:

• بين الأعضاء: حماس عام بين أعضاء إسكرا وحماس جزئى بين أعضاء الحركة المصرية للتحرر الوطنى؛ كان من نتيجة هذه المشاعر المتنوعة أن إعتبر الأعضاء

³¹محمد شطا.

³²سيد رفاعى.

³³على كامل.

³⁴هنرى كوريبيل.

³⁵كمال شعبان.

³⁶عبد المعبود الجبيلى.

³⁷شهدى عطية الشافعى.

³⁸عبد الرحمن الناصر.

³⁹غير معروف.

⁴⁰هليل شوارتز.

⁴¹سدنى سلامون.

أنفسهم فى فترة "شهر عسل"، فأهملوا الصراع الداخلى من أجل تحقيق وحدة حقيقية بعد الوحدة على الصعيد التنظيمى.

- بين قادة إسكرا: إستسلام مؤقت يصحبه ميل إلى التحكم فى القطاعات العمالية التى يركزون كوادرم المثقفة بها.
- بين قادة الحركة المصرية للتححر الوطنى: حماس ساذج للوحدة وإعتقاد خاطئ بضعف التيار الإنتهازى فى إسكرا مع تركيز العمل الخارجى.

ب - فى الخارج:

- إتحاد تنظيم "الطليلة" بالأسكندرية مع الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى، ويمثل "الطليلة" فى اللجنة المركزية "صلاح".
- إتحاد التنظيمات الماركسية الأخرى مثل "العصبة الماركسية" و"الفجر الجديد" و"وادي النيل"، والبقية الباقية من "تحرير الشعب" فى كتلة واحدة هى "كتلة المعارضة" التى تهدف إلى القضاء على "الفاشية والإمبريالية الصهيونية" الممثلة، من وجهة نظرهم، فى الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى، إذ ترى هذه التنظيمات أن الحركة المصرية للتححر الوطنى التى تمثل تياراً سليماً نسبياً قد وقعت تحت التأثير الإنتهازى لإسكرا؛ لم يكن لهذه الحملة المصحوبة بجميع أنواع الإفتراءات إلا تأثير ضعيف جداً أدى إلى إنفصال بعض أعضاء تنظيم "القلعة" بقيادة شخص يدعى "خانا" Khana وإنضمامهم إلى "كتلة المعارضة" بالإتحاد مع "العصبة الماركسية".

كانت هذه الكتلة تعبر عن ميل الدوائر الصغيرة للإتحاد من أجل التصدى لتأثير الحركة الديمقراطية الكبيرة على أعضائها؛ وبينما هى تدعى محاربة إنتهازية إسكرا، كانت فى الواقع تريد تحطيم الوحدة القائمة.

أسلوبان للعمل:

كان لكل من التنظيمين سياسة وأسلوب خاص فى العمل، بالإضافة إلى الإتجاهات الذاتية لكل منهما؛ والمهم هنا هو التركيز على أسلوب العمل الذى جربه تيار الحركة المصرية للتححر الوطنى؛ وهو التيار الثورى داخل التنظيم الموحد.

- سياسة "تحويل" الحركة الديمقراطية إلى "حركة عمالية (بروليتارية)" والاستمرار فى تطوير خط الحركة المصرية.
- سياسة عزل الأجانب داخل الحركة بإعتبارهم عناصر لم يتم تمصيرها، وهى عناصر من إسكرا.
- محاربة التأثير السئ للعناصر الإسكرية المثقفة، ومحاولة عزلها حتى لا "تحول" العمال إلى "مثقفين" بالمعنى السئ للكلمة.
- وضع حد للفضائح الجنسية المنتشرة فى إسكرا، وتشكيل قطاع مستقل للمرأة.

- وضع حد "للأقسام" و"الأندية الحمراء 100%" التي تشكل أسلوب إسكرا الرئيسى فى العمل والنضال السياسى، مع إقامة فواصل رأسية وأفقية لضمان الحماية للتنظيم السرى.
- وضع حد "للشلية" - سواء العائلية أو تلك المؤلفة من أصدقاء- التي هي أساس التنظيم فى إسكرا، وإقامة التنظيم على أساس "الخلية وحدة النضال" مكان العمل، وبدرجة أقل المسكن، كما كان الحال أثناء فترة الكوليرا، والنضال من أجل عرض المسألة المصرية على مجلس الأمن.
- دعم نقاط الإرتكاز الضعيفة بإعطائها استقلالاً واسعاً يتيح لها التطور مع ربطها بالمركز: العمال، السودانيين، الأزهريون، والأقاليم.

من المهم ملاحظة أن مستوى التنظيم والإدراك لمعنى كلمة "تنظيم" وماهيته كانا ضعيفين للغاية حيث أن مفهوم "الخلية وحدة النضال" الذى تم إعداده وتطويره فى الحركة المصرية كان مجهولاً تماماً فى إسكرا، أى أنه مجهول من أكثر من نصف أعضاء التنظيم الجديد؛ و"مراكز النشاط" لم تتعد فى أغلب الأحيان تشكيل "الدوائر المحدودة"؛ أما "النضال"، و"الإرتباط بالجمهير"، و"المشاركة فى نضال الجماهير"، هذه المفاهيم فى مجموعها كانت مجهولة تماماً فى إسكرا التي يركز أسلوب العمل بها على الدراسة النظرية للماركسية، على ضم الأعضاء على "أساس القناعة الشخصية"؛ لذا شعر الأعضاء الأساسيون بالحركة المصرية للتححرر الوطنى "بالإغتراب"، فالغالبية العظمى منهم تنتمى إلى البورجوازية الصغيرة والفقيرة أو إلى العمال، كما أنهم أقل "تعليماً" من عناصر إسكرا التي يغلب على تكوينها المثقفون من كبار البورجوازيين، وهم لا يعرفون كيف يجذبون هذه العناصر إلى النضال؛ هذه هي عناصر الوضع بالحركة الديمقراطية للتححرر الوطنى التي تسود مفهوم التنظيم لديها فكرة تكوين قطاعات، بصفة عامة مستقلة، تتعاون فيما بينها وتجمعها أمانة عامة مشتركة أو غيرها؛ كان هذا الأسلوب يتيح لأعضاء كل قطاع إدراك معنى النضال فى الوسط المناسب لهم: العمال بين العمال، والطلبة بين الطلبة، وجنود الجيش بالجيش، والأزهريون بالأزهر إلخ.. كما يتيح أيضاً عدم إغراق العمال الضعاف جداً من الناحية السياسية، والذين لم يحصلوا إلا على القليل جداً من التدريب باستثناء عدد محدود من الكوادر العمالية، فى أوساط المثقفين بإسكرا الذين لا تعنى "المسؤولية" لديهم "أكثر من دراسة نظرية ولباقة فى الحديث".

على هذا الأساس، إنقسمت الحركة إلى قطاعات، ويعد هذا الشكل التنظيمى شكلاً إنتقالياً إلى شكل تنظيمى أعلى، وتم تشكيل أمانتين: أمانة عمالية، وأخرى "غير عمالية" مكلفة بإدارة نضال القطاعات غير العمالية والتنسيق بينها.

بعد شهرين تقريباً من التنظيم الأول، إتضح أن القطاعات تتطلب إشرافاً مباشراً من المركز، أى أن اللجنة المركزية عليها أن تتخلص من بعض العناصر لتصبح أكثر إنتاجية، وقد استبعد منها بالفعل أربعة أعضاء وهم شوقى وعلام وعباس وشديد، كما تم حل الأمانة غير العمالية التي تبين عجزها الفعلى عن إدارة جميع القطاعات غير العمالية، وتكونت أمانة

أخرى من شوقى وشكرى وشديد وعادل الذى أقصى من الأمانة العمالية ليحل مكانه حلمى⁴²، وهو مثقف مصرى حاصل على لقب جامعى وعضو بإسكرا.

تم أيضاً تشكيل "مكتب دعاية" ثم "لجنة إشراف" مؤلفة أساساً من عناصر من الحركة المصرية؛ وقد عملت القيادة عندئذ على دعم العناصر العمالية بالوجه البحرى كما استعدت لتطوير هذا العمل فى الوجه القبلى.

4 - المواقف السياسية:

أ - إسم الحركة:

كان إختيار الإسم بمثابة معركة صغيرة وهادئة إقترح فيها يونس إسم "الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى"، الذى لا يعد جديداً بالنسبة للأعضاء القدامى بالحركة المصرية للتححر الوطنى، نظراً للمضمون السياسى الذى تحتويه كل كلمة من كلماته، وإقترح عادل إسم "الحركة العمالية للتححر الوطنى" الذى رفض بالإجماع، بعد تقرير الزميل يونس على أساس أنه ذو جوهر "إنعزالى" ولا يعد مطابقاً لتكوين الحركة ولا لحقيقة نضالها.

ب - السودان:

كان على الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى، أثناء نظر المسألة المصرية بمجلس الأمن، تقديم حل فورى، وعدم الإكتفاء بصيغ عامة مثل: "النضال المشترك ضد الإمبريالية" و"حق تقرير المصير للسودانيين" بعد الجلاء، فقدم يونس تقريراً يقترح فيه "الوصاية المصرية على السودان تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة إلى أن يتمكن السودانيون من ممارسة حق تقرير المصير بعد جلاء الجيوش الإنجليزية" بينما كان الهم الوحيد للقيادة الإسكربيين الذين تبنوا موقفاً سلبياً من المسائل السياسية هو الطريقة التى يتم بها إيفاد عادل إلى الأمم المتحدة لعرض وجهة نظر التقدميين المصريين؛ وقد إنتهت قيادة الحركة إلى الموافقة على إقتراح يونس بعد مناقشة واسعة له.

المرحلة الثانية: من سبتمبر 1947 إلى فبراير 1948:

تشكيل قيادة مركزية، الإعداد لمشروع الخط السياسى المقدم من يونس إنشاء "مدرسة كوادر" عمالية، بداية ظهور وتبلور إتجاهات للإقسام والإنشقاق، المواقف السياسية، فشل الإسكربيين وإنكشافهم فى الصراع المحتدم بين التيارين، تشكيل قيادة مركزية.

أوضحت تجربة الشهور السابقة عجز اللجنة المركزية عن قيادة الحركة، حيث أصبحت الحاجة ملحة إلى قيادة حقيقية لا مجرد لجنة للتنسيق بين القطاعات المختلفة؛ لهذا قررت اللجنة المركزية الدعوة إلى مؤتمر لتشكيل قيادة جديدة حوالى منتصف سبتمبر.

⁴² جلال كشك.

المؤتمر:

ضم المؤتمر واحداً وعشرين عضواً منهم أعضاء اللجنة المركزية السبعة، وأعضاء الأمانتين، والمسئولون السياسيون بالقطاعات، وفيما يلي نقدم هؤلاء الأعضاء وفقاً لإنتمائهم الأصلي:

الحركة المصرية: يونس، بدر، شوقى، حميدو، علام⁴³، منتصر، خليل، وعارف.

إسكرا: شندى، عادل، سليمان، عباس، شديد، حلمى، أميرة⁴⁴، ومجاهد⁴⁵.

الطليعة: نور⁴⁶ وصلاح.

كانت القرارات الرئيسية للمؤتمر هي:

- انتخاب أمانة اللجنة المركزية وتضم: يونس، بدر، شندى، عادل.
- انتخاب المكتب السياسى للجنة المركزية: شوقى، حميدو، سليمان، نور، يونس، بدر، عادل.
- تكليف الأمانة والمكتب السياسى بتشكيل اللجنة المركزية.

الإتجاه "السليمانى"⁴⁷ !

أثناء إنعقاد هذا المؤتمر ظهرت أولى النغمات الشاذة أو أول صراع معلن وضع نهاية "الشهر العسل"، إقتراح سليمان فى هذا المؤتمر استبعاد يونس وشندى لأصلهما الأجنبى، فهما يهوديان مثقفان ثقافة أجنبية وإن كانا يتمتعان بالجنسية المصرية، ولحجب المعنى الحقيقى لإقتراحه باستبعاد يونس مؤسس الحركة المصرية للتحرر الوطنى وقائدها الرئيسى، تحدث سليمان عن "تمصير" القيادة مكرراً الشعار الذى تستخدمه الحركة المصرية للتحرر الوطنى لفضح طبيعة إسكرا الحقبة؛ ولكن التمصير لم يكن مشكلة إذ ذاك، حيث لم يكن بوسع أحد التشكيك فى الطبيعة المصرية للحركة وقيادتها؛ وقد رفض المؤتمر إقتراح سليمان بالتصويت بعد مناقشة عنيفة له، وكانت نتيجة التصويت: عشرون صوت مقابل صوت واحد هو صوت سليمان الذى قد يكون إتخذ هذا الموقف لفشله كمسئول سياسى عن المجلة الرسمية للحركة وبسبب النقد الموجه إلى إدارتها.

الأمانة والمكتب السياسى فى العمل:

كان أول عمل للأمانة هو إقصاء سليمان بالإجماع من إدارة المجلة، لسان حال الحركة الرئيسى فى ذلك الوقت، وتعيين عباس، مثقف من أعضاء إسكرا، بدلاً منه، وقد أختير

⁴³ على كامل.

⁴⁴ إيمى ستون.

⁴⁵ أحمد حمروش.

⁴⁶ عدلى جرجس.

⁴⁷ نسبة إلى "سليمان" وهو شهيدى عطية الشافعى.

عباس أيضاً للمكتب السياسى، واستبعد "مرسى" الإسكرى من قطاع الأجنب الذى يتولى مسئوليته ليصبح مسئولاً عن مكتب الدعاية، هذا المكتب الذى أصبح فيما بعد وكرماً للمؤامرات الانفصالية من جانب إسكرا، كما أصبح عارف مسئولاً عن لجنة الإشراف التى تسيطر عليها عناصر الحركة المصرية للتححر الوطنى.

كان عادل يعمل "بالدعاية" بطريقة سطحية وغير محددة، مما أثار الدهشة ثم الشعور بالغضب والثورة ضده، وكان عدم إنتظام صدور نشرة "الكادر"، اللسان السرى الداخلى للحركة، أحد الأسباب الرئيسية للشكوى منه، فإضطرت الأمانة بكاملها إلى أن تتولى مسئولية إصدار هذه النشرة بانتظام، وقد جعلت منها بحق لساناً لقيادة الحركة، وكان الأعضاء يشكون أيضاً من الضعف السياسى والصحفى للمجلة الرسمية بالحركة؛ أما شندى، وهو المسئول عن قطاع الأجنب، فقد تولى إدارة "العصبة اليهودية لمكافحة الصهيونية"، وهى الرابطة التى شكلتها إسكرا بالرغم من معارضة الحركة المصرية العنيفة لها، وكان تأسيس هذه الرابطة فى هذه المرحلة من الحياة السياسية المصرية ومن تطور المسألة الفلسطينية خطأ خطيراً، حيث أدى تطبيق الخط السياسى للرابطة إلى أحداث استفزازية فى أوساط الشباب اليهودى، وقد بلغت هذه الأحداث حد التحدى السافر بين الأعضاء اليهود من ساكنى الأحياء التى يتمركز فيها صغار البورجوازيين (كحى الظاهر مثلاً) وبين قيادة القطاع فقام شندى بحل العصبة "بهدوء" لأن الإعتراف بخطأ تشكيل العصبة يعنى الإعتراف بفشل إسكرا كلها؛ وقد زاد من الغضب على شندى الذى يتولى مسئولية التنظيم استيلاء البوليس على مخزن سرى للكتب.

بالإضافة إلى هذا، كانت الأمانة المحلية بالقاهرة عاجزة عن قيادة القطاعات المختلفة؛ كما أدى الفهم الخاطئ للمركزية إلى عدم استقلال القطاعات التى لم تتح لها فرصة التطور، وتبين فشل الأمانة العمالية حين ظهر، نتيجة لتأثير العناصر الإسكرية التى تولت مسئولية القيادة، إتجاه لعزل العمال عن الجماهير إذ أن هذه العناصر تعتبر قيادة النضال مسئولية تربوية وفكرية.

زاد الغضب فى القطاعات العمالية: إذ بدأ الإسكريون حملة إثارة داخلية، مدعين أن الحركة تقف فى طريق وصول النظرية إلى الطبقة العمالية، وطالبوا بتدفق المثقفين على القطاعات العمالية كرد على شعار "ربط التثقيف بالنضال" الذى رفعه الرفيق بدر وهو عامل من أعضاء اللجنة المركزية بالحركة المصرية للتححر الوطنى.

قررت اللجنة المركزية تخفيض الإعانات الممنوحة للمحترفين إلى ثمانية جنيهاً أو إثنى عشر جنيهاً مصرياً؛ كانت هذه الإعانات تتراوح، تحت قيادة عادل، بين ستة عشر وثمانية عشر جنيهاً مصرياً أى ثلاثة أضعاف ما كانت الحركة المصرية للتححر الوطنى تدفعه: أربعة أو ستة جنيهاً مصرية، وأعقب هذا التخفيض إنهيار القطاعات العمالية الإسكرية الصامدة فقط بفعل النقود (!!!).

• الإتجاه إلى عزل بعض العناصر من وسطها الطبيعى، ومن مركز عملها، أو التقليل من مسئوليتها: علام، منتصر، حميدو إلخ..

- بداية تبلور الصراع بين أسلوبين لإعداد الكوادر العمالية: من ناحية التثقيف والعمل وسط الجماهير.
- توقف شبه كامل يتلوه هجر جزئى للعمل الخارجى بالقطاعات العمالية.
- إن هذه الأحداث كلها لعبت دوراً كبيراً فى التفشى السريع لروح الغضب داخل هذه القطاعات المختلفة.

فى قطاعات القاهرة: بين الطلبة بصفة خاصة:

- إزدياد عدد الأعضاء الجدد والمستويات الرأسية.
- سيطرة "التكتلات" القائمة بين العناصر الإسكورية على هيئات القيادة، ووجود جو من عدم الاستقرار، بالإضافة إلى فقد الكثير من الأعضاء بسبب "إعادة التنظيم".
- سيطرة الإسكربين على هيئات القيادة العاجزة والضعيفة للغاية.
- فى الإسكندرية: صراع شرس بين عناصر الحركة المصرية وإسكرا للسيطرة على اللجنة المحلية التى يديرها، تحت ستار من "الحيدة"، عناصر قديمة بالطلية:
- إنشقاق الإسكربين بالإسكندرية وإنسحابهم بقيادة "عابدين"⁴⁸ ولكن عادل يقنعهم بالعودة ويلومهم على "تسرعهم الشديد فى إظهار غضبهم" !!!
- إتحاد العناصر "الإسكورية والطلية" ضد عناصر الحركة المصرية التى يتم إبعادها عن كل المسئوليات: أبعد الرفيق "فوزى" عن اللجنة المحلية وأوفد إلى القاهرة.
- رد فعل عنيف من عناصر الحركة المصرية التى تطالب بعودة المسئولين إلى مواقعهم، فتقوم لجنة تحقيق بإعادة الأمور مؤقتاً إلى نصابها عن طريق توزيع المسئوليات بين عناصر الحركة المصرية وإسكرا، ويوفد الرفيق "خليل"⁴⁹ من الحركة المصرية إلى اللجنة المحلية بالإسكندرية.

تغيير الأمانات:

تبنت الأمانة المركزية أسلوب الإشراف المباشر على العمل فى القطاعات المختلفة بواسطة نظام الإتصالات الأفقية فقامت بحل الأمانة المحلية بالقاهرة وتولت مسئولية القيادة مباشرة، كما تم إختيار الرفيق "شوقى" لأمانة العمال.

وبعد فترة إنحلت الأمانة العمالية لتأخذ مكانها "لجنة سياسية عمالية" مؤلفة من:

بدر وحميدو: عاملان من أعضاء الحركة المصرية.

شوقى: طالب فقير من صغار البورجوازيين وعضو بالحركة المصرية أيضاً.

⁴⁸ عبد المنعم إبراهيم.

⁴⁹ كمال عبد الحليم.

حلمى: مثقف من البورجوازيين الأثرياء وهو عضو بإسكرا، وكانت هذه اللجنة على إتصال مباشر بالأمانة المركزية.

خط الإعداد للكوادر العمالية:

قبل حل الأمانة قدمت عناصر الحركة المصرية مشروعاً لمحاولة القضاء على موجة المعارضة داخل القطاعات العمالية، ويشمل هذا المشروع إنشاء مدرسة للكوادر على المدى الطويل بهدف الحد من سياسة الإثارة التى ينتهجها الإسكريون بإحتجاجهم على "الحواجز" القائمة بين العمال والنظرية.

علينا هنا أن نعترف بأن عناصر الحركة المصرية كانت على خطأ فى هذا الموقف إذ أنها بدلاً من أن تعارض علناً الإتجاهات الإسكرية؛ وبدلاً من أن تفضحها وتكشف عن جذورها، قدمت هذا التقرير الذى يعد تنازلاً ساعد على زيادة السخط وعلى نمو الإتجاهات الإنقسامية.

فى الوقت ذاته، كان هناك الإكتتاب الاستثنائى لجمع أربعة آلاف جنيه مصرى كمحاولة لحل المشكلة المالية التى تعانى منها الحركة، وقد تم جمع ثلاثة أرباع هذا المبلغ ودفع الأجنبان النسبة الغالبة منها.

اللجنة المركزية الجديدة (نوفمبر):

قرر المكتب السياسى والأمانة المركزية بالإجماع تشكيل لجنة مركزية من تسعة⁵⁰ عناصر من الحركة المصرية وهم: يونس، شوقى، بدر، حميدو، علام، مجاهد، عامر، أميرة (وهى من عناصر إسكرا ولكنها تساند أفكار ومواقف الحركة المصرية)؛ وخمسة من إسكرا: شندى، وعادل، عباس، سليمان وشديد وعنصر من "الطلبة": نور.

لم يثر هذا الإختيار إعتراضاً واحداً إذ كانت هذه العناصر فى رأى الجميع هى بحق العناصر التى تمثل الحركة وتتولى قيادتها.

وافقت اللجنة المركزية على الإكتتاب وعلى مشروع إنشاء مدرسة للكوادر، كما وافقت على تقرير عن "وحدة الحركة" يطرح الدفاع عن هذه الوحدة كواجب ويطالب بالنضال الجدى من أجل التأسيس السريع للحزب، ووافقت أيضاً على صيغة "قسم" يلزم جميع الأعضاء بالدفاع عن وحدة الحركة وإتباع مبادئها.

صفحة مفقودة من الأصل

(حوالى 450 كلمة)

بتأثير من قيادة إسكرية مؤلفة من أبناء الباشوات و"الأجنبان" – يطلق هذا الإسم على عناصر من جنسيات أجنبية مختلفة تعيش بعيدة تماماً عن الحياة فى مصر، وعلى اليهود البورجوازيين الأثرياء الذين لا يعرفون العربية حيث أن ثقافتهم أجنبية – الذين لا يشاركون

⁵⁰ يلاحظ أن هنرى كوربيل لم يعدد هنا سوى ثمانية أفراد فقط.

فى نضال الحركة إلا فى نطاق ضيق جداً، والذين رأوا تأثيرهم الطاعى فى إسكرا يصل إلى الصفر فى الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى؛ كان طبيعياً إذن أن تتور هذه العناصر ضد "المركزية وضد التنظيم" فى تنظيم لا يسوده صراحة التيار الثورى.

كانت "الكتلة الثورية" هى طليعة العناصر الإصلاحية، والتي يزيد شعورها بالإختناق داخل التنظيم كلما زاد تأثير التيار الثورى بالحركة (انظر التشكيل الجديد للجنة المركزية)، وقد تبنت هذه الكتلة شعارات مثل "المركزية الدكتاتورية" و"الإرهاب داخل اللجنة المركزية" و"100% عمل بين العمال الصناعيين" إلى آخر هذه الشعارات التى رفعها فيما بعد المنشقون الآخرون.

مدارس الكوادر العمالية:

فى يناير سنة 1948، تم تأسيس المدرسة من فصلين، وكان من المتوقع أن يضم هذان الفصلان أربعة عشر كادراً عمالياً، ولكنهما لم يضموا بالفعل إلا ثمانية أو تسعة؛ وقد أظهر الإسكريون حماساً بالغاً لهذه المدرسة، وجندوا أفضل كوادرهم للتدريس بها والإشراف عليها: عادل، حلمى، عباس، مرسى⁵¹ إلخ... ولم تعط عناصر الحركة المصرية مثل شوقى ومنير إلا عدداً محدوداً جداً من المحاضرات.

وسرعان ما أصبحت المدرسة مدرسة للإنقسام الإسكرى إذ كان لها تأثير كبير على تطور الصراع الداخلى الذى ساعدت على إثارته وإزدياده.

مشروع الخط السياسى:

كلف المكتب السياسى والأمانة المركزية الرفيق يونس بإعداد مشروع خط سياسى؛ قام يونس بإعداد المشروع وقدمه فى إجتماع اللجنة المركزية فى يناير سنة 1948؛ صدقت اللجنة على المشروع وأمرت بنشره وتوزيعه على جميع الأعضاء لمناقشته على أساس أنه مقدم من اللجنة المركزية جمعاء.

كان المشروع يعرض للوضع الدولى، ويحدد أهداف النضال بالحركة وهى: التححر الوطنى، نظام ديمقراطى شعبى، والإشتراكية، ويبرز دور جميع طبقات المجتمع المصرى فى هذا النضال، ويضع إستراتيجية الحركة على أساس تحالف متين بين الطبقة العاملة والفلاحين أولاً، ثم صغار البورجوازيين الفقراء بالمدن والريف وجميع العناصر الراجعة بصدق فى النضال ضد الإمبريالية.

ومن الناحية الداخلية، أعلن يونس فى مشروعه أن الحلقة الرئيسية فى خط التطوير بالحركة هى "التعميل" بمعنى إعداد كوادر عمالية، والتحسين من تركيب الحركة الإجتماعية عن طريق الزيادة المستمرة للعناصر العمالية بها، وتحقيق الإرتباط الوثيق بين الحركة، وبصفة خاصة الأقسام المتقدمة بها، والطبقة العاملة، وتوسيع ودعم النضال الخارجى للحركة، و"التحول" الأيديولوجى إلى "التعميل"، وتجنيد الحركة ككل لبلوغ هذا الهدف، كما طالب

⁵¹مارسيل إسرائيل.

المشروع أيضاً بالنضال من أجل إعداد "نظرية مصرية" أى ملائمة للظروف الخاصة بالمجتمع وللنضال فى مصر.

أما من ناحية التنظيم، فيوصى مشروع الرفيق يونس بالانتقال من مرحلة التنظيم ذى القطاعات، إلى "تنظيم حزبى ماركسى - لينينى" على أساس مفهوم "الخلية وحدة للنضال"، ويتألف هذا التنظيم من نواة مركزية من الثوريين المحترفين أساساً، ومن تنظيمات دائرية أساسية، وتنظيمات حزبية من نوع "الشباب الشيوعى" إلخ... وتنظيمات ديمقراطية يشرف عليها الحزب؛ وقد وافقت اللجنة المركزية على التقرير، وأمرت فى الاجتماع ذاته بالتحقيق فى المؤامرات الانفصالية التى يدبرها "التكتل الثورى".

بعد فترة قصيرة من هذا الاجتماع، قام المكتب السياسى والأمانة المركزية بتعيين ثلاثة رفاق جدد باللجنة المركزية وهم سالم⁵²، وتوفيق، ومنتصر؛ والثلاثة أعضاء بالحركة المصرية.

الإتجاهات الإنقسامية تنمو بين العناصر الإسكورية التى تحاول التحكم فى قيادة الحركة:

كان موقف كل من شندى وعادل ضعيفاً للغاية بسبب فشلها المحقق والمستمر فى العمل، وقد حاول شندى الذى رأى الجميع ضرورة تركه للجنة المركزية، بمساعدة مرسى المسئول عن مكتب الدعاية، العودة إلى الفكرة القديمة وهى فكرة "التمصير الكامل للقيادة"، فبدأ معاً سلسلة من الإتصالات السرية بالعناصر الإسكورية فى قطاع الأجنب، وقدم شندى إقتراحه "بتمصير القيادة" فى إجتماع اللجنة المركزية فى فبراير، واستغل هذا الإقتراح كل من منتصر وعلام اللذين طالبا "بإفساح مكان" للعمال فى القيادة بالرغم من أن الرأى العام يرى أنه باستثناء العمال الموجودين بالفعل فى القيادة لا يوجد عمال على درجة كافية من الإعداد لتولى المسئولية.

فى إجتماع اللجنة المركزية فى فبراير سنة 1948، كشف سليمان تماماً عن موقفه الإنقسامى ودافع عن فكرة "تكوين أقسام" داخل الحركة.

أثارت هذه الأحداث رد فعل عنيفاً من جانب الحركة المصرية، وقررت اللجنة المركزية فى هذا الاجتماع، بموافقة العناصر الإسكورية (عادل إلخ..). طرد سليمان وسيف⁵³ وزوزو⁵⁴ من الحركة وإدانة إنقسامهم كما قررت أيضاً القيام بحملة واسعة لمحاربة الإتجاهات الإنقسامية.

تم التصويت على إقتراح شندى ورفض، وأجريت إنتخابات جديدة للأمانة والمكتب السياسى، وقد أسفرت هذه الإنتخابات عن إعطاء 100% من المقاعد لأعضاء الحركة المصرية:

الأمانة: يونس، بدر، شوقى، راشد⁵⁵.

⁵²فؤاد عبد الحليم.

⁵³أنور عبد الملك.

⁵⁴حسين كاظم.

المكتب السياسى: يونس، بدر، راشد، حميدو (الحركة المصرية)، عادل، عباس (إسكرا) نور (الطليعة).

المواقف السياسية:

كان الموقف الرئيسى الذى ينبغى تحديده فى هذه الفترة التى تعد فيها الإمبريالية والرجعية لحرب فلسطين هو الموقف من المشكلة الفلسطينية: قرر المكتب السياسى تأييد قرار الأمم المتحدة بالتقسيم فور إعلانه، وقد حققت المجلة الرسمية للحركة، التى يوزع منها حوالى 1200 نسخة أسبوعياً، إنتشاراً واسعاً لهذا الموقف، هذا بخلاف المجالات غير الرسمية والمنشورات؛ وجدير بالذكر عدم ظهور خلاف سياسى بين أعضاء القيادة حول هذه المسألة.

المرحلة الثالثة: فبراير إلى مارس سنة 1948:

- تبلور الإتجاهات الإنقسامية.
- نشر اللوائح.
- تغيير الأمانة وشلل القيادة.

محاربة إنقسام سليمان:

نشرت الأمانة والمكتب السياسى تقارير عن الإنقسام، أخذ فيها عادل موقفاً ضد سليمان الذى كان على خلاف معه منذ مدة، وعقد أعضاء الحركة المصرية خاصة المؤتمرات فى القطاعات العمالية لإعلان وتفسير الإنقسام.

وقد ظهر بوضوح أن قطاع الطلبة المكون من السيدات اللاتى لم يكن لهن تنظيم شبابى مستقل، تحت استمالاته إلى الإنقسام، فطلبت القيادة من كل عضو بالحركة تحديد موقفه، الأمر الذى أدى إلى طرد عدد من الأعضاء؛ وقررت اللجنة المركزية إعادة تكوين قطاع طلابى على أساس سليم، وإقصاء الإنقساميين والقضاء على "التجمعات" البورجوازية المتحررة التى تسود هذا القطاع، كما أجرى تحقيق مع شديد الإسكرى المسئول بالقطاع لتحديد مسؤوليته فى إمتداد مؤامرات الإنقساميين إلى قطاعه دون علمه أولاً، ثم فى الإجراءات الضعيفة التى إتخذت ضد الإنقساميين.

إنقسامات جديدة فى طريقها إلى التبلور

دفع تأليف الأمانة من عناصر الحركة المصرية الإسكريين، الذين لم يكونوا ليخضعوا لهذا الإجراء، إلى التجمع فى تقسيمات متنوعة بدأت سرية، ثم إنتهت بالإعلان عن نفسها فى آخر مارس.

⁵⁵عبد الخالق محبوب.

قسم "نحو منظمة بلشفية"

تأسس هذا القسم، بالإتفاق سراً مع عادل، على قاعدة إقتصادية وهى أن يكون العمل كله مركزاً بين العمال فقط على أساس مطالبهم اليومية؛ وكان قاداته جميعاً إسكريين باستثناء يوسف الذى إنضم إليهم.

قسم "صوت المعارضة"

ولد وتطور هذا القسم الذى يديره سليم وزوجته وهما إسكريان، بين المثقفين والأجانب، وبشكل جزئى بين السيدات، وكانت القاعدة التى تكون على أساسها هى "100% عمل بين العمال"، ومعظم شعاراته منقولة من ترسانة إنقسام "سليمان" وكان أعضاؤه يعتبرون "المركزية" داخل التنظيم نوعاً من الفاشية فأعلن القسم تمرده ضد القيادة المركزية، وأنشأ مركزاً مستقلاً وأصدر نشرة "صوت المعارضة".

"العادليون"

كان شعار هذا القسم الذى بدأ بالتطور بين العمال والسيدات بقيادة عادل ومرسى وحلمى وزوجته ليلى هو "المثقفون والعمال" ثم إقترح العادليون شعار "80% عمل بين العمال و20% بين الطلبة" كما طالبوا بإعادة تنظيم الحركة على أساس قطاع عمالى كبير، وقد استغل العادليون مدرسة الكوادر لإشاعة أفكارهم الإنقسامية ولإبعاد العمال عن أعضاء الحركة المصرية.

العودة إلى الأساليب الإسكرية

عادت الأساليب الإسكرية القديمة للظهور فى الأقسام التى يسيطر عليها الإسكريون محطة فى طريقها الإضافة الإيجابية للحركة، وساد العمل التحزب العائلى والتشردم وتكونت من جديد "الشراذم" السرية الحمراء، وتزايدت الإتصالات المخالفة للتنظيم، كما أصبحت النقود هى وسيلة العمل الرئيسية فى القطاعات العمالية إذ طالب قطاع النقل المشترك (ترام، أوتوبيس، إلخ) الذى يسيطر عليه الإسكريون تماماً بمبالغ ضخمة نسبياً للإعداد لإنتخابات عمال الترام.

لقد شلت الحركة ! وكان طبيعياً أن يودى هذا إلى نتائج مؤسفة فتعرض الأمن الداخلى للخطر، وزادت الإعتقالات، وبخاصة فى القطاع "الفنى" الطباعة، التوزيع، المخازن.. إلخ.. بالإضافة إلى إعتداء الإنقساميين على المخازن المعروفة لهم لسرقتها.

موقف الأمانة:

كانت الوسيلة المثلى لعلاج الموقف فى رأى الأمانة هى دفع حركة العمل على الصعيد الخارجى والمشاركة بفعالية فى الصراع السياسى الذى إزدادت خطورته فى ذلك الوقت، فقدمت إلى اللجنة المركزية تقريراً تعرض فيه بالتفصيل وضع الحركة وتركيبها العضوى، وإنتهت إلى أن هناك مع هذا تقدماً بالنسبة لما كان عليه الوضع قبل الوحدة؛ ومن الناحية التنظيمية إقترحت الأمانة تشكيل "مجموعات من المؤيدين" فى المصانع ومواقع العمل،

للعمل على تفاقم السخط في الخارج، وشكلت لجنة محلية جديدة لمدينة القاهرة من عناصر الحركة المصرية خاصة؛ ثم وجهت بعد هذا إهتمامها إلى القطاعات العمالية التي قصرت عدد المحترفين بها على العمال الذين أثبتوا إرتباطهم بالعمل أثناء النضال، كما أوفدت إلى الوجهين القبلي والبحري بعض المحترفين وكلفتهم بالعمل على زيادة مراكز نشاط الحركة في أقاليمهم، وهاجمت بعنف الإتصالات المفسدة للتنظيم، ومنعت بشدة الإتصال بين الأعضاء القدامى بالحركة المصرية.

كانت الأمانة في الواقع مخطئة في هذه الإجراءات التي منعت أعضاء الحركة المصرية من المشاركة بفعالية في الصراع الداخلي لأنها، بدلاً من إظهار حقيقة الإنقسام والكشف عن جذوره، أدت إلى كبت السخط وإزدياد حدته، هكذا إضطر أعضاء الحركة المصرية إلى العمل المستقل بعد أن قطع الإسكريون إتصالهم بالمركز وبعد أن وقف قرار الأمانة حائلاً دون الإتصالات غير التنظيمية، فحاول كل منهم النضال في وسطه، لمنع الإنهيار التام للحركة، بالطريقة التي يراها صحيحة.

اللوائح

قدمت الأمانة والمكتب السياسي مشروعاً للوائح وعرضته للمناقشة العامة، قام الأعضاء بنقد بعض النقاط وتم تغييرها ثم عرض المشروع على اللجنة المركزية التي وافقت عليه بعد نقاش سريع حول طريقة تحديد اللوائح للأهداف الإشتراكية للحركة، وهل يجب أن تذكرها بالتفصيل كما يطلب "العادليون" أو تكتفى بإعطاء ملخص لها كما يوصى يونس والأمانة؟

تغيير الأمانة – شلل القيادة

بعد التحقق من مؤازرة الدارسين في مدرسة الكوادر بدأ عادل سلسلة من المناورات بغرض تغيير الأمانة متحدثاً هذه المرة عن "تحويل" القيادة إلى "التعميل" لا "التمصير".

إكتشاف "خط القوى الوطنية الديمقراطية":

كان المسئول عن التنظيم باللجنة المركزية يزعم أن "الحلقة" الرئيسية في فهم الأزمة هي "سوء التنظيم"!! فأوصى بإعادة تنظيم الحركة على أساس مكان "السكن"، وهاجم مشروع خط اللجنة المركزية المسمى "خط يونس" داعياً إياه "خط القوى الوطنية الديمقراطية"، ولكن سرعان ما هاجم عادل إقتراح شندى وسماه أيضاً "إتجاهاً وطنياً ديمقراطياً"، فسحب شندى إقتراحه المقدم من خلال مشروع خط مضاد، وعندما لم ير حوله إقلا من المؤيدين إنضم إلى عادل وإشترك معه في الهجوم على مشروع يونس الذي وصفاه بمشروع "القوى الوطنية الديمقراطية"؛ وتبلور النقاش حول نقطة رئيسية؛ هل ينبغي العمل على إعداد كوادر عمالية كما يطلب عادل أو على "تعميل" الحركة بناء على توصية يونس في مشروعه؟

لقد إنتهى النقاش بإقتراح بالدعوة إلى مؤتمر يعقد بعد شهر ونصف، وبدأ الإتجاه "العادلي" حملة إثارة واسعة حول ما أسماه "خط القوى الوطنية الديمقراطية" ووجه إلى مشروع يونس نقداً يتلخص في ثلاث نقاط:

أ. إنكار الدور القيادي للطبقة العمالية،

ب. الخط بين الحزب والجبهة الشعبية،

ت. المبالغة فى تقدير الدور الثورى للبورجوازية الصغيرة ومساواته بدور الطبقة العمالية.

وكان يؤيد نقده بالحديث عن نظام القطاعات السائد فى الحركة الديمقراطية، وعن العدد الكبير الذى تضمه من صغار البورجوازيين والطلبة والأجانب إلخ.. ويزعم أن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى تمثل جبهة شعبية "ذاب" فيها التنظيم الرئيسى، هكذا كان عادل والإسكريون يبررون إنقسامهم وقيامهم بإفساد الحركة وشلها عمداً.

ظهور معسكرين بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى

إتضحت المواقف أثناء المناقشات التى دارت فى اللجنة المركزية خلال شهر مارس إذ هاجمت "أميرة"، وهى أصلاً إسكرية، عادل ومؤيديه بعنف؛ وكشفت عن مناوراتهم وأخذت موقفاً علنياً ضدهم بمساندتها للتيار الثورى الذى يقوده الرفيق يونس، وهو الموقف الذى أخذه قبلها الرفيق مجاهد، أما منتصر وعلام وهما من العمال الذين مروا بمدرسة "عادل" للكوادر فقد ساندوا عادل، وتبنى الرفيق حميدو وهو عامل من أعضاء الحركة المصرية موقفاً تهادنياً إنتهى به إلى الإنضمام إلى عادل فى بداية إنشقاقه، ثم إلى تركه والإعتراف علناً بخطئه والعودة إلى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى معسكر الإعتقال.

لقد ظهر واضحاً أن جميع الإنقسامات تنتمى إلى إتجاه واحد بالرغم من تنوع شعاراتها إذ أنها تعود بطريقة أو بأخرى إلى إسكرا القديمة فتجمع الإسكريون القدامى حول ميول شخصية، وقد تشابهت الشعارات هى الأخرى: إن الشعارين الذين رفعهما سليمان، وهما شعارا "المركزية الفاشية" و"100% عمل بين العمال" هما ذاتهما الشعاران اللذان رفعهما عادل فى "صوت المعارضة" .. بعد أن خفض النسبة إلى "80% عمل" ..

كانت الإنقسامات تتكون إذن تبعاً لميول شخصية، أو أحقاد أو مشاجرات بين القادة أو تبعاً للوسط الذى تظهر فيه: طلاب، مثقفون، أجانب إلخ.. إنها الأساليب الإسكرية تتكيف وفقاً للظروف.

دور شعار "التعميل":

هذا الشعار الذى قدمه الرفيق يونس بمساندة جميع الأعضاء القدامى بالحركة المصرية هل قام بدور فى الصراع؟ الجواب: نعم، بلا جدال؛ لقد ساعد هذا الشعار على إندلاع التيار الإصلاحى الإنتهازى بالحركة، إذ شعر الإسكريون أن تطبيق مشروع الرفيق يونس سيفقدهم نفوذهم داخل الحركة، فكانوا من جانبهم يقولون: "لا فرق هنالك بين الشيوعيين مثقفين كانوا أو عمالاً"، ويضيفون إن مهمة المثقفين هى تعليم العمال، ولا تقتصر على نقل النظرية إليهم فحسب.

هكذا قام الإسكريون بإثارة السخط بين أعضاء الحركة من العمال، وحرصوهم على أعضاء الحركة المصرية الذين اتهموا بأنهم من المثقفين !!! وهكذا تحول شعار "تعميل الحركة" إلى هيجان عمالى يطالب بتعميل القيادة ويساعد على إفساد نظام الحركة بين العمال.

تعديل تشكيل القيادة:

فى أحد إجتماعات اللجنة المركزية وكان الرفيقان راشد وسالم غائبين، استغل عادل ومؤيدوه الجدل المثار حول "تعميل القيادة" وإقترحوا تغييرها وإدخال العناصر الموالية لهم فى الأمانة والمكتب السياسى من أجل "إعداد سليم" للمؤتمر؛ فتشكلت القيادة من يونس، بدر، شوقى، عادل وحميدو، وتألف المكتب السياسى من توفيق، خليل، يونس، راشد، حميدو، عادل وعباس.

وطلب عادل أن يتولى حميدو العامل المسئولية السياسية بالأمانة، هادفاً من وراء هذا إلى استغلاله فى أغراضه الشخصية، ولكن هذا الإقتراح رفض ولم يحدث إتفاق على توزيع المسئوليات، ولم يرغب أعضاء الحركة المصرية فى استغلال الأغلبية التى فى حوزتهم حتى لا يعجلوا بالإنشقاق فأصاب الشلل القيادة.

بعد فترة قصيرة من هذا الإجتماع اختير باللجنة المركزية الرفيقان حمودة المسئول عن الوجه البحرى بالحركة المصرية وعابدين⁵⁶ المسئول عن الأسكندرية بإسكرا.

المرحلة الرابعة مارس – يوليو سنة 1948

الإعداد للمؤتمر، أغلبية وأقلية: 9 ضد 8؛ الإعداد لإنشقاق عادل، إشراف العادليين على مجلة "نضال العمال"، والعناصر الثورية على "الرباط"؛ إعلان الأحكام العرفية: إعتقالات عديدة بين كوادر الحركة؛ إنشقاق عادل وطرد الإنقساميين "بصوت المعارضة" "نحو منظمة بلشفية" من الحركة.

إعادة تنظيم الحركة

شلت الأمانة تماماً، وتحول المكتب السياسى إلى ناد تدور فيه مناقشات لا نهاية لها حول الأزمة وحلها؛ وقد أظهرت هذه المناقشات إنهيار القطاع العمالى بشبرا الخيمة حيث لم يعد به أكثر من أربعة أعضاء لا سبعة كما يزعم عادل فى تقاريره.

إنهار أيضاً قسم "النقل المشترك" وضاع المركز النقابى وسط مناقشات هادى وخضر من الحركة المصرية من ناحية، وحلمى وكامل من إسكرا من ناحية أخرى، أما قسم "النسيج بالقاهرة" فكان يعقد المؤتمر تلو المؤتمر ويصفى كل نشاط له كما ضعف التنظيم بالمحلة الكبرى على أثر الإضراب الكبير وموجة الخوف والإعتقالات التى أعقبته، وهرب العديد من الرفاق إلى القاهرة حيث يستطيعون المشاركة فى المناقشة العامة، وإن كان حضور البعض لقبض "أجورهم" !!!

أما الطلبة فقد شلوا تماماً، بسبب الإنقسامات التى تسودهم، والإمتحانات التى تقترب، بينما كان المثقفون والأجانب يسودون مئات الصفحات التى تنشرها "صوت المعارضة" بدعوى "حرية النقد".

⁵⁶عبد المنعم إبراهيم.

كان جميع الأعضاء بالحركة يشعرون أن القيادة فقدت سيطرتها الكاملة على التنظيم، وهو شعور مطابق لواقع الأشياء.

إجتماع اللجنة المركزية فى أبريل

طلب العادليون إجتماعاً خاصاً للجنة المركزية فى أبريل لمناقشة السؤال الذى تطرحه ضرورة الدعوة السريعة للمؤتمر، وقد ضم الإجتماع سبعة عشر عضواً وهم:

يونس، شوقى، بدر، خليل، راشد، أميرة، سالم، حمودة، توفيق: حركة مصرية / 9.

عادل، شندى، عباس، منتصر، علام، حميدو، عابدين، نور: إسكرا / 8.

تخلف من تيار الحركة المصرية الرفيق مجاهد بسبب ظرف طارئ كما غاب عن الجهة الأخرى (أى من تيار إسكرا) شندى بسبب إيقافه والتحقيق الجارى معه عن الإنقسام بقطاع الطلبة.

كان السؤال المحورى الذى طرح فى الإجتماع هو: "من سيتكون المؤتمر"؟ إقترح علام من التيار الإسكرى العادلى أن يتكون المؤتمر من عمال فقط سواء كانوا مجرد نقابيين أو كانوا أعضاء أو غير أعضاء بالحركة، وقال إنهم بصفتهم عمالاً يملكون حق المشاركة فى المؤتمر وإن ثقته بهم على كل حال أكبر من ثقته فى أعضاء الحركة من غير العمال – من البديهي أنه يقصد أعضاء الحركة المصرية؛ أيده عادل بطريقة أقل تطرفاً وكان يعتمد على الأعضاء الذين مروا "بمدرسة الكوادر العمالية"؛ إقترح يونس أن يتكون المؤتمر من الرفاق المسؤولين بالحركة فى مختلف المناطق أو مراكز النشاط مع إعطاء الأقسام العمالية تمثيلاً أكبر.

إنقسمت اللجنة المركزية فى هذا الإجتماع إلى شقين متباينين: التيار الثورى وله تسعة أصوات، والتيار الإصلاحى وله ثمانية أصوات، فدار الحديث عندئذ عن البلشفيين والمنشفيين بالمعنيين الثورى والإصلاحى لا للتعبير عن الأغلبية فحسب.

الإعداد للمؤتمر

أثناء النقاش، نجحت اللجنة المركزية فى إختيار إثنين وسبعين عضواً من المعروفين بقدرتهم على المشاركة فى المؤتمر، وكان معظم هؤلاء ينتمون إلى الحركة المصرية (أى التيار الثورى)، فرفض العادليون التصديق على هذه النتيجة وحاولوا تغييرها ولكن الأغلبية رفضت وطالبت بإحترام القرارات.

كان لخبر الإعداد للمؤتمر ردود فعل متنوعة فى قطاعات الحركة المختلفة، وبينما أثار العادليون هيجاناً واسعاً بين مؤيدين للطلبة بإشراك أعضاء جدد فى المؤتمر الذى طالبوا بدعوته للإنعقاد، كان التيار الثورى مدركاً لخطورة الوضع فى البلد، فإعترض بعنف على إنعقاد المؤتمر لاستحالة الإعداد له مادياً، وبسبب الاستعدادات التى تقوم بها الرجعية عشية الحرب: إعتقالات أول مايو، وحالة الفساد وإنعدام الأمن السائدة فى الحركة؛ وقد رأت لجنة الإشراف التى حضرت الإجتماع المشترك أن من الظلم دعوة الأعضاء الإثنين والسبعين،

وهو رقم لم يتحقق فى مصر من قبل، الذين يشكلون أفضل كوادر الحركة الشيوعية المصرية، لعقد مؤتمر فى ظل هذه الظروف؛ لم ينته الإجتماع إلى قرار محدد ولكنه أجل موعد الدعوة للمؤتمر.

"خط عادل السياسى"

فى هذه الفترة ذاتها قدم عادل تقريراً إلى اللجنة المركزية، وقد دعى هذا التقرير "بخط عادل السياسى"، وفيه ينتقد عادل الخط السياسى للرفيق يونس ويصفه بأنه "خط للقوى الوطنية الديمقراطية".

أحالت اللجنة المركزية التقرير إلى المكتب السياسى الذى أرسله للطباعة تمهيداً لتوزيعه على أعضاء الحركة، وإذ تأخر التقرير بالمطبعة عدة أيام أسرع العادليون إلى طبعه بطريقتهم خارجين مرة أخرى على قواعد التنظيم وقاموا بتوزيعه على الأعضاء بأنفسهم.

ومع هذا، لم يكن هناك تأثير عملى لهذا الخط الذى ضاع بين المناقشات العامة ولم يسمع عنه أحد منذ ذلك الحين.

الإعداد للإنشقاق "العادلى"

قام العادلون بإفساد الحركة الديمقراطية تماماً بإتصالاتهم، وأثاروا الشعور بالغضب العام بمساعدة الإنقسامات الأخرى كما أثاروا جميع الخلافات داخل الحركة مما أدى إلى شل القيادة بالكامل؛ ثم بعد ذلك وصلوا إلى مرحلة الإعداد العملى للإنشقاق الذى حدث بعد شهرين.

العادلون يشرفون على "نضال العمال"

أغلق البوليس المجلة الرسمية للحركة الديمقراطية للتححر الوطنى فى أبريل سنة 1948، وتولى العادليون الإشراف على المجلة السرية للحركة "نضال العمال" بمساعدة مؤيديهم من "المدرسة العمالية للكوادر"؛ وقاموا أيضاً، بمساعدة حميدو الذى إكتسبوا صداقته بالإشراف على القطاع العمالى بشبرا الخيمة وطردهوا منه الزميل أمين؛ أما قطاع عمال الحكومة والسكك الحديدية إلخ... فلم يكن للعادليين به إلا القليل من المؤيدين، كما فشلوا أيضاً فى المكتب النقابى حيث لم يستطيعوا إجتذاب إلا القليل جداً من أعضائه، وذلك بفضل كامل أحد المسئولين بالمكتب.

وبالنسبة للسيدات، نجح العادليون فى إجتذاب اللاتى لم ينضممن منهن إلى الإنقسامات الأخرى؛ ونجح "مجموم"⁵⁷ فى إجتذاب بعض العناصر من القطاع الجديد "الشباب" الذى ظلت الأغلبية به وفية للتيار الثورى؛ وقد ظل كل قطاع "الظاهر" من الأجنب وفياتاً للحركة بينما إنضم الآخرون إلى الإنقسامات المختلفة، أو هجروا الحركة تماماً.

⁵⁷ إبراهيم المانسترلى.

أما تنظيمات الوجهين القبلى والبحرى فقد ظلت وفية للحركة باستثناء الأسكندرية التى توزع تنظيمها بين الانقسامات المختلفة والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى؛ وقد ظل النوبيون والسودانيون بمصر أوفياء للتيار الثورى الذى ساندته بعمق الحركة السودانية للتحرر الوطنى وظلت للنهية حليفاً مخلصاً له.

لقد كان مكتب الدعاية المكون من مثقفى إسكرا هو المحرك للإنشقاق بقيادة مرسى⁵⁸.

إعلان الأحكام العرفية

أعلنت الأحكام العرفية فى البلاد فى 15 مايو سنة 1948 وبدأت الحرب الظالمة ضد دولة إسرائيل.

قبض البوليس فى هذا اليوم على المئات من الديمقراطيين والنقابيين واليهود إلخ.. وزج بهم فى معسكرات الإعتقال التى ضمت أكثر من مائة من أعضاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

أثر الأحداث على الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى

إن شلل الحركة وعجزها عن المقاومة وعن قيادة النضال ضد الحرب الإجرامية التى شنتها الإمبريالية والرجعية، وعدم قدرتها على تطبيق الخط السياسى الصحيح، وذلك بتحويل الحرب الإمبريالية الظالمة إلى حرب عادلة ضد الإمبريالية والرجعية، إن كل هذا قد أظهر لأية درجة تصبح المؤامرات السياسية أسلحة ثمينة فى أيدي أعداء الشعب: زادت الإعتقالات وضمت السجون أو معسكرات الإعتقال عدداً من أفضل كوادر القادة بالحركة بينما استمر المنشقون فى مخالفة قواعد الأمن بدعوى "تنوير" كل الأعضاء بالحركة؛ وبينما كانت الكوادر الثورية للحركة تطالب كل الأعضاء بالإلتفاف حول اللجنة المركزية وبمضاعفة جهودهم للنضال استمر الإنقساميون وعلى رأسهم عادل ومرسى فى المطالبة بالدعوة للمؤتمر، ورفضوا العمل قائلين: "الإتفاق على الخط السياسى أولاً ثم العمل"، أو "فلنناقش أولاً ثم نعمل"؛ هكذا كانوا يردون على نداء النضال بندااء النقاش.

كان واضحاً أن الاستمرار فى مهادنة المنشقين يعنى خيانة الحركة ومعاونة الرجعية والإمبريالية؛ وأصبح من الضرورى جمع كل العناصر الثورية الصادقة والراغبة فى النضال لاستئناف العمل بأى ثمن.

إجتماع اللجنة المركزية فى يوليو

إجتمعت اللجنة المركزية التى فقدت عدداً من أعضائها بالإعتقال فى شهر يوليو؛ وقد طرح الثوريون المشكلة بوضوح فى هذا الإجتماع. حتى تتمكن الحركة من الاستمرار ومن القيام بالمهام العديدة والثقيلة للغاية التى تواجهها ينبغى الكف فوراً عن أى عمل إنشقاقي.

⁵⁸مارسيل إسرائيل.

رفض عادل والمنشقون الآخرون، وإقترحوا فى المقابل الدعوة لإنعقاد "مؤتمر من أجل تأسيس حزب" !!! وأن الإنشقاق قد حدث بصورة نهائية فى هذا الاجتماع حيث استقل العادليون بتنظيمهم الذى أطلقوا عليه إسم "الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى – عمال ثوريون-"; وشكل شندى هو الآخر تنظيمًا مستقلاً أسماه "نحو حزب شيوعى"، وإنضم إنقسام "نحو منظمة بلشفية" إلى "صوت المعارضة".

لقد إنشقت إسكرا القديمة وإنقسمت إلى سلسلة من التنظيمات الصغيرة التى تناضل بشراسة الواحدة ضد الأخرى وتتكفل فيما بينها ضد الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى؛ أما الحركة الديمقراطية فقد نادت بالتحاف جميع المناضلين الصادقين واستأنفت النضال على الفور واثقة من اجتماع جميع الشيوعيين وإتحادهم فى بوتقة العمل.

Proclamations de la loi Martiale:

Le 15 Mai 1948, la loi Martiale était proclamée dans le pays; la guerre injuste contre l'Etat d'Israël commençait.

La police arrêta ce jour-là des centaines de démocrates, syndicalistes, juifs, etc., et les jeta dans des camps de concentration. Plus d'une centaine de membres du MDLN se trouvaient parmi les personnes arrêtées.

Contrecoup de ces événements sur le MDLN:

La paralysie du mouvement, son incapacité a réagir, à conduire la lutte contre la guerre criminelle déchaînée par l'impérialisme et la réaction, a mettre en pratique sa ligne politique juste de transformer la guerre in juste, impérialiste, on une guerre juste contre l'impérialisme et la réaction, tout cela montrait à quel degré les menées fractionnistes et scissionnistes étaient des armes précieuses entre les mains des ennemis du peuple égyptien. Alors que les cadres révolutionnaires (H.E.) du Mouvement demandaient à tous les membres de sa regrouper autour du C.C. et de multiplier leurs efforts dans la lutte, les fractionnistes, et à leur tête Adel et Moursi, continuaient à demander la convocation d'un Congrès et se refusaient à toute action en disant: "D'abord se mettre d'accord sur la ligne politique puis travailler". Ils disaient encore: "Discutons d'abord puis nous travaillerons". A l'appel à la lutte, ils répondaient par un appel à la discussion. Les scissionnistes continuaient à violer toutes les règles de sécurité sous prétexte "d'éclairer" tous les membres du Mouvement. Les arrestations se multipliaient et quelques-uns des meilleurs cadres dirigeants du Mouvement étaient en prison ou dans les camps de concentration.

Il était clair que continuer à temporiser avec les scissionnistes c'était trahir le Mouvement, c'était faire le jeu de la réaction et de l'impérialisme. Il fallait à tout

prix regrouper tous les éléments sincèrement révolutionnaires, désireux de lutter, et reprendre au plus tôt l'action.

وصف هنرى كورييل لحرب فلسطين 1948 بالحرب الإمبريالية الظالمة ضد دولة إسرائيل وإنعكاس هذا الموقف على الإنشقاقات داخل التنظيم

وثائق مجموعة روما للحركة الديمقراطية للتححر الوطنى مارس 1951 – أبريل 1958

عن التوسع (الإنتشار) - تقرير من هنرى كورييل

ميلان بتاريخ 51/3/31

قلنا فى تقرير سابق إن المشكله الرئيسيه المطروحه أمامنا هى مكافحه الإنتهازية بشكلياتها الرئيسيين وهما: الطائفية، والتطرف اليسارى، اللذان يشتركان فى المضمون: التردد وتراجع النضال، بل والخيانة الإجبارية لقضية الطبقة العمالية (البروليتاريا)، فالطائفية تعبر عن عدم الثقة فى الطبقة العمالية وحلفائها - أى الشعب بأكمله - وقدرته على قيادة النضال من أجل التحريير؛ هكذا يفسح المجال للبورجوازية الخائنة ومعسكر أعداء الشعب، ويترك الشعب لجلاديه، ويساند التطرف اليسارى هذا الإتجاه بكل ما يمتلكه من وسائل للدعاية النظرية الأيديولوجية، متجاهلاً الدور المباشر الذى يجب على الطبقة العمالية أن تلعبه فى هذه الفترة، وهو بهذا التجاهل يترك قوى التححر الوطنى بدون قيادتها الطبيعية، كما يترك المجال مفتوحاً أمام البورجوازية الخائنة وكتلة أعداء الشعب؛ هكذا يلحق التطرف اليسارى بالطائفية فى نهاية الأمر.

قلنا أيضاً فى تقريرنا إن هناك تيارين داخل الحركة التقدمية: تيار "الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى" الذى يمثل نواة الحزب وطلبة التيار الثورى، والتيار الإنتهازى المكون من بقية التنظيمات التقدمية، وهو منبع قوى التردد والطائفية والتطرف اليسارى.

كانت سياسة الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى فى العام السابق سياسة ثورية قائمة على وجهة النظر المذكورة عاليه؛ والمضمون الرئيسى لهذه السياسة هو النضال ضد المعسكر الرأسمالى فى المجالات المختلفة لنشاط الشعب المصرى عموماً من أجل التححر، والسلام، والديمقراطية، ومن أجل تحقيق المطالب المادية للجماهير الكادحة والطبقة العمالية بصفة خاصة؛ هذا عن العمل الخارجى.

أما فى الداخل فكان المضمون الرئيسى لسياستنا هو الكشف عن الإنتهازية وإبراز السخط الشعبى، ونزع سلاح الإنتهازيين فى خداع ضحاياهم وهو الخلافات النظرية والسياسية، والصراع الأيديولوجى إلخ، وفضح موقفهم المتهرب من النضال القائم على بعض النظريات الإنتهازية التى يتيح تطبيقها الهروب؛ وبفضل هذه السياسة الحكيمه نجحت الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى فى إضعاف المعسكر الإنتهازى داخل الحركة التقدمية، وذلك بمواجهته بالنضال والكشف عن تردد زعماء هذا المعسكر إزاءه، ويمكننا ذكر هذا المثل لموقف هذه التنظيمات المتردد وتقاوعها عن النضال:

أ. الموقف من تنظيم العمال: إنقسمت الحركات الأخرى فى إتجاهين، الإتجاه الأول هو إتجاه الأغلبية التى لم تتخذ موقفاً بخلاف ضم بعض العناصر العمالية التى لا قيمة لها (على أساس طائفى)، وإلقاء بعض المحاضرات - غير المفيدة علمياً - عليها؛ أما

الإتجاه الثانى فهو ممثل فى تنظيم "نحو حزب شيوعى" وهو يهدف إلى تأسيس تنظيم أحمر منعزل عن الجماهير، وهذه سياسة قد ثبت فشلها؛ وفى الواقع فإن إتجاهنا وأسلوبنا فى تنظيم العمال هو الذى ينتصر عادة.

ب. الموقف من قانون المشتبه فيهم (معروف).

ت. الموقف من حركة السلام ولجنة السلام (معروف).

ث. الموقف من المجلة.

ج. الموقف من المغرب: ظهر تياران داخل الحركات الأخرى، وإكتفى الحزب بالتساؤل وطرح المشكلة على الصعيد الدولى دون إعطاء توجيه عملى للجماهير أما الإتجاه الثانى فقد ربط هذه المشكلة بمشكلة فلسطين وإعترض عملياً على أية مساندة للقضية المغربية.

هذه بعض الأمثلة للمواقف المترددة والمعارضة الواضحة للنضال فى معظم الحالات، وقد أدى كشفنا عن المواقف الإنتهازية للتنظيمات الأخرى، بالإضافة إلى تزايد قوة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى الواضح فى الأعداد الكبيرة من المنشورات التى توزعها فى كل المناسبات، إلى إضعاف التنظيمات الأخرى والنيل من مكانتها، ويمكننا ذكر الوقائع التالية لإثبات ما تقدم:

1. إن تنظيم "نحو حزب شيوعى" يطلب الوحدة معنا، وبعض عناصره القيادية فى طريقها إلى طلب الوحدة غير المشروطة، لكننا لن نقبل إلا بعد الإعتراف بالأخطاء والجرائم السابقة، وإقرار تحليلنا للأزمة السابقة.

2. يساند شهدى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ويعترف بأن قادتها كانوا على حق.

3. طلب أحد قادة التنظيم الشيوعى المصرى الإتصال بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

4. يؤيد الغزالى وبعض عناصر "النجم الأحمر" الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بقوة، ونحن نعتقد أنهم قد ينضمون إلينا بقليل من الجهد.

5. طلب حمدى وزوجته الإنضمام إلى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بشرط إصدار نشرة (شرط غير مفهوم).

6. هناك بعض العناصر الهامة الأخرى فى الطريق للإنضمام إلى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

هذه بعض الأمثلة الدالة على نفوذ الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وضعف المعسكر الآخر؛ وبالنسبة للتطور المادى يمكنكم الإطمئنان، وسنرسل لكم قريباً تقريراً مفصلاً عن نشاطنا، ويكفى اليوم أن نخبركم أن لنا نقاط إرتكاز، بخلاف الميس Elmaez وكليو Cleo، فى هذه المناطق: خمس مدن وثلاث عشرة قرية بالشمال بها حوال خمسمائة من طالبى

العضوية والمؤيدين، وثمانى مدن بالجنوب؛ ولا شيء يحول دون جمع الآلاف من الأعضاء فى وقت قصير إذا تم تعميق سياسة التنظيم القائمة على الثقة بالنفس وبالمعسكر الديمقراطى.

عن التوسع (الانتشار): رغم ما سبق فإننا نواجه بعض التردد فى هذه المشكلة، ويعود هذا التردد إلى الإتجاهات الإنتهازية الراضة لسيطرة الحركة الديمقراطية للتحرك الوطنى داخل الحركة الثورية، وهى تخشى هذه السيطرة لأنها تعنى دمارها بصفتها عدوة للشعب؛ وقد ظهرت هذه الإنحرافات فى الإتجاه إلى عرض أو بالأحرى "حصر" التوسع فى مشاريع "محددة" لإعداد كوادر قادرة على قيادة هذا التوسع ورفع مستوى الدعاية إلخ وغير ذلك من الإتجاهات... لكن هذا الإتجاه قد تم كشفه، ونعود اليوم لتأكيد ثقتنا فى دورنا القائد الذى يجب علينا التمسك به بلا تردد.

كيف ننتشر؟

1. يجب محاربة التردد فى الإنتشار وكشف جذوره، وهو ما قمنا به ولا نزال نقوم به.

2. ينبغى تحقيق الإنتشار فوراً، لذا يلزم التالى:

أ. الإهتمام بالخلايا وعملها، وإعتبارها مصدر قوة للتنظيم والتحقق من أنها تمثل بالفعل مجالاً للعمل، وتصفية التنظيمات غير القائمة على إعداد مجال للعمل إلا إذا إقتضت المصلحة العامة الحفاظ عليها.

ب. تبسيط عمل الخلايا والتحقق من قيامها بمهمتها فى العمل الخارجى بصفة خاصة.

ت. تبسيط أساليب العمل حتى تصبح قادرة على خدمة العمل الخارجى والتكيف معه.

ث. تبسيط أساليب العمل على كل المستويات بحيث تدعم التنظيمات الأساسية وتوسعها.

ج. تأكيد مبدأ الإدارة الذاتية للتنظيمات المختلفة لاسيما الخلايا، والتحقق من عمل التنظيمات الداخلية بفعالية بناء على توجيهات التنظيمات العليا.

لتحقيق هذا ينبغى العمل فوراً على:

1. إصدار مجلة "الكفاح" بصفة منتظمة لربط القاعدة، فى التنظيمات الخارجية العديدة، بالمركز؛ وقد بدأنا باستخدام آلة تصوير لإصدارها.

2. إصدار مجلة نظرية: الوعى.

3. إعداد تقارير دورية فى "الكادر".

4. الاستمرار فى توزيع المنشورات بانتظام: فى شهر مارس وزعنا خمسة منشورات بلغ مجموعها حوالى 90000 منشور.

5. دعم الخدمة الفنية وبخاصة المطبعة.

الوضع داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني

ديسمبر سنة 1951

مقدمة:

إننا نرى من المفيد إرسال رأينا فى الوضع داخل حركتنا، وهو رأى قائم على ما نعرفه، عن أنشطتها ومواقفها، وما يصلنا منها من رسائل، وأخيراً على المناقشات مع الزملاء الزائرين.

ونحن نرغب، قبل كل شيء، فى تجديد ثقتنا غير المحدودة بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى ظل الظروف الداخلية التى تعترضها؛ ولنعرف الزملاء أن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هى، رغم البعد، ما يعطى لحياتنا معنى، وهى الشيء الذى تتجه إليه أفكارنا وأنشطتنا؛ وبالإضافة إلى هذا نحن مع التيار الثورى، ممثلاً فى القيادة وعلى رأسها الزميل بدر، فى الصراع الداخلى ضد العناصر المترددة والإنهزامية التى تمثل أيديولوجيات الطبقات الإجتماعية غير العمالية (البروليتارية).

وإذا كنا نريد أن تكون الحركة قادرة على القيام بمهامها، فمن المهم إعطاء رأينا الصريح فى ضرورة الإصلاح الحاسم دون أن نتأثر باستخدام الإنتهازيين لبعض الإنتقادات ضد الحركة لأن مقاومة هؤلاء تقوم قبل كل شيء على إجادة عملنا الخاص الذى يسلبهم تبريراتهم، ويكشفهم ويفقدهم تأثيرهم.

هناك إعتبار آخر ينبغى مراعاته: لقد نجحنا دائماً، فى مواجهة ما يستهدفنا من جانب المترددين والمستسلمين من هجمات شديدة ووشايات، إلى التركيز على الجوانب الإيجابية للحركة، وفى مواجهة أولئك الذين يؤكدون "فشل" الحركة و"فشل" الشيوعيين المصريين، دافعنا عن إنجازات الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى أصبحت عنصراً حاسماً من عناصر الحياة الوطنية فى مصر، وفى مواجهة المتشائمين كان تفاؤلنا يقوم على تقدير إيجابى للنضال فى الماضى؛ وكنا على حق.

لكن الخطير هو أن يؤدى هذا الموقف إلى "تبرير" ضعفنا بدلاً من الإعتراف به والتغلب عليه، وإلى التظاهر والمكابرة؛ بما يفقدنا أجمل ما يتحلى به المناضل العمالى من صفات وهو التواضع؛ إن رفض رؤية العيوب يقود إلى الرد على النقد ودفعه بصفات جارحة، وإلى تعريض وحدة الحركة للخطر (أو تحقيق الحماية لها بطرد جميع المعارضين حتى نظل "فيما بيننا") والتنازل عن الطريقة الجادة الوحيدة للتقدم، وهى الاستفادة من الأخطاء.

لقد وضع الحزب الشيوعى بالإتحاد السوفييتى سلاحاً قوياً فى متناول الطبقة العمالية الدولية، هذا السلاح هو النقد والنقد الذاتى الذى ركز على أهميته الحاسمة المؤتمر التاسع عشر؛ وعلينا إحترام تعاليم المؤتمر التاسع عشر إذا كنا نريد الإعتراف، فعلاً لا قولاً فقط، بأهميته التاريخية (لنا عودة إلى هذه النقطة فى تقرير خاص).

نقاط الضعف

وحتى يكون التقرير كاملاً، ينبغى أن يشتمل على تحليل للجوانب الإيجابية والسلبية معاً لمواجهة الحملة التى يقوم بها الإنتهازيون ضد الحركة، لكن ظروفنا لا تسمح بذلك، لذا

سنتفى بالحديث عن نقاط الضعف دون ذكر التوسع فى نشاط الحركة وتزايد تأثيرها، وذلك للتركيز بصفة خاصة على أهمية علاج ضعفنا حتى يمكن للحركة أن تقوم بالدور المنوط بها فى الحياة الوطنية لأن التقدم تبعاً لقوانين الجدلية (الديالكتيك)، يتحقق بالتغلب على نقاط الضعف وليس بتنمية الجوانب القوية فى العمل فقط.

إن هذه النقاط، فى رأينا، خطيرة:

أ - الضعف الأيديولوجى وضعف الصراع الأيديولوجى: لن نتوسع هنا فى هذه النقطة الأساسية فى رأينا حيث أن هناك تقريراً معداً عنها.

ب - الإتجاه التصفوى: وهو الإتجاه إلى إنقاص قدر العمل داخل الحزب بالمقارنة بالعمل الخارجى أى الإتجاه إلى إتمام العمل خارج الحزب لا من "خلاله"، وعدم الربط بين العمل الخارجى والداخلى، مما يؤدى، والحال هكذا، إلى إعتبار العمل الداخلى "سخرة" إضافية ينبغى هجرها فى سبيل مهام العمل الخارجى "الهامة"، وإلى الإقلال من دور الخلية وإنشاء "مكاتب" تقوم بالفعل بأكبر جزء من العمل (الخارجى) خارج التدرج التنظيمى للحزب، وإلى ضم الأعضاء دون الإهتمام بتلقينهم حداً أدنى من المبادئ الماركسية، وإلى عدم الإهتمام الدائم بالإعداد الكامل للكوادر، وإلى دفع الزملاء إلى اللجنة المركزية على أساس العمل الخارجى فقط دون وضع تكوينهم الماركسى فى الإعتبار، وإلى الإقلال من دور اللسان غير الرسمى فى الحركة، وهو دور غير موجود فعلاً بالمقارنة بدور الصحافة الديمقراطية الرسمية.. وهذه علامة مثيرة للقلق سنعود إليها.

لقد كانت الحركة على حق عندما ركزت جهدها الرئيسى فى سنة 1950 على تحقيق "الإتصال بال جماهير" بعد فترة الإنقسام الداخلى والإرهاب والأحكام العرفية ومعسكرات الإعتقال، ذلك لأنها كانت منعزلة وكان الضمان لتطورها هو تنمية العمل الخارجى بها، لكن الوضع يختلف الآن حيث يكمن ضمان تطور الحركة، شاملاً العمل الخارجى، فى دعم العمل بالداخل، وبهذه الطريقة وحدها يمكننا التقدم.

ج - الإتجاه العملى: هكذا يدعى الإتجاه إلى تخصيص أكثر قوانا (أو فى مفهومنا قوانا شبه الكاملة) للقيام بمهام عملية لا تحصى: قضاء اليوم فى لقاءات مستمرة بدون التقاط الأنفاس، وأداء مهام يمكن للغير القيام بها، والإهتمام بتفاصيل عمل الرفاق والرغبة فى تنظيمه و"عدم وجود الوقت" للدراسة والكتابة ووضع خطوط العمل الخ.. إن كل هذا يؤدى إلى سوء توزيع العمل.. "لأن أشخاصاً بعينهم هم الذين يعملون" كما يؤدى إلى فوضى تنظيمية وبصفة خاصة إلى عدم قيام القيادة بدورها وإختفاء الإجتهد، وإلى العمل دون وجود خط عام واضح، وبلا خطوط خاصة واضحة الصلة بالخط العام.

وتكون النتيجة هى ضياع الوقت فى علاج عدم كفاية التفاصيل بدلاً من إكتشاف وتلبية إحتياجات الحركة فى مجموعها، وإلى سيطرة النشاط علينا "فنتبعه" بدلاً من أن نتحكم فيه ونقوده، وهكذا يؤدى عجزنا عن التحليل المستفيض للموضع إلى "الإنقياد" للأحداث.

د - الإرتجال فى العمل بين الجماهير: ضعف وضيق أفق التنظيمات الديمقراطية والعجز عن تنظيمها جدياً على الصعيد الوطنى، وفى الوقت ذاته الإتجاه إلى العمل "من أعلى" أى

تكوين التنظيمات على الصعيد الوطنى دون الإرتباط بالمراكز المحلية، والعجز عن تحديد واضح للمطالب الملموسة للجماهير وبالتالي عدم القدرة على تجنيد الجماهير للدفاع عن مطالبها؛ وأيضاً ضعف البرامج الموضوعية للمطالب، وضعف الصلة بين المطالب الفورية والأهداف العامة، هذا الضعف الذى يؤدي أحياناً إلى إتجاه "سياسى" متطرف، وأحياناً أخرى إلى إتجاه "اقتصادي" عقيم؛ وأخيراً عدم تقدير وضعف الإرتباط بالتنظيمات الديمقراطية الدولية.

نحن نرى أن الإتجاهات الثلاثة الأخيرة غير صحيحة: الإتجاه التصفى، والإتجاه العملى، والإرتجال السائد فى العمل بين الجماهير؛ وهى تعود بصفة رئيسية إلى الضعف الأيديولوجى وتترتب عليه.

أهمية القضية

ما القضية ؟

إن القضية، وهذا أمر ينبغى إدراكه، هى النصر أو الهزيمة حيث يتوقف كل شيء، فى الظروف الموضوعية الثورية التى تعيشها مصر، على الحزب وقدرته على أداء دوره.. إن الثورة لا تصنع نفسها، بل نحن الذين نقوم أو لا نقوم بها.

ماذا تقول تجربة الأحزاب الأخرى؟ إن ماوتسى تونج، فى حديثه عن تاريخ الحزب الشيوعى بالصين يبين كيف أن فشل الثورة فى مراحلها الأولى يرجع إلى نقاط الضعف الموجودة بالحزب.

الإقتراحات

بالنظر إلى الوضع القائم بالحركة، وبعد أن أثبتت العامان اللذان قضيناها بالمنفى أننا لا نطمح فى إدارة الحركة من "الخارج"، وأننا كأعضاء مخلصين نرغب فى المساعدة بطريقة مباشرة أكثر من ذى قبل، وفى التعاون مع زملاء أوفياء ومخلصين مثل: ليلى، صلاح، عصام، داود، رشيد، أميرة وغيرهم؛ لهذا نقترح القيام بالمهام التالية، أو بالقدر الذى تحدده القيادة منها، بالتوازي مع المهام الأخرى الجارية:

1. دعم الصراع الأيديولوجى:

أ. تقرير عن الصراع الأيديولوجى.

ب. تقرير عن تاريخ الحركة.

ت. المساهمة فى "الوعى"، لسان حال الحركة النظرى الذى يجب أن يعود للظهور.

ث. طبع كتب نظرية.

2. دعم العمل بالداخل:

أ. إعداد مشروع للوائح مع مذكرة تفسيرية.

ب. محاضرات عن أسس التنظيم.

ت. محاضرات سياسية مع مراعاة نوعية الأعضاء المرشحين لها: عمال، فلاحون، سيدات..

3. تحسين المفاهيم ومقاومة النظرة العملية:

أ. إعداد مشروع برنامج مع مذكرة تفسيرية.

ب. إعداد عناصر الخط السياسى العام.

4. مكافحة الإرتجال فى العمل بين الجماهير:

أ. تشكيل لجان متخصصة فى العمل الديمقراطى.

ب. إلقاء محاضرات عن العمل بين الطبقات المختلفة.

وينبغى رفض الإختيار الزائف بين "الدراسة والعمل" لأن الموقف الصحيح هو الربط المنسق بينهما، هذا الربط الذى سيؤدى إلى دعم أحدهما بالآخر بدلاً من إضعاف أحدهما.

ونحن نرفض أيضاً التفارقة المزعومة بين "العمل الداخلى والخارجى" لأن الموقف الصحيح الوحيد هو تطبيق خط واحد يحقق إرتباطاً منسقاً بينهما، ومن شأن هذا الإرتباط أن يدعم أحدهما بالآخر بدلاً من أن يضعف أحدهما.

عاشت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ضماناً أسمى لتحرر مصر، وتحرر الطبقة العمالية المصرية.

لجنة مجموعة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بالخارج

مارس سنة 1953

من أجل نضال منطقي لتحقيق الوحدة بين الشيوعيين المصريين

إن النضال من أجل الوحدة مهمة مستمرة لجميع الأحزاب الشيوعية على أكثر من صعيد؛ فهناك النضال من أجل الوحدة على الصعيد الوطنى، والنضال من أجل وحدة الطبقة العمالية، والنضال من أجل وحدة الحزب، فضلاً عن النضال على الصعيد الخاص الذى تتفرد به مصر، وهو النضال من أجل وحدة الشيوعيين المصريين.

لماذا يعد هذا الصعيد خاصاً بمصر؟ إن الجميع يعرفون أن الأحزاب الشيوعية هي طليعة الطبقة العمالية في كل البلاد؛ وينتج عن هذا أن لكل بلد حزباً شيوعياً واحداً لأن الطبقة العمالية لا يمكن أن يكون لها أكثر من طليعة أو "شكل أسمى من أشكال التنظيم العمالي" (ستالين) ولكن الوضع يختلف في مصر حيث تطالب عدة تنظيمات، لا تنظيم واحد، بهذا اللقب المجيد: طليعة الطبقة العمالية المصرية؛ وهو وضع ينبغى العمل على تصفيته؛ لذا يهدف هذا التقرير إلى تنبيه الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى لهذا الوضع، والكشف عن جذوره وأهميته، وبيان أهمية إتباع سياسة واضحة في هذه المشكلة، ومحاولة تحديد الخطوط العريضة لهذه السياسة.

هل هي مشكلة جديدة؟ كلا، إنها مشكلة تطرح نفسها منذ ميلاد الحركة الشيوعية المصرية إلى جانب مشاكل الصراع الأيديولوجى التى لم نحاول مواجهتها بجدية، لقد كدست الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التجارب الفنية في مشكلة النضال من أجل وحدة التنظيمات الشيوعية المختلفة، ومع هذا ينبغى الاعتراف بأننا توقفنا، بخلاف المراحل السابقة، عن تحليل وتحديد هذه المشكلة التى لم يعد لنا سياسة واضحة خاصة بها، وهذا يعنى فى الواقع إتباع سياسة "تلقائية" أى سياسية.. "إنتهازية". يلزم تغييرها بسياسة واعية قائمة على تحليل الظروف الملموسة وعلى التجربة الغنية للحركة فى هذا المجال.

ما أسباب الوضع الحالى؟

هذه هي بعض الأسباب دون تحديدها جميعاً:

أ. أولاً "نظرتنا العملية" للأمور: كنا مثقلين بمهام كثيرة، ولم نرغب فى إضافة مهام جديدة تضيع من وقتنا؛

ب. بالإضافة إلى هذا، دفعنا إدراكنا بأننا نمثل التيار الثورى "بحق" إلى إتخاذ موقف متعال (لا يمت "الثورية" بصلة) من التنظيمات "الإنتهازية" الأخرى؛

ت. كان تنظيمنا أقوى التنظيمات مما جعلنا نعتبر المشكلة تافهة وبلا أهمية؛

ث. الرغبة فى تجنب قسوة الصراع الأيديولوجى الطويل والملازم للنضال من أجل الوحدة، وتلافى النقد الموجه للأخطاء العديدة التى إرتكبتها ولم نرغب فى الاعتراف بها أمام "الإنتهازيين" لإعتقادنا أن هذا سيزيد من قوتهم؛

ج. الرغبة فى تجاهل ضرورة مواجهة وتحليل وحل مشكلة النضال من أجل الوحدة والمرحلة الحالية؛

ح. الميول الطائفية حيث كنا نرغب فى البقاء "فيما بيننا أى بين الثوريين" .. إلخ.

الوضع الحالى:

يتميز الوضع الحالى بالخطوط التالية: غياب سياسة محددة بخصوص هذه المشكلة، ولا داعى للإفاضة فى هذه الحقيقة التى تفرض نفسها على الجميع؛ لقد كانت لنا "آراء" عديدة عن الوحدة، ولم نتبين كما ينبغى، سياسة عميقة ودائمة: البعض يريد الوحدة، والبعض الآخر لا يريد، ولكل من هؤلاء أو أولئك أسبابه المختلفة لرفض الوحدة أو السعى لها، وكانت هناك أيضاً خلافات على أسس هذه الوحدة.

إعتدنا هذا الوضع واستسلمنا له كخاصية حتمية من خصائص النضال السياسى فى مصر، وقد أضعف هذا الإعتياد من إحساسنا بجوانبه السلبية فلم ندرك ضرره، واستمر الوضع كما هو دون أن نفعل شيئاً لعلاج.

ويمكن تلخيص موقف الحركة من النضال من أجل الوحدة فى:

- عدم تقدير أهمية المشكلة.
- الإعتقاد بأنها ستحل "من تلقاء نفسها"؛ ومن هنا كانت ضرورة التصحيح الحاسم.

خطورة الإنقسام داخل الحركة الشيوعية المصرية:

ينبغى علينا العمل بقوة وبلا كلل على عدم الإقلال من أهمية هذه المشكلة، وعلى إبراز نقاط الضعف العديدة والخطيرة الناتجة عنها وهى:

أ. تشتيت الجهود: رغم أن نضال الشيوعيين هو نضال موحد بقيادة موحدة، فإن النضال فى مصر حالياً مشتت ومتعدد القيادات؛

ب. تبيد الجهود: إن تعدد التنظيمات فى مصر يؤدى إلى بعثرة غير عاقلة للجهود فى الصراع بين الشيوعيين أنفسهم إذ يتوهم عدد كبير منهم أنهم يقاتلون فى سبيل الشيوعية بينما هم يصارعون بعضهم البعض؛

ت. إضعاف تأثير الحركة الشيوعية من الداخل حيث يقوم كل تنظيم بدور الإحتياطى بالنسبة للساخطين: هناك شعور عام، يسود الجميع أو يكاد، بأن السخط داخل التنظيم يعنى، بالنسبة للتنظيمات الأخرى، الثورية الحقيقية؛

ث. إضعاف نفوذ الشيوعيين المصريين بين المؤيدين الذين أوهن من عزيمتهم إنقسام الشيوعيين وعجزهم عن الفصل بين التنظيمات، "وهو أمر صعب بدليل أن الأحزاب الشيوعية الأخرى لم تقم به حتى الآن"؛

ج. إضعاف سطوتنا ونفوذنا بين حلفائنا: إن الطبقة العمالية "البروليتاريا" تجتذب الطبقات الأخرى بقدر قوتها وقوة طليعتها، أما الإنقسام فهو يتيح لأعداء الوحدة مع الشيوعيين، فى الطبقات المختلفة، التذرع بتعدد التنظيمات لرفض وحدة العمل؛ فى سنة 1950 مثلاً رفض تيار الإخوان المسلمين الرجعى النضال مع الشيوعيين أو التنظيم الوحيد الذى إقترح هذا وهو: الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، بحجة تعدد التنظيمات الشيوعية؛

ح. سهولة التدخل البوليسى والحديث عن بعض المشاكل الداخلية للحزب أمام الأعداء؛

خ. وأخيراً هى السبب الرئيسى الذى يحول دون إعتراف الحركة العمالية الدولية بالحركة الشيوعية المصرية، وهو إعتراف سيكون لها بمثابة دعامة معنوية لا تقدر بثمن.

هذه بعض مساوئ إنقسام الشيوعيين المصريين، وهى مساوئ ستختفى بالقضاء على الإنقسام لأن الحركة الشيوعية المصرية لن تقوى بإتحاد كل المناضلين المتفرقين حالياً فحسب، بل إن الوحدة ستنتشى وضعاً مختلفاً من ناحية الكيف فقد أثبتت التجربة، فى العالم كله، أن الوحدة لا تؤدى فقط إلى زيادة أعضاء الحركات العمالية والسياسية والنفابية، ولكنها أيضاً تقدم لها دعماً ضخماً كما يؤدى الإنشقاق إلى هجر عدد كبير من العمال لنشاطهم؛ لذا تساند الرجعية والإمبريالية دائماً فى كل مكان التنظيمات الإنشاقية حتى لو كانت بلا أهمية، ولهذا ينبغى ألا يدفعنا "ضعف" التنظيمات الأخرى إلى إهمال القوى الجديدة التى يجلبها الإتحاد.

هكذا يعد إنقسام الحركة الشيوعية ظاهرة ضارة ينبغى مكافحتها، وبوسعنا كثوريين منطقيين النضال ضده والقضاء عليه بدراسة المشكلة بعمق من نواحيها المختلفة؛ ولنحاول وضع الخطوط الأولى لهذا العمل.

تعدد التنظيمات الشيوعية فى مصر:

إن جذور هذا التعدد تعيدنا مرة أخرى إلى ظروف ميلاد الحركة الشيوعية فى مصر: لقد ولدت الحركة الشيوعية المصرية حقاً فى سنة 1943 حيث "جاء تراشق المدافع فى ستالينجراد بالماركسية إلى مصر كما حملها إلى الصين تراشق المدافع فى ثورة أكتوبر"؛ وكانت الظروف الموضوعية لهذا الميلاد ظرفاً ثورية للغاية إذ أدى تضافر قهر الإمبريالية والإقطاع مع فساد وإهمال وكسل الطبقة الحاكمة من جهة، ومن جهة أخرى ظروف الاستغلال الرهيبة التى يعيشها الشعب المصرى إلى إجتذاب الشيوعية لعدد متزايد من العناصر المنتمية إلى جميع الطبقات الإجتماعية والباحثة عن حل لبعض المشاكل الضخمة حتى تجعل منها بلداً مستقلاً، حراً، تقدماً وسعيداً؛ ولكن هذه العناصر لم تجد إطاراً معداً لإستقبالها حيث قام الوفد فى سنة 1924 بتصفية أول حزب شيوعى تأسس فى مصر عقب إنتصار الثورة السوفيينية، ومنذ ذلك الحين و"القسم المخصوص" التابع لجهاز المخابرات الإنجليزى⁵⁹ يسحق فى المهد كل المحاولات لإنشاء تنظيمات شيوعية.

⁵⁹القسم المخصوص، كان أحد أقسام إدارة الأمن العام بوزارة الداخلية المصرية، أنشئ عام 1910 لمواجهة النشاط السياسى المعارض، وتلقى رجاله تدريبهم على أيدى ضباط من الإنجليز.

لقد كان على المناضلين الشيوعيين الأوائل مواجهة صعوبات كبيرة منها قوة الإمبريالية التي حولت مصر إلى قاعدة حربية، والبورجوازية التي كانت على استعداد دائم للخيانة أو التورط في سبيل الإحتفاظ بامتيازاتها الهائلة، وإدارات الاستخبارات العديدة التي تعمل جميعاً في ظل الأحكام العرفية وهي: البوليس السياسى، القسم المخصوص، المخابرات البريطانية، إدارة الاستعلامات الإنجليزية C. Q. G.، البوليس السياسى المصرى، إلخ؛ وفي الوقت ذاته لم يكن لدى هؤلاء الشيوعيين سابق خبرة بالتنظيم وبالعامل السرى، كما لم يكن لديهم كتاب نظرى واحد باللغة العربية بينما كان عليهم استيعاب الأسس النظرية للماركسية؛ بالإضافة إلى كل هذا لم يتوافر لهم الإعداد السياسى لعدم مشاركتهم من قبل في الحياة السياسية، مثلهم في ذلك مثل الطبقات الإجتماعية التي ينتمون إليها؛ إن المناضلين الشيوعيين الأوائل بدأوا فعلاً من الصفر!

ليس غريباً إذن أن تتجمع العناصر، التي إتجهت إلى الشيوعية منذ سنة 1943 التي استطاعت التفوق عدداً على البوليس السياسى بأنواعه المختلفة لمدة محدودة، في تنظيمات متنوعة على أساس الوسط الإجتماعى الذى ينتمى إليه على أساس تجارب ومفاهيم العمل لديها؛ ومنذ البداية وهذه التنظيمات، التي يزعم كل منها أنه "الأصل" تتصارع فيما بينها، ولم تكن الدولية الشيوعية المجيدة، التي علقتنا عليها الأمل، موجودة لتفصل بينها إذ أنها إنحلت في سنة 1943 على وجه التحديد، وقد سهل حلها عمل الشيوعيين المصريين بطريقة يصعب تصورها في الوقت الحاضر وإن حرمتهم في الوقت ذاته من وجود سلطة عليا.

تعود إذن ظاهرة تعدد التنظيمات الشيوعية التي تنفرد بها مصر إلى ثلاثة عناصر:

- إجتذاب الشيوعية لعدد من العناصر مختلفة النشأة ومختلفة التجارب،
- عدم وجود إطار معد لاستقبالها،
- غياب السلطة العليا القادرة على الفصل بينها.

ما أوجه الخلاف الجوهرية بين التنظيمات الشيوعية في مصر ؟

إن التمييز بين التنظيمات الشيوعية مسألة أساسية ينبغى البت فيها حتى يمكن إتخاذ موقف منطقى من مشكلة الوحدة: من الواضح أن الخلاف بينها ليس خلافاً نظرياً لأنها جميعاً تنتمى إلى الماركسية – اللينينية – الستالينية المتشددة، وهو أيضاً ليس خلافاً سياسياً برغم وجود فروق سياسية، فقد أثبتت التجربة أن هذه الفروق تختفى بعد وقت طال أو قصر، عندما ينتهى المفهوم الصحيح بالانتصار كما هو الحال في الموقف من السودان على سبيل المثال، والطبيعة الطبقيّة الديمقراطية؛ وهي على كل الأحوال فروق سببها الجهل وليس الإنحراف.

إن المسائل التنظيمية لم تكن هي الأخرى موضع الخلاف لأن جميع الأشكال التنظيمية متقاربة ولا تختلف جوهرياً، حيث لا وجود مثلاً بشكل صريح على الأقل – "لماركسية رسمية"، أما إختلاف البرامج فيعود إلى التكوين الأيديولوجى للمناضلين الذين يعدونها حيث أن المطالب الأساسية لجميع التنظيمات تتفق إجمالاً.

لذا نعتبر أن الإختلاف الأساسى والجوهري بين التنظيمات الشيوعية المصرية يكمن فى خطة كل منها وموقفه من العمل؛ أما أعداؤنا الذين يثيرون ضجة كبيرة حول الخلافات النظرية، والسياسية، والتنظيمية أو حول إختلاف البرامج، فهم إنما يفعلون ذلك بغرض إخفاء الإختلاف الحقيقى؛ لماذا ؟ لأنهم يريدون تكديس الصعوبات الكبيرة أمام الوحدة، ولأنهم لا يستطيعون طرح المشكلة بصراحة دون أن يكشفوا أنفسهم.

لمحة قصيرة عن سياسة الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى من أجل الوحدة:

على خلاف ما يجرى الآن كان لنا دائماً موقف سياسى من هذه المشكلة، وقد تبين لنا خطأ هذا الموقف الذى نذكر فى إيجاز خطوطه العريضة:

فى الفترة من سنة 1943 إلى سنة 1945:

وهى الفترة التى إصطلحنا على تسميتها فترة "التكوين الأولى" للحركة الشيوعية المصرية حيث لا عمل سياسى للجماهير، فالتنظيمات محدودة والإتصالات تحدث عن طريق الصدفة، والشيوعيون لا يشعرون بحاجة عميقة للتعاون وبالتالي الإتحاد، كما أن الفرصة لا تتاح لهم لتحقيق ذلك.

لم تؤد إذن محاولات الوحدة إلى نتيجة ملموسة، ويمكننا، دون سرد تفاصيل النضال من أجل الوحدة المذكورة فى تقرير كتب فى سنة 1949 تعريف السياسة المتبعة آنذاك كالتالى:

"يمكن حل مشكلة الوحدة بالعمل الصحيح والفعال، وتقدمنا وحده كفيل بإجتذاب المناضلين الصادقين إلى صفوفنا بعد تصفية التنظيمات الأخرى" التى تتبنى معظمها مفاهيم مشابهة،

لقد كنا على خطأ فى هذه التوقعات، وسنتحدث قليلاً عن هذا الخطأ لأن مفاهيم الحركة حالياً قريبة من تلك المفاهيم، وأسباب هذا الخطأ عديدة فهو يعود إلى:

- أننا لم نحدد حتى هذه اللحظة الجذور الطبقيّة التى تجعل التنظيمات المختلفة قادرة على التطور رغم ضعفها الشديد الظاهر؛
- أننا لم نفهم الخلاف الحقيقى بين التنظيمات ولم نمتلك، بالتالى، وسائل قيادة الصراع المذهبى على أسس متينة؛
- أننا لم نقدر عمل الإنقساميين حق قدره، وهم الذين نجحوا فى إقامة حواجز من الإقتراءات بين المناضلين بالحركة؛
- أننا لم ندرك أن التنظيمات الأخرى تستفيد من عملنا بطريقة غير مباشرة حيث تزداد قوة مع كل مجال جديد ندخله لأنها تجد به عناصر تفضل النضال تحت لواء الشيوعية فى تنظيمات أقل ثورية؛
- أننا لم نفهم أن التنظيمات الأخرى تقوم بالنسبة للمناضلين بدور البديل خاصة فى مواجهة الصعوبات بالداخل أو فى فترات القمع الحكومى؛

• أننا لم نع أن الصراع الداخلى بالتنظيم هو الذى يغذى التنظيمات الأخرى بصفة دائمة، أو أنه الأساس الذى تقوم عليه التنظيمات الأخرى؛

هذه هى الأسباب التى أدت إلى هذا الوضع فى نهاية عام 1945، وهو وضع لا يفضل سابقة من ناحية الوحدة حيث تعددت التنظيمات الشيوعية وزاد عدد أعضائها وإن ظلت الحركة المصرية للتحرر الوطنى، فى كل مجالات النشاط الثورى، فى الطليعة.

فى الفترة من سنة 1945 إلى يونيو سنة 1947:

تغير الوضع كثيراً إذ إتسعت التنظيمات، وضاعفت من الصلات والإحتكاك فيما بينها، وإزدادت الحاجة للتعاون حين أدرك الشيوعيون فائدة الإتحاد، وقد وضعت الأنشطة الخارجية التى طورتها جميع التنظيمات قواعد متينة للعمل المشترك حيث يتبع الشيوعيون، بدرجات متفاوتة، الحركة المصرية للتحرر الوطنى التى إنغمست بعمق فى النضال السياسى كما إتخذت موقفاً واضحاً وجريئاً وهو "الوحدة غير المشروطة"؛ إلى هنا والتعاون كامل وأمين.

إعترض على "الوحدة غير المشروطة" بالإضافة إلى غير الراغبين فيها، أولئك الذين يراوغون بوضع شروط غريبة لها: تطالب إسكرا مثلاً بمهلة قدرها ثلاثة أشهر لا يعتقل خلالها أحد أعضاء الحركة المصرية للتحرر الوطنى ! ولكن النشاط المشترك فى بعض المجالات يزيل الأفكار المسبقة، ويعمق المواقف من خلال المناقشات المثمرة؛ وقد أظهرت هذه المناقشات خلافاً مع إسكرا، وهو الخلاف على المبدأ الأساسى للتنظيم: هل هو المركزية أو "ديمقراطية" مزعومة؟ جعلنا من تصفية هذا الخلاف شرطاً مسبقاً للوحدة وقدنا صراعاً أيديولوجياً عميقاً إنتهى بإنتصارنا الذى أدى إلى الوحدة مع إسكرا رغم تحفظات قادتها وسوء نيتهم، لقد كانت الوحدة إنتصاراً كبيراً لنا لم نتح لنا قلة خبرتنا الإفادة الكاملة منه.

الفترة من يونيو سنة 1947 إلى يونيو سنة 1948:

كانت الوحدة مع إسكرا إنتصاراً كبيراً أدى إلى الوحدة مع تنظيمات أخرى، وجعل قوة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى تفوق كثيراً قوة التنظيمات الأخرى مجتمعة، وقد استغرقنا حتى هذه اللحظة المشاكل الداخلية التى طرحتها الوحدة، والتقدم الضخم الذى أحرزناه بعدها، فأدى ذلك الوضع إلى قبول شعار عادل⁶⁰ الإنتهازى: "لقد تحول النضال من أجل الوحدة إلى صراع داخلى"، وأصبح النضال ضد التقسيم يتم على الصعيد الداخلى فقط، أما التنظيمات الأخرى التى تجمعت بدورها فى "جبهة معارضة" فقد أهملنا الصراع معها من أجل الوحدة.

إن تمام الوحدة "لا يدخل فى نطاق هذا التقرير، ولكن هناك كلمة ينبغى أن تقال عن الإنقسام الهام الذى حدث فى الفترة من فبراير إلى أغسطس سنة 1948: فى هذه الفترة ولد العديد من التنظيمات، وهذا أمر لم نتوقعه، ولكن ينبغى إدراك السبب الذى أدى إلى هذه الإنشقات الكبيرة حتى نفيد من التجربة؛ إننا لم نقلل من قدر القادة الإنقساميين على صعيد الصراع

⁶⁰عبد المعبود الجبيلى.

الداخلي، كما يزعم البعض، بل كان خطأنا هو عدم الربط بين الإنقسام وهجوم الرجعية إذ استغل الإنقساميون لصالحهم المشاعر الإنهزامية الناتجة عن الهجوم الرجعى، هذه المشاعر التى إتخذوها ذريعة ضد الإدارة الثورية للحركة الديمقراطية للتححر الوطنى.

إن الرجعية بدأت هجومها مع التصويت على القرار بتقسيم فلسطين والإعداد للحرب "ديسمبر سنة 1947"؛ وليس من قبيل الصدفة أن إنشقاق سليمان⁶¹ حدث فى فبراير سنة 1948، وأن الهجوم الشامل بدأ مع الأحكام العرفية فى 15 مايو سنة 1948؛ ثم توالى بعد ذلك الإنشقاقات إبتداء من شهر يونيو: إنشقاق "عمالى ثورى"، "صوت المعارضة"، "نحو حزب شيوعى مصرى" ولا يعنى هذا أننا على خطأ فى موقفنا وفى ندائنا بالاستمرار فى العمل، ولكن هذا الموقف التلقائى لم يتح لنا كشف مضمون الإنشقاق الإنهزامى المستتر وراء الخطب الرنانة عن "إنحراف القوى الوطنية الديمقراطية"، هكذا وجدنا أنفسنا أمام خيارين: النقاش على الصعيد الذى إختاره الإنتهزيون، أو التذرع بأهمية العمل لرفض النقاش مبدئياً.

الفترة من يونيو سنة 1948 إلى يونيو سنة 1950:

فى البداية، ساد الإضطراب الشامل إذ استدرجنا فى المعتقلات إلى مناقشات طويلة وعقيمة على صعيد "السياسة العليا" وهو الخط الذى سار عليه أعداؤنا الإنتهزيون؛ وفى الخارج كانت سياسة سالم هى "الوحدة بأى ثمن" ولو كان التنازل عن تمثيل تيارنا بالقيادة وإدانة خط "القوى الوطنية الديمقراطية" المزعوم.

إن هذا الموقف الضعيف اليأس الذى يبرى الإنقسام – هكذا رآه بالخارج، الأمر الذى أساء إلينا كثيراً – ما كان ليفضى إلا إلى آثار مفجعة منها استمرار الإضطراب؛ ولكن الوضع سرعان ما تغير حين بدأ جدياً التحليل العميق للتيارين الموجودين داخل الحركة الشيوعية المصرية، وقد أكد هذا التحليل ثقة الحركة بنفسها إذ ساعد الكشف عن المضمون الإنتهازى والجذور الطبقيّة للتنظيمات الأخرى على تحديد الخلاف الأساسى بينهما، وهو خلاف عملى وخلاف تكتيكى.

إن تعريف الخلاف يؤكد أن الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى على حق فى رفضها لمقترحات الوحدة من خلال "المؤتمرات، واللوائح، والبرامج" كما يتيح وضع سياسة مذهبية قائمة على "وحدة العمل"، وهى السياسة التى عملنا بها ولم نكتف بإعلانها، وأشير هنا إلى مثلين لذلك: إقتراح العمل المشترك من أجل السلام فور إغلاق المعتقلات فى فبراير سنة 1950، وإقتراح بالتعاون فى إصدار أول مجلة رسمية فى هذه الفترة؛ لم يلق هذان الإقتراحان القبول بين قادة التنظيمات الأخرى فكان الرفض الذى أضعف من شأنهم وزاد فى الوقت ذاته من ثقة ووحدة الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى.

⁶¹شهدى عطية الشافعى.

الوضع القائم

لا يمكننا الحديث بدقة عما حدث فى الفترة من يونيو سنة 1950 حتى وقتنا هذا، ولكن الدلائل تشير إلى عدم وجود قاعدة واضحة يسير عليها حزبنا فى مشكلة الوحدة.

أ - **موقف جمال**: دافع جمال، أثناء تنقلاته بالخارج، عن أفكار مشابهة لمواقف سنة 1943 البدائية؛ لقد كان يريد الإقناع، ليس بالتحليل السياسى، بأن مشكلة الوحدة قد حلت عملياً لأن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هى التنظيم الشيوعى الوحيد، أما التنظيمات الأخرى فهى تنظيمات تافهة أو بوليسية؛ ولكن هذا الموقف المخالف للواقع أساء إلينا وأضعف إلى حد ما من نفوذنا.

ب - **المنشورات**: قرأنا منشورات مؤسفة للغاية تتحدث عن "الحزب الشيوعى المصرى" كتنظيم بوليسى فى خدمة الإمبريالية" مع أنه لم يفعل سوى تبنى موقف كثير من الأحزاب الشقيقة فى أحداث يوليو؛ هل حققت هذه المنشورات نتيجة إيجابية؟ من البديهي أنها خدمت أساساً قضية المنقسمين بتكرار الإتهامات التى سبق أن رمينا بها فى ظروف مشابهة وإتباع أسلوب السباب، الذى يعبر فى الواقع عن غياب الحجج، بدلاً من النقاش على صعيد الجدل السياسى.

ت - **رفاق غير دائمين**: إضطر الرفاق غير الدائمين، ومعظمهم كوادى قيادية، إلى الإقرار بجهلهم خط الحركة فى هذه المشكلة الهامة عندما سألناهم عنه، مما يثبت أن هذا الخط غير محدد؛ ولكنهم على العكس من هذا، أظهروا إتفاقاً وحماساً لسياسة إيجابية من أجل تحقيق الوحدة مع مناضلى التنظيمات الأخرى؛ وقد أعد هذا التقرير بناء على إقتراحهم.

لصالح من يستمر الإنقسام داخل الحركة الشيوعية المصرية؟

لا يزال تحليلنا لتعدد التنظيمات الشيوعية تحليلاً "سياسياً"، وإليكم تلخيصاً للعرض المذكور عليه، وهو عرض يعكس مواقفنا التقليدية ولا يبنينا بجديد:

- إن إختلاف البيئة والتجارب يؤدى إلى تشكيل تنظيمات شيوعية متعددة؛
- يفضى هذا التعدد إلى صراع شرس يفوقه الإنتهازيون ضد التيار الثورى الذى تمثله الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

لقد أبرز المؤتمر التاسع عشر أهمية الوعى، وهذه صفة تنقصنا بدرجة غريبة! فيم يظهر هذا النقص؟ فى حصرنا أسباب الإنقسام فى الأسباب الذاتية فقط، وذلك لأننا كنا نظن أن الإمبريالية لا تهتم بالحركة الشيوعية المصرية إلا من "الخارج"؛ ولأننا إعتقدنا هذا لم نتبين شيئاً.

ومع هذا، هل كنا بحاجة إلى فكر ثاقب لنذكر أن الإنقسام هو سلاح الإمبريالية المفضل؟ وأنها بعد أن حققت "إنتصارات" فى العديد من الأحزاب، لا يمكن أن تتخذ موقفاً سلبياً من تطور الحركة الشيوعية المصرية، العدو الرئيسى لها فى الشرق الأوسط كله؟ إنها نجحت فى إدخال رجالها فى أحزاب أخرى، وهى مهمة لن تصعب عليها فى مصر بالطبع.

لقد كان عنف الهجمات التي تعرضنا لها والتي تتجاوز حدود سوء النية والغیظ من ناحية الأعداء كفيلاً بتنبئنا إلى أن هذه الهجمات صادرة من أفراد يعون الدور الذى يقومون به، والهدف منه وهو إثارة الفرقة وإن حاولوا خداع أتباعهم.

ما الذى يمكن استنتاجه من حقيقة دور الإمبريالية فى استمرار الإنقسام ؟

سنقوم بإعداد تقرير مستقل عن الوعى والدور الذى يمكن القيام به لكشف عملاء الإمبريالية فى صفوفنا أو داخل الحركة الشيوعية المصرية؛ ولكن يبقى، فيما يتعلق بالوحدة، أن موقف اللامبالاة والتبعية ليس موقفاً إنتهازياً فحسب بل هو موقف يحقق للإمبريالية هدفها.

إن النضال لن يكون سهلاً لأن عملاء الإمبريالية سيبدلون وسعهم لإفشال جهودنا، لكن النصر الذى سنحرزه هو إنتصار على الإمبريالية ممثلة فى هؤلاء العملاء المقنعين لا أولئك الذين يسبوننا علناً.

ما هدف التنظيمات الشيوعية المصرية من النضال من أجل الوحدة ؟

إن النضال من أجل الوحدة يهدف إلى تجميع المناضلين الصادقين "لا أحد ينكر وجود مناضلين صادقين فى كل التنظيمات ممن ينتمون إلى الماركسية – اللينينية – الستالينية" فى حزب واحد وتحت قيادة واحدة؛ ولنقل، على الفور، إن هذا التجمع لن يصفى كل التنظيمات الشيوعية من تلقاء نفسه، بل إن الشيوعيين سينشئون تنظيمات أخرى، ولكن فى الإمكان إجتذاب المناضلين الصادقين بإتباع سياسة صحيحة للوحدة بدلاً من بث الفرقة بين ذوى الاستعداد الطيب، وهو ما يؤدي إليه تعدد التنظيمات.

هكذا نفيد من النشاط الذى تقوم به هذه التنظيمات لإجتذاب الأعضاء حتى تتمكن من النمو، ولكن هذا الوضع لن يدوم طويلاً، فسرعان ما ستتعرف علينا الطبقة العمالية "البروليتاريا" بفضل سياستنا الواضحة من أجل الوحدة والنجاح المبدئى الذى ستحققه بعض العناصر الحاسمة.

هذه محاولة لتحليل المشكلة وإبراز أهميتها، ولننتقل الآن إلى النضال الثانى والأسلوب العملى لقيادته.

علام يرتكز النضال من أجل الوحدة ؟

إن الصراع الأيديولوجى والعملى هو ركيزة هذا النضال:

1 - الصراع الأيديولوجى: إنه يرتكز على الدفاع المستمر عن التحليل المعطى فى الجزء الأول وفيما يلى أفكاره الرئيسية:

أهمية الوحدة: هذا موضوع تدفعنا الإعتبارات السياسية إلى العودة إليه بلا كلل حيث أن شرح هذه المشكلة وإبراز أهميتها سيزيد من قوة موقفنا.

هناك مناضلون قليلون يعارضون الوحدة، ولكننا نستطيع إثارة الحماس لهذا النضال ودعم الوحدة المذهبية للحركة أثناء المعركة التي سندخلها كما أننا سندعم موقف المطالبين بالوحدة والقائمين بتأييدها فى التنظيمات الأخرى.

هكذا نوجه لكمة إلى الأفكار المسبقة الشائعة ضدنا، ونثير تعاطف المناضلين الصادقين الذين سيتحالفون معنا فى النضال؛ وإذا كان موقف معظم القيادات الأخرى من هذه المشكلة سلبياً منذ البداية فإن الفرصة متاحة لكشفهم أمام المناضلين الصادقين.

2 - جذور المشكلة: كنا التيار الوحيد الذى ناضل من أجل الوحدة منذ ميلاد الحركة الشيوعية المصرية بحق فى سنة 1943، لذا نعد وحدنا القادرين على تحليل المشكلة تاريخياً، وهذا التحليل التاريخى مهم لحلها وأيضاً لفهم ميلاد التيار.

مساحة بيضاء بالأصل

تقدر بنحو 300 كلمة

إن وحدة العمل شعار للتنفيذ، والقدرة على وضع خطنا موضع التنفيذ هى جوهر نشاطنا على صعيد النضال من أجل الوحدة؛ أما الخطر فهو يكمن فى الإكتفاء بالنداء بضرورة الوحدة لأن هذا النداء يردده كثير من الإنقساميين حتى لا يكشفوا أنفسهم فى مراحل معينة ولكن العمل المشترك كفيل بإظهار تفانى المناضلين وأمانتهم وكفاءتهم، وهو سيبيرز أيضاً أهمية تجمع القوى وضرورة الوحدة وخطر إتباع سياسة للوحدة دون رغبة صادقة فى تحقيقها.

إن قبول التنظيمات الأخرى وقبول رفاقنا لسياسة الدعوة للوحدة لا يعبر بالضرورة عن رغبة حقيقية فى الوحدة، لذا ينبغى علينا تنمية هذه الرغبة من خلال العمل.

النضال العملى من أجل الوحدة: وهو يتم على مرحلتين:

• أولاًهما: هى مرحلة الإقتراحات.

• والثانية: مرحلة العمل المشترك ذاته.

أولاً: إقتراحات العمل المشترك:

يجب التركيز على هذه الإقتراحات بطريقة ملموسة:

1 - ينبغى تقديم الإقتراحات على جميع المستويات: على مستوى القيادة بالطبع وأيضاً على صعيد الدعاية حيث يجب التنسيق الكامل مع عدم إغفال العمل البسيط مثل تبادل الكتب والنشرات، توحيد برنامج الطبع إلخ.. إن صحافتنا الرسمية مثال للعمل المشترك.. ويلاحظ

أن إنغماس المناضلين فى العمل الفعلى مرتبط بصعيد العمل، فكلما كان الصعيد بسيطاً كلما زاد إقتناعهم بأهمية التعاون الوثيق وضرورة الوحدة الكاملة.

بالنسبة للعمل الديمقراطى على مستوى الجماهير نقترح العمل المشترك فى جميع المجالات: حركة السلام، نقابات العمال، الطلبة، المرأة إلخ؛ لذا ينبغى تقديم الإقتراحات فى كل مكان، فى المصانع والنقابات والجامعات.. بشرط ألا يكون هناك "تطرف وطنى" ولا مناطق "محرمة"، ولا "إحتكارات"، ولناخذ مثلاً مجال الإتصال بالتنظيمات الديمقراطية الدولية؛ إن الحصول على "مقاعد" ليس هدفنا فنحن نفتخر بإشراك المناضلين فى عمل كفيل بتحقيق فائدة كبرى للطبقة العمالية المصرية، وهذه التنظيمات تعرف أننا الوحيدون الذين نتصل بهم، وسيضاعف من تقديرها لنا إجتذاب المناضلين من التنظيمات الأخرى على أساس العمل، كما أنها ستدين بشدة أية محاولة من جانب هذه التنظيمات لمحاربتنا.

هكذا يتضح - فعلاً لا قولاً - استعدادنا لبذل التضحيات فى سبيل الوحدة، ولا داعى للخوف من إزدياد قوة التنظيمات الإنتهازية ومن إعطائها وسائل أخرى للإساءة إلينا لأن هذا النضال كغيره ينطوى على مجازفات والجرأة فى العمل مطلوبة، وهى إحدى خصائص الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

2 - ينبغى تحديد أطول مهلة ممكنة لتنفيذ الإقتراحات بحيث نترك للآخرين حرية إختصارها ونحن، على كل حال، لن نرفض العمل بحجة قصر الوقت المحدد له.

3 - ينبغى عرض هذه الإقتراحات بحيث تبرز إمكان وأهمية العمل المشترك: وتعارض رفضه، - رغم الأفكار المسبقة الشائعة عنا- مع مصالح الطبقة العمالية والشعب.

4 - وأخيراً ينبغى أن يعرف بهذه الإقتراحات جميع الشيوعيين والمعنيين بالأمر: العمال بالمصنع والنقابة، وفى بعض الأحيان الشعب كله والطبقة العمالية بأكملها، لأن علينا كطليعة عمالية إثارة إهتمام هذه الطبقة بمشاكل طليعتها حتى تحس بها كمشاكل تمسها مباشرة، ولأننا نعتمد أساساً على الضغط العمالى والشعبى لتحقيق الوحدة، وتعد هذه فرصة جديدة لنا لإثبات أن الحزب لا يحل مشاكله من "الداخل" فقط.

ثانياً: العمل المشترك والسلوك:

إن أشكال العمل المشترك والسلطات التى ينبغى العمل على تأسيسها لا يدخلان فى نطاق هذا التقرير لأن حلول هذه المشاكل موجودة فى المبادئ العامة والتجربة معاً؛ فلننتقل إذن إلى السلوك أثناء العمل المشترك ونكتفى بالقول إن الإعتبارات السابقة، رغم أهميتها، ليست سوى مقدمات للعمل المشترك الذى يعد الإنتصار رهيناً به، علينا إذن الحصول على ثقة المناضلين الصادقين من خلال مواقف وسلوك يتفقان، بقدر الإمكان، مع الشيوعية، وينبغى قبل كل شيء، التركيز على خط الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى العمل بأمانة.

إن المؤامرات والمناورات غريبة علينا، وإحترام الإلتزامات جزء من أمانة العمل المشترك، لذا لن نرد بالمثل على الوسائل غير الأمينة المستخدمة ضدنا لكننا سنعمل على كشف المذنبين أمام الجميع.

أسس الوحدة:

إن الغرض من هذا التقرير ليس حل مشكلة الوحدة بين الشيوعيين المصريين بقدر ما هو طرح المشكلة وإبراز أهميتها؛ ورغم أن أسس الوحدة بعيدة عن موضوعنا فإننى أتحدث عنها بغرض التركيز على خطورة وضع شروط غير مقبولة فى طريقها، وأعنى بصفة خاصة الشرط الذى يطالب بحل التنظيمات الأخرى وإنضمام أعضائها إلى الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى؛ ما الدافع لهذا الطلب؟ يقول الزملاء الذين يؤيدونه إنهم يقصدون المحافظة على طهارة التنظيم وتاريخه المجيد، لكن هذا الشرط رغم ظاهره البرئ يضعف من شأن تنظيمنا لأنه يدل فى الواقع على "خوفنا من الوحدة"، وخوفنا من عدم محافظة الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى على أثمن ما تملك وهو وحدتها، كما يعنى عدم الثقة فى التيار الثورى بالحركة وفى قدرته على قيادة جميع المناضلين الثوريين؛ ولندكر هنا الدروس المستفادة من تجربة الوحدة مع إسكرا: عند إنشائنا للحركة الديمقراطية للتححر الوطنى بالإتحاد مع إسكرا، لم نطلب منها أن تحل نفسها لأن هذا الطلب من جانبنا يعنى رفض الوحدة؛ فهل "استوعبنا" التنظيم الجديد؟ هل تنكرنا للماضى المجيد للحركة المصرية للتححر الوطنى؟ إن العكس هو الصحيح إذ شعرنا جميعاً أن الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى التى أضافت إلينا عناصر ثورية جديدة هى إمتداد للحركة المصرية للتححر الوطنى؛ لقد كنا ندرك كل هذا قبل الوحدة، لهذا لم "نخشاها" بينما كانت قيادة إسكرا هى التى تخافها دائماً الضجر، كما روى لنا رشيد، من إقتراحات الحركة المصرية الجريئة.

إننا نرى الموقف الثورى الحقيقى الذى ينبغى للحركة الديمقراطية للتححر الوطنى أن تتخذه يرتكز على قيادة النضال من أجل الوحدة إلى نهايته أى حتى النصر؛ لهذا تعد الشروط المستحيلة للوحدة مرفوضة إذ أن هذه المطالب التى من شأنها أن تعرقل الوحدة أو تؤخرها تحقق أهداف الإنقساميين وتؤدى إلى استمرار الإنقسام فى الحركة الشيوعية المصرية.

المهادنة:

قبل أن أنتهى، أود أن أذكر الخطر المسمى "بالمهادنة" وهى لا تشكل خطراً رئيسياً ولكن ستالين علمنا أن الخطر الرئيسى هو الخطر الذى لا نقاومه أو الذى نكف عن مقاومته، ومن المؤكد أن إتجاهاً للمهادنة سيظهر أثناء النضال من أجل الوحدة.

إن "المهادنين" هم أولئك الذين يتذرعون بالوحدة للإتحاد مع الإنتهازيين الحقيقيين على غير أسس، وتعد محاولة سالم لقيادة الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى فى "نحشم" (نحو حزب شيوعى مصرى) للمهادنة لقد كان إتحاداً بلا مبادئ نجح خليل فى معارضته كما قمنا بإدانته بشدة من المعتقل.

إن كثيراً من الزملاء، يظنون خطأ أن الوحدة مع إسكرا هى وحدة بلا أساس، ولكن لم يكن هناك فى الواقع خلاف أساسى بين التنظيمين، لأن خلافتنا على الخطة لم يظهر إلا فيما بعد، أما الخلاف على المبدأ فقد طلبنا تسويته على أساس الإعتراف بالمبدأ الصحيح؛ أما الشاكون فهم أولئك الذين يخافون الصراع الداخلى والذين أرادوا أن يوفر عليهم الإتفاق المسبق مشقة

الصراع؛ ولكن هذا حلم مناقض للروح الثورية التي تتغلب على الصعوبات أينما تجدها ولا تهرب من مواجهتها بالدعوات الصالحات.

خاتمة

أيها الرفاق إن النضال من أجل وحدة التنظيمات الشيوعية، ومن أجل تجميع الشيوعيين الصادقين ليس بالمهمة السهلة؛ إنه على العكس؛ مهمة قاسية ومنفرة لكن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى تزن المهام بأهمية مضمونها الثورى لا بما تثيره من بهجة أو كدر، وبقدر صعوبتها تزيد حميتنا.

أمام التنظيمات الأخرى، أمام كل المناضلين الصادقين، أمام الطبقة العمالية بأسرها، ينبغى أن نفوز بلقب "حماة الوحدة" المجيدة.

أيها الرفاق، إن وضع وقيادة سياسة للوحدة هو، قبل النظر إلى نتائج النضال نفسه، إضعاف للإنقسام كما أنه لطمة شديدة موجهة إلى عملاء الإمبريالية والرجعية الذين يريدون إبعاد المناضلين الأمانء عن النضال الثورى وهو دعم لوحدة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بالداخل ودعم للحركة فى نفوس مناضليها الصادقين، وفى تقدير الطبقة العمالية والحركة العمالية والديمقراطية الدولية، وهذا نصر كبير.

لذا نقترح:

أ. أن تحدد اللجنة المركزية خطأً لمواجهة مشكلة وحدة التنظيمات الشيوعية.

ب. تكليف المكتب السياسى بتطبيق هذا الخط بإعتباره مهمة أساسية له.

تحيا وحدة الشيوعيين المصريين الصادقين !

تحيا الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى نصيرة للوحدة !

إلى اللجنة المركزية بالحركة الديمقراطية للتححر الوطنى خطاب بتاريخ 25 مايو سنة 1953 حول مشاكل الحركة الداخلية

الرفاق الأعزاء:

فى البداية كتبت لكم مطولاً عن مواضيع عديدة، وبعد تفكير سأكتفى فى هذا الخطاب بتناول موجز وسريع لموضوع واحد يبدو لى حاسماً فى هذا الوقت.

ستشهد ليلى إلى أية درجة تنقصنا المعلومات عن الوضع داخل الحركة، لذا أرجو أن تستخلصوا "جوهر" هذا التقرير دون أن تعلقوا أهمية على الأخطاء الحتمية الموجودة به.

أيها الرفاق، لقد تلقيت خطاباً من الرفيق حميدو، وهو يطلب منى، بصفة عاجلة، إرسال رأى إلى اللجنة المركزية حول المسألتين موضوع النزاع: الجبهة الوطنية، والمجلة الجديدة؛ ولا أخفى عليكم القلق الشديد الذى سببه لى هذا الخطاب وكذا بعض الدلائل الأخرى؛ إن اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية للتححر الوطنى التى لم تستشر يونس طوال غياب دام عامين ونصفاً تطلب رأيه فى نقطة هامة هى الجبهة الوطنية؛ وأيضاً فى نقطة ثانوية نسبياً هى إصدار مجلة شهرية بصفة رسمية !

لهذه الواقعة مدلول محدد وواضح، خاصة أن المطلوب ليس تقريراً يمكن تقديمه عن تجربة الحركة والتجربة الدولية فى هذه المسائل، بل إن المطلوب هو رأى: هل يصح هذا أو لا يصح؟ إن هذا الطلب يعنى شيئاً واحداً هو أن الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى تمر بأزمة خطيرة مرجعها ليس الهجوم الإمبريالى والرجعى، لكنه الإنشقاق الداخلى ووجود معسكرين على الأقل بالحركة، وهو يعنى أن أحد أشكال الصراع هو الخلاف فى مسألتين بالتحديد، وهذا أمر لا يحتاج إدراكه إلى مقدرة خاصة فى كشف الغيب.

ليس الموضوع إذن مجرد إبداء رأى فى محاولة لدراسة مسألة ما بعمق، ولا تكمن المشكلة فى الموقف من هذه المسائل بل إنها كامنة فى الصراع بين المعسكرين؛ وفى هذا الجو من الصراع الداخلى الذى أعرفه جيداً للأسف، لن يقنع رأىي أحداً ! إنه سيؤدى فقط إلى زيادة الصراع لأن أحد المعسكرين سيستخدمه كسلاح ضد الآخر.

لهذا لا يمكننى الرد على اللجنة المركزية كما طلب حميدو، لكننى أعد بتقرير عن أحد أهدافنا الأساسية وهو تجميع القوى الوطنية والديمقراطية فى مصر، وبتقرير آخر لا يقل أهمية عن سابقه عن عمل المثقفين بما أن هذه المسائل مطروحة.

وأنا كعضو مخلص ووفى بالحركة الديمقراطية للتححر الوطنى منذ ميلادها بإسم الحركة المصرية للتححر الوطنى فى سنة 1943 أود فى هذا الخطاب، أن أقول رأىي فى مشكلة الإنشقاق بالحركة، وإننى أسف لأن أحداً لم يعطنى عناصرها ولم يستشرنى فيها رغم أننى إكتسبت خبرة معينة فى هذا الموضوع، كما أننى واثق من إمكان مشاركتى فى حلها ولو كنت موجوداً، على كل حال سأبذل قصارى جهدى من هنا، ولا أود لهذا السبب الخلط بين هذه المشكلة ومسألتى الجبهة والمجلة؛ ومن جهة أخرى فإن هذه المشاكل لا يمكن حلها إلا فى إطار عودة الوحدة، إذا كان الهدف هو التوصل إلى حلول ملموسة لا حلول عامة أو

أيدولوجية؛ ولا أود أن يظن بعض الزملاء أنني خائف من التورط فأنا لم أخف يوماً من "إتخاذ موقف"، وإن كنت أعتقد أن الوقت لم يحن بعد، لحسن الحظ، "لتحديد المواقف"، وإن من الواجب المحاولة للإرتفاع بالنقاش إلى مستواه الحقيقي، لا الاستمرار فيه على المستوى الذى ينعكس فيه مؤقتاً؛ إن أحد العناصر التى تيسر لى إتمام هذه المهمة هو أنني لم أشترك فى الصراع الداخلى القائم، مما أتاح لى الإحتفاظ بموضوعيتى كاملة.

أين هى الخطورة ؟ بدهاة ليست فى إختلاف الآراء: إن القيادة قيادتنا وجميع القيادات الحقيقية – تستمد قوتها من الفروق الناتجة عن نشأة وتجارب أعضائها؛ هذه الفروق الطبيعية بل والضرورية هى مصدر كبير للقوة لأنها تتيح للقيادة قدراً عظيماً من الخبرة؛ قد يذكر بعض الزملاء مرور قائد أحد الأحزاب الشقيقة بمصر فى سنة 1946 وإعجابه الخاص بتكوين قيادة الحركة المصرية للتححر الوطنى التى تمثل جميع الطبقات الإجتماعية والوطنية، وعدم رضاه عن إدارة إسكرا، هذه "الشلة" الحقيقية التى تعكس أوساطاً وتجارب متماثلة.

لكن تنوع التجربة قد يصبح مصدر ضعف إذا تحول إلى خصومة، ويقول ستالين مشيراً إلى هذه النقطة فى عمله الأخير "المشاكل الإقتصادية فى الإشتراكية" وهو على الأرجح أكثر أعماله نبوغاً: "لا يمكن لهذه التناقضات (المقصود هنا التناقضات بين القوى الإنتاجية ونسب الإنتاج فى النظام الإشتراكى) أن تتحول إلى خصومة إذا طبقت الهيئات الحاكمة سياسة صحيحة..؛ وتنتج عن هذا التحول دورة شيطانية ذات طابع شخصى داخل القيادة التى تنقسم إلى "أغلبية" و"أقلية"؛ ثم تنتقل هذه الدورة إلى الحركة كلها، وعندئذ تفقد المعسكرات موضوعيتها فتتظر إلى كل المشاكل من خلال الصراع الداخلى ويعتبر كل من المعسكرين المبادرة الصادرة من المعسكر الآخر ضارة به لأنه لا يرى إلا جوانبها السلبية؛ هكذا يغيب النقد الذاتى ويظن الذين وقعوا فى الخطأ أن الإعتراف به يزيد من قوة المعسكر الآخر أى المعسكر "الإنتهازى" لأن كلا من المعسكرين "إنتهازى" فى رأى الآخر؛ ونكتشف فجأة، فى ظل هذا الوضع، أن الزملاء الذين يساندوننا يتمتعون بكل الفضائل رغم أننا قبل ذلك لم نجدهم ثوريين إلى هذه الدرجة، أما الآخرون فتظهر لنا فجأة عيوبهم أخطر مما كانت تبدو؛ وهكذا يتم إختيار المسئولين على أساس إنتمائهم لهذا المعسكر أو ذاك لا على أساس الكفاءة، ويبلغ الأمر منتهاه حين نتمنى أو نفرح لفشل مبادرة لأن المعارضين هم الذين إتخذوها وتوقف بالتدرج عن جميع الأنشطة حين ندرك أن إنفصلاً تنظيمياً سيتيح لنا عملاً أفضل.

أين نحن ؟ إننى أجهل ذلك تماماً، ولكن إذا كانت الأزمة لا تزال فى بدايتها فإنها ستنتهى، لو تفاقمت، بتحقيق أكبر نصر للإمبريالية والرجعية فى الشرق الأوسط وهو إنشقاق الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى الذى تتوقف عليه إنتصارات أخرى.

لا أقول إن الصراع الداخلى الضارى ليس ضرورياً وأن "مقاومة الإنتهازية" ليست مهمة أساسية، ولا أعنى أن وجهات النظر تتساوى من الناحية الثورية ولكننى أعتقد أنها فى جوهرها قائمة على تحليلات جزئية أى غير كاملة، وأن الحقيقة، فى هذه المرحلة، ليست فى

صف هؤلاء ولا هؤلاء، لكنها تكمن فى وحدة عليا تتحقق بالتوفيق بين الجوانب الإيجابية فى كل من وجهتى النظر.

فى سنة 1947، كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى تصدر جريدة "الكفاح" السرية وإسكرا جريدة "الجماهير" الرسمية؛ لقد كانت الحركة المصرية، إلى حد ما، أكثر ثورية ولكن هل يمكن إنكار أن الحل لم يكن فى إدانة أى من الإثنين وإنما فى إصدارهما معاً؟ إذا ألقى هذا السؤال: هل ينبغى تكوين مجالس بالمصانع أو نقابات؟ قد يكون الرد أن مجلس المصنع "أكثر ثورية" من النقابة، لكن من ينكر أن السبيل الحقيقى هو تجميع القوى العمالية فى كل الأشكال الممكنة سواء مجلس مصنع أو نقابة لأنهما شكلان متكاملان لا متضادان.

إن هذه الأمثلة قد لا تكون ممتازة، لكننى بعيد جداً عن المشاكل اليومية، ولا أستطيع إعطاء أمثلة أفضل، وأعتقد، على كل حال، أن بإمكانكم تطبيقها على العديد من المشاكل حيث أن الوحدة العليا هى الحلقة الحاسمة فى جميع المشاكل. وفى خطابه بالمؤتمر السابع للدولية الشيوعية الذى يضع خطة (تكتيك) الجبهة المعادية للفاشية، يركز ديمتروف Dimitroff على أن "القوة الحاسمة فى إنشاء الجبهة هى الوحدة البلشفية للحزب".

ماذا ينبغى عمله للإهداء إلى هذه الوحدة التى "يجب علينا صيانتها كأعز ما نملك"؟ (ستالين فى "عهد لينين") سأقتصر على عموميات:

أ. أن الإدراك الواضح لمشكلة الوحدة، وأهميتها الحيوية باعتبارها المشكلة الحقيقية، ضرورى لحل المشاكل الناتجة عنها.

ب. ينبغى أن يقودنا هذا الإدراك إلى العودة بالخصومة إلى مستوى الخلاف.

ت. حل هذه الخلافات بالعمل على تطوير خط يجمع الجوانب الإيجابية فى كل من الموقفين لا بالإختيار بينهما.

ث. هناك نقطة عملية واحدة خاصة بتكوين القيادة التى لا يمكن إعادتها إلى حالها على أساس من الإجماع أثناء الصراع الداخلى رغم ضعفها الناتج عن الإعتقالات فى فترات القمع؛ وفى إنتظار ذلك اليوم أقترح أن يكون للرفاق المعتقلين والمنفيين من أعضاء القيادة صوت إستشارى فى المسائل السياسية (ويوم تصلون إلى هذا ستختفى جميع الخصومات).

أيها الرفاق ها هى رسالتى: "إن الإتحاد واجب ينبغى معرفة السبيل إليه"، ومهمة الشيوعيين المصريين، طليعة الطبقة العمالية، وكذا مهمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، هى توحيد هذه الطبقة وتجميع الأمة كلها حولها.

هل من الممكن أن يقوموا بها إذا لم يتحد بدر وحميدو مثلاً أو إذا لم يعرفا كيف يتحدان؟ وإذا انفصلا ألن ينتج عن هذا أن تكون المهمة الأولى هى تجميع هؤلاء المناضلين؟

إن من أكبر مفاخرنا نحن الأعضاء المنفيين بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى المجيدة
هى وجود عمال طليعيين بارزين بالقيادة مثل بدر وحميدو اللذين لا نكف عن رواية
إنتصاراتهما؛ هل سيضعاننا أمام الإختيار الأليم بينهما؟

تحيا الوحدة الثورية لقيادة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى !

يحيا القادة العمال بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى !

يحيا الإتحاد الثورى بين بدر وحميدو !

قرار مجموعة الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى بروما عقب إنشاء الحزب الشيوعى المصرى الموحد P.C.E.U

إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد

يونيو سنة 1955

الزملاء الأعزاء:

أطلعنا على خطاب اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد إلى اللجنة المركزية للحركة السودانية للتححر الوطنى M.S.L.N وهو الخطاب الذى تخبرها فيه بتأليف الحزب من سبعة تنظيمات شيوعية متحدة.

ونحن إذ نحى هذه الخطوة للأمام التى قام بها الشيوعيون المصريون على طريق توحيد الصفوف، نؤكد صلابة إنتمائنا إلى الحزب الشيوعى المصرى الموحد، ونؤيد اللجنة المركزية تماماً فى موقفها الذى يؤكد أن إتحاد الشيوعيين المصريين لا يعد أمراً مفروغاً منه، وأن النضال من أجل الوحدة لن يتوقف مع التنظيمات المصرية خارج الحزب، كما نطالبها بقيادة نضال مواز لدعم وحدة الحزب الداخلية على الصعيد الأيديولوجى والتنظيمى معاً، وذلك على أساس مبادئ الماركسية – اللينينية.

إن مجموعتنا من جانبها، قد طبقت شروط الوحدة رغم عدم إقرارها لبعض هذه الشروط (سنرسل لكم تقريراً بهذا الشأن)، وهى تتعهد، مدفوعة برغبة حقيقية فى الوحدة، بالإتصال بأعضاء التنظيمات المنضمة للحزب من الشيوعيين المصريين بالخارج حتى تصبح الوحدة واقعاً حياً، ونحن نطلب مساعدة اللجنة المركزية فى هذا الأمر، وذلك بالإتصال بهؤلاء الأعضاء وتوصيتهم بتطبيق قرار الوحدة.

كما تطلب مجموعتنا من اللجنة المركزية إبلاغها بالأسس التى يقوم عليها الحزب حتى تدور حولها مناقشة واسعة، وحتى يتم الإنضمام للحزب على أساس معطيات أيديولوجية وسياسية ملموسة ومحددة، وحتى نكون مسلحين سياسياً وأيديولوجياً للنضال المستمر وفقاً للخطة التى وضعته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد.

إن مجموعتنا تتعهد بالاستمرار فى النضال بصلابة تحت لواء الحزب الشيوعى المصرى الموحد من أجل استقلال مصر، وإنتصار الحريات، والسلام العالمى، وتحسين الظروف المعيشية لشعبنا وإقامة الإشتراكية فى بلدنا.

يحيا الحزب الشيوعى المصرى الموحد.

وإلى الأمام من أجل وحدة شاملة، ومن أجل إنشاء حزب شيوعى مصرى حقيقى.

مجموعة الحزب الشيوعى المصرى الموحد بروما.

الخط العام لعمل المجموعة القديمة للحزب الشيوعى المصرى بالخارج (1957)

إن هذه المذكرة لا تهدف إلى سرد النشاط الضخم لهذه المجموعة التى تكونت منذ سبع سنوات مضت، فبوسع الزملاء الموجودين حالياً بمصر من أعضائها إعطاؤكم فكرة عنه.

لقد تكونت المجموعة من الزملاء الذين ناضلوا داخل الحركة الشيوعية المصرية والذين يقيمون الآن بالخارج، سواء كان ذلك بإرادتهم أو رغماً عنهم، وسواء كانوا مستعدين أو غير مستعدين للعودة إلى مصر؛ بالنسبة لأولئك الذين لا ينوون العودة. فإن الحجة التى نحملهم بها على النضال فى صفوفنا هى أن العمل الثورى الفعال الذى يمكنهم حقاً القيام به هو العمل الموجه إلى مصر من خلال المجموعة.

إن المجموعة مؤلفة أساساً من رفاق لا يستطيعون حالياً العودة إلى مصر فقد عاد كل من أمكنه العودة، وكانت عودة البعض تتم فى ظروف خطيرة.

إن تكوين المجموعة هذا، وهو أحد الأسس التى يقوم عليها النقد الموجه إلينا، مدعاة فخر لها ولمجموع الحزب فهو يبرز أن من تتاح له العودة يعود ليشارك فى النضال المباشر بمصر، وهو يثبت أيضاً أن "الرفاق الأجانب واليهود" على العكس من بعض الإفتراءات، مخلصون للحركة الشيوعية المصرية ولمصر.

إن محور عملنا هو تقديم يد العون لمصر وللحركة الشيوعية المصرية؟ وفيما يلى عرض ملخص جداً، وقد يكون غير كاف، لهذا العمل الموجه أساساً:

أولاً: إلى مصر:

1. عون مباشر للحزب:

أ. المشاركة فى الحياة السياسية للحزب: تبادل الرسائل، الدراسات السياسية، وغير ذلك من المساهمات.

ب. المشاركة فى الدعاية للحزب: وذلك بمحاولة نقل بعض جوانب تجربة الحركة العمالية (البروليتارية) الدولية، وإعداد المحاضرات والدراسات عن المشاكل المختلفة، والوثائق، وترجمة الكتب والمقالات، وإرسال بعض المواد التى تهتم الحزب عن الحركة الدولية وقد قدمنا فى هذا المجال إقتراحاً بإعداد مدرسة للكوادر التى يرسلها الحزب.

ت. على الصعيد التنظيمى: عون مالى: إشتراك، إكتتاب، هبات إلخ.. ومن ناحية أخرى الدراسة والعمل الذى يكفل وصول هذا العون بجميع أشكاله.

2. المشاركة فى النشاط الديمقراطى بمصر:

أ. إرسال معلومات عن مختلف الحركات الديمقراطية الدولية: مجلات، مقالات، وثائق عن الإعداد للمؤتمرات، إلى الهيئات أو المتخصصين في المشاكل الديمقراطية بمصر.

ب. المساهمة في الإعداد لمشاركة مصر في المؤتمرات الدولية: وذلك بإبلاغها بتاريخ إنعقاد المؤتمرات، وخطها السياسى وبرنامجها، مع نقل شكل العمل في مختلف البلاد، إذا تطلب الأمر، كمثال للديمقراطيين المصريين، والمساهمة المالية لمساعدة المبعوثين المصريين في الوصول إلى المؤتمر، وتقديم مصر ببعض المؤتمرات في حالة عدم وجود مبعوثين مصريين.

ت. حملة للتضامن مع المعتقلين الشيوعيين.

ثانياً: إلى الخارج:

1. إرسال المعلومات إلى الحركة العمالية والأحزاب الشقيقة والحركة الديمقراطية عن الوضع في مصر وذلك لتحقيق الإتصال بينها وبين الحركة الديمقراطية المصرية والحركة الشيوعية المصرية، ومساعدتها في عملها المؤيد لهما، وهذا عن طريق نشرة "أخبار مصرية" القائمة على المواد التي تصلنا من مصر نفسها، وكذلك إعداد الدراسات والمذكرات عن مختلف المشاكل المصرية وإعداد المقالات المخصصة للصحافة الديمقراطية العالمية.

2. حملة سياسية لمساندة الحركة الوطنية المصرية والحركة الديمقراطية المصرية على حد سواء في المشاكل الملموسة تبعاً لإحتياجات مصر والظروف السياسية الدولية: الحملة التي قمنا بها بمناسبة تأميم قناة السويس والعدوان الإمبريالى على مصر، وقد ظهرت هذه الحملة في شكل مذكرات ومنشورات ومقالات، وجمع توقيعات للشخصيات العالمية على عرائض مؤيدة للقضية الوطنية أو الديمقراطية حسب المشكلة المثارة.

قيادة مجموعة روما للحزب الشيوعى المصرى الموحد

12 يناير سنة 1958

خطاب إلى المكتب السياسى

زملاؤنا الأعزاء، تحية الزمالة وبعد – لقد علمنا بدهشة شديدة أنكم تناقشون إمكانية حل مجموعة الحزب فى الخارج. وإن موضوع دهشتنا ليس المناقشة فى حد ذاتها بل أن تستمر المناقشة بدون طلب رأينا بالرغم من أن هذه المسألة تخصنا وتهمنا مباشرة – إن طريقة المعاملة هذه لا شك معيبة، وقد نبذتها الحركة العمالية منذ زمن بعيد ومن الواجب على حزبنا أن يحاول هو أيضاً عدم الإلتجاء إليها. وبجانب ذلك أنكم تناقشون مسألة تعرفونها معرفة ناقصة إلى حد كبير وكثرت حولها الشائعات والأخبار الخاطئة والكاذبة. وعليه فإن كل موقف تتخذونه لا يمكن أن يكون مؤسساً على معرفة الأحوال الموضوعية الحقيقية.

هل يجب على الأشخاص الذين سبق أن كافحوا فى صفوف الحركة الشيوعية المصرية والذين يوجدون حالياً فى الخارج. هل يجب عليهم أن يستمروا فى الكفاح المصرى داخل مجموعة تابعة للحزب الشيوعى المصرى، أو يجب عليهم أن يحاولوا الإندماج فى أحزاب البلاد التى يعيشون فيها ؟ هذه هى فى نهاية الأمر المسألة الموضوعية للبحث. فهل يوجد حل لمثل هذه المشكلة ؟

لم يكن يوجد قبل الحرب العالمية الثانية بشكل عام إلا حل واحد وفى ذلك الوقت كانت تطبق بكل دقة قاعدة الإقليمية، ومعناها أنه كان على كل شيوعى مهما كانت بلاده الأصلية أن يضع نشاطه تحت قيادة الحزب الشيوعى فى بلد إقامته ولكن بعد الحرب العالمية الثانية إبتعدت الأحزاب كلية عن هذه القاعدة القديمة ولم تعد تتبع قاعدة واحدة جامدة فى كل الظروف، فإنها بشكل عام تتصرف الآن تبعاً للظروف الموضوعية.

إن هذه الظروف الموضوعية تتضمن ظروف بلاد الإقامة الفعلية كما أنها تتضمن أيضاً ظروف البلاد الأصلية ومن ذلك مثلاً فى فرنسا ينضم بعض الشيوعيين الذين من أصل أجنبى إلى الحزب الشيوعى الفرنسى – ومنهم الإيطاليون – بينما لا يستطيع شيوعيون آخرون الإندماج إلى الحزب الفرنسى، كالأمريكيين. وبجانب ذلك يفرق عادة بين العمال والمهاجرين الذين يقيمون فى فرنسا للعمل فيها والذين يسهل عليهم الإندماج، وبين المهاجرين السياسيين الذين لهم عادة مركز خاص. هذا فيما يختص ببلاد الإقامة الفعلية.

أما فيما يختص بظروف أحزاب البلاد الأصلية فإنه يوضع السؤال الآتى: هل هذه الأحزاب فى حاجة إلى نشاط خارجى ؟ وإذا كان الرد بالإيجاب ينظم المكافحون بشكل يضمن الإتصال بينهم وبين حزب بلادهم الأصلية – ومثل ذلك الشيوعيون الأسبانيون – ومن الممكن أيضاً تبعاً للظروف الوصول إلى حل عكسى تماماً.

وأخيراً قد تكون الظروف الموضوعية هى ظروف المكافحين أنفسهم. قد يستطيع بعضهم الإندماج بسرعة وبشكل كامل فى البلاد التى يقيمون فيها، بينما يظل البعض الآخر مرتبطاً ببلاده الأصلية وبجانب ذلك قد توجد إمكانات للكفاح فى بلاد الإقامة كما قد توجد ظروف خاصة بأحوال الأجانب والذين لا جنسية لهم فى بلاد يشتد فيها الإرهاب البوليسى بحيث تتعدم بالنسبة لهم إمكانات الكفاح فى صفوف حزب قانونى إلخ.. ومعنى ذلك كله أنه فى هذه

الحالة أيضاً لا توجد قاعدة واحدة جامدة واجبة التطبيق فى جميع الأحوال بل إن كل قرار يتخذ يجب أن يكون مبنياً على تحليل دقيق للظروف الموضوعية.

لقد تكونت مجموعة الشيوعيين المصريين فى الخارج على أساس أن وجود مثل هذه المجموعة يسمح بمساعدة الكفاح الذى يقوم به الشيوعيون داخل مصر نفسها وبجانب ذلك فإن إيجاد مثل هذه المجموعة يسمح باستعمال نشاط هؤلاء الزملاء الذين سبق لهم أن كفحوا فى مصر بشكل فعال أكثر مما إذا كانوا قد كفحوا فى صفوف أحزاب بلاد إقامتهم وكان الحزب الشيوعى الفرنسى قد أيد بدون تحفظ هذا الموقف وكان قد أيد قبل أن ينفصل عنه عدد من أعضائه -حتى الفرنسيين منهم الذين سبق لهم أن كفحوا فى مصر وكانوا منتيمين إليه- وسمح لهم بالنشاط داخل ما كان فى ذلك الوقت "مجموعة حدثو فى الخارج" ثم أصبحت تابعة للحزب الشيوعى الموحد ثم للحزب الشيوعى المصرى المتحد.

وقد وضعت خطة عمل هذه المجموعة بشكل مفصل منذ سنة 1951 وتم ذلك بالإشتراك مع الزملاء عزيز وسعيد وملخص هذه الخطة هو "مساعدة مصر". وإنما بعد كفاح مستمر بدون توقف منذ 1949 لعدد منا ومنذ سنة 1950 و1951. لأغلبية مجموعتنا، مقتنعون تمام الإقتناع أن هذه المساعدة كانت قيمة ولكن حتى إذا لم تكن هذه المساعدة إلا مساعدة بسيطة جداً، فإننا لا نستطيع أن نفهم لماذا قد يتخذ قرار بحرمان الحزب منها، أى حرمان - إلى درجة بسيطة للغاية- الطبقة العاملة ومصر منها، وعلى كل فإنه من الواجب ألا يتخذ قرار، مهما كان إتجاه هذا القرار، إلا على أساس دراسة موضوعية لنشاط المجموعة وإمكاناتها الكفاحية.

وإننا لا يمكن أن نقبل بأى شكل من الأشكال الإتهام الذى يبدو أنه موجه إلينا بأننا نحاول "قيادة" الحزب من الخارج ولا يمكن أن يوجه مثل هذا الإتهام إلا أشخاص ينعدم فيهم الشعور بالمسئولية وإنكم لتعلمون أحسن من أى شخص آخر، أننا حتى لو كنا نرغب فى ذلك، وهذا غير صحيح قطعاً، فإنه لا يوجد لدينا أدنى إمكانية للقيام فعلاً بهذه القيادة. إنكم تعلمون أحسن من أى شخص آخر، أن المكتب السياسى واللجنة المركزية وسائر هيئات الحزب القيادية تجتمع وتتخذ قراراتها بدون أن تعبر مجموعة الحزب فى الخارج عن رأيها فى المسائل المعروضة للبحث.

وعليه فإننا لا نرى كيف يمكن قبول مثل هذا الإتهام بل ولا نفهم أن يقدم مثل هذا الإتهام بدون تأييده بحجج معقولة وبوقائع ثابتة.

إن مجموعتنا التى تكونت فى سنة 1950 كمجموعة حدثو فى الخارج كانت تتمتع فى بداية تكوينها بثقة المنظمة التى كانت تنتمى إليها، ولذلك كانت مجموعتنا فى ذلك الوقت فى مركز يسمح لها باتخاذ مواقف سياسية، وكانت تعلم أن هذه المواقف سوف تصدق عليها قيادة حدثو، وكان مسئول المجموعة عضواً فى قيادة حدثو، ولكن عندما تطورت هذه الحال وتغيرت غطت مجموعتنا بحكمة كبيرة ومتزايدة، ومن ذلك مثلاً أن النشرة التى كنا نقوم بتحريرها فى سنة 1951 بإسم الحزب قد توقفنا عن إصدارها فى سنة 1954 ولم نقوم بإصدار نشرة فى 1956 - 1957 (أى منذ تكوين الحزب الشيوعى المصرى الموحد) إلا لتوزيع ترجمة مطبوعات الحزب وطبقاً للمعلومات التى كانت قد وصلتنا بذلك المعنى.

وعلينا أن نذكر بوجه خاص مواقفنا الخاصة بالكفاح من أجل سلام عادل بين إسرائيل والدول العربية. ويبدو أن هذه المواقف موضع إتهام موجه إلينا أيضاً. وأنا مقتنعون بأن مواقفنا متفقة تماماً، ليس فقط مع مواقف الحزب الشيوعي الإسرائيلي الشجاع، ولكن أيضاً مع مواقف كل الحركة العمالية الدولية وبوجه خاص مع مواقف الإتحاد السوفيتي. وبجانب ذلك فإن جميع الزملاء، المصريين والسودانيين، الذين مروا من عندنا والذين استطعنا أن نناقش هذه المسألة معهم، قد أكدوا لنا أن هذه المواقف سليمة، وإننا نعلم تمام العلم أن هذه المواقف ستصبح، إن عاجلاً أو آجلاً، مواقف الحزب كله في مصر. ومع ذلك فإننا نستطيع أن نؤكد لكم أننا لم نقدم أبداً هذه المواقف بإسم الحزب وإننا لنتحدى أى شخص بأن يثبت عكس ذلك وإننا قد إحتفظنا عندنا بمجموعة كاملة لكل نشراتنا وعندنا كذلك سجلات كاملة (أرشيف) عن كل نشاطنا ومن السهل الرجوع إليها والتحقق في هذا الموضوع وفي غيره. ونحن أثرنا ذلك الموضوع بشكل خاص لأننا نعلم أنه يكون أساس الهجوم العنيف الذى يشن ضدنا.

وإنكم تستطيعون أن تكونوا على ثقة بأننا لم نعمل أبداً ولن نعمل إلا تطبيقاً لخطة الحزب وتبعاً للتوجيهات التى تعطى رسمياً لنا، والحقيقة أننا حتى الآن لم تصلنا تعليمات أو توجيهات إلا نادراً جداً وأنا قد أثبتنا فى كل الظروف تمسكنا بالنظام والمبادئ التنظيمية فى كل علاقاتنا بالحزب. إننا قمنا بتطبيق قرارات الحزب حتى عندما كنا مقتنعين بخطئها (ومثال ذلك القرار الخاص بإيقاف يونس). وأنا تبعنا وطبقنا خطة الحزب السياسية حتى عندما كنا مقتنعين بخطئها، ومثال ذلك معاداة النظام الحاضر على طول الخط فى مرحلة 1953 – 1954 وذلك حتى لا يحق لأحد أن يشك فى أمانتنا كأعضاء فى الحزب.

ولقد حدث فى مناسبات معينة أن قدمنا للحزب رأينا فى مسائل معينة ولكن لم يكن ذلك إلا مزاولة منا لحق يتمتع به كل عضو فى الحزب بل إنه واجب يقع على عاتق كل عضو فى الحزب بالإشتراك اشتراكاً فعلياً فى حياة الحزب.

وإننا لا نرى أدنى سبب يبرر إتخاذ قرار عاجل فى مسألة حل مجموعة الحزب فى الخارج ولذلك إننا نطلب منكم أيها الزملاء بكل قوة، تأجيل إتخاذ قرار فى هذا الموضوع حتى نستطيعوا الحكم على أساس تحليل أكثر دقة للظروف الموضوعية وللعمل الذى قامت به المجموعة وللإمكانات الحقيقية الموجودة لمساعدة حزب نعتبر أنه حزبنا مهما كانت بساطة هذه المساعدة.

إن الاستعجال الذى لا يوجد ما يبرره فى إتخاذ قراركم قد يبدو أنه محاولة لتصفية نشاط بعض المكافحين الموجودين حالياً فى الخارج، لتصفية معارضة سياسية بسبب عداوى شخصى لهم، وقد يبدو أيضاً أنه هجوم موجه ضد المنظمة الأصلية لهؤلاء المكافحين ومن الواضح أن مثل هذا الهجوم معارض لروح شروط الوحدة.

ومن البديهي أننا لا نستطيع إعتبار الاستعجال فى إتخاذ مثل هذا القرار، أنه خضوع للنزعة العنصرية التى ظهرت أخيراً فى حزبنا، وذلك بالرغم من كثرة ما قيل وما سوف يقال بهذا المعنى، إذ أننا واثقون بأن هذه النزعة العنصرية الغربية عن الماركسية اللينينية وعن تقاليد حزبنا لن تجد أدنى صدى لها داخل الهيئة القيادية لحزبنا.

وأملنا أيها الزملاء الأعزاء، أنكم ستضعون هذه الرسالة موضع إعتباركم. وختاماً، إننا نعبر لكم عن إخلاصنا التام للحزب وللطبقة العاملة المصرية ولمصر ولكم تحياتنا الأخوية الصادقة.

اللجنة القيادية لمجموعة الحزب فى روما

مذكرة لتعميق مدلولات بعض مظاهر النضال الإقتصادي للطبقة العمالية رقم 32 - 7/33 بتاريخ 58/3/7 إلى عائلة Jules.

الزملاء الأعزاء.

نرسل إليكم بعض الإعتبرات التي تتيح تقديراً أفضل لبعض مظاهر دور الطبقة العمالية في مجتمعنا والتي تسهل عمل العمال الطليعيين وعمل الحزب من أجل تطوير هذا الدور حتى يصبح دوراً قانداً لا في المجال السياسي بل في مجال تعد فيه مهامنا غير واضحة نسبياً وهو المجال الإقتصادي.

* * *

لا يمكن القول بأن هناك صلة مباشرة بين النفوذ الإقتصادي والنفوذ السياسي للطبقة العمالية، ففي روسيا القيصرية مثلاً كان الدور الإقتصادي لهذه الطبقة أقل كثيراً منه في بلاد أخرى، وهي مع هذا قد وصلت إلى القيادة السياسية لكن هذا لا يدعو إلى إهمال هذا الدور لأنه بالفعل دور هام جداً، في غير فترات المد الثوري، وهو يشكل أحد العناصر الرئيسية التي يقوم عليها نفوذنا السياسي.

لذا ينبغي تعميق هذا الدور كما يجب قيادة الطبقة العمالية وال جماهير الشعبية بأكملها إلى الإحساس بأهميته وإدراكه بطريقة أكثر وضوحاً؛ ويمكننا النظر إلى هذا الدور من زاويتين: أولاً الوظيفة الإقتصادية العامة للطبقة العمالية، ثم تدخلها الواعي للإشراف على عملية الإنتاج.

سنحاول التعمق في هذين المظهرين لكننا نلفت نظر الزملاء إلى أننا لسنا طوال الباع في هذا المجال، وعلى القادة المنتمين إلى الطبقة العمالية (البروليتاريا) تحديد مهام هذا المجال بطريقة أعمق وأكثر إتساعاً.

أ - الوظيفة الإقتصادية للعمال:

نحن بالطبع لا نريد العودة إلى الأفكار الماركسية في هذا الموضوع لكننا نبغى تأمل جانب منه يغيب أحياناً عن الملاحظة:

إن الدستور المصري يعترف نظرياً "بحق العمل" في مادته الثانية والخمسين؛ ولكن قد يكون هناك مصدران للعمل:

المصدر الأول: هو ذلك الذي تتيحه البورجوازية، وهي تحاول وضعه في إطار "الضمان الإجتماعي"؛ لذا ينبغي على الدولة إتاحة فرص العمل للعاملين بقدر إهتمامها بالأطفال والمسنين، وذلك بغرض تأمين معاشهم.

أما المفهوم الآخر: الذي يجب علينا الدفاع عنه فهو يقوم على كرامة العمل التي تتبع بدورها من هذه الحقيقة: إن المجتمع لا تقوم له قائمة بدون العمل.

إن هذه الأهمية الحاسمة لدور العمل فى المجتمع تفرض عليه أى المجتمع توفير إمكانية العمل لجميع أعضائه، ولكن الرأسماليين لا يريدون رؤية المشكلة من هذه الزاوية لأن عدم الأمان فى العمل فى صالحهم، وفى صالحهم أيضاً وجود "جيش إحتياطى" من العاطلين حيث يتيح هذا الوضع الحصول على أكبر قدر من المكاسب كما يسمح بالتخلص من العناصر المتقدمة سياسياً بين العاملين.

وعلى العكس من ذلك، يمثل العمال، فى هذا المجال، المصالح الحقيقية للمجتمع فهم المناضلون من أجله، حتى يتمكن من استخدام وتطوير إمكانات العمل الخاصة بأعضائه، ومن خلالهم يظهر مثلاً التناقض القائم بين أهمية العمل بالنسبة للمجتمع وخضوعه لهوى الرأسماليين الذين لا يبيغون سوى منفعتهم الخاصة.

وبصفة عامة، يمكن للعمال قيادة النضال "عفوياً" من أجل الحصول على مطالبهم القائمة على إحتياجاتهم وحقوقهم المستمدة من أهمية العمل، وأهمية وظيفتهم الإقتصادية فى المجتمع؛ ولنعت مثلاً صحيحاً: فى الوقت الحاضر، يعترف المجتمع المصرى بجميع طبقاته بأن مهمته الرئيسية هى اللحاق تدريجياً بالبلاد المتقدمة، وبدون مناقشة جميع ما تتضمنه هذه المهمة، يمكننا أن نأخذ ضرورة "التصنيع"، التى ركز عليها الشيوعيون وإعترف بها القادة الحاليون، نقطة للبداية.

ولكن ماذا نرى ؟ عندما يدور فى مصر الحديث عن التصنيع، إنما يكون الهدف هو تمجيد الذين "يقيمون" الصناعات، فتنتشر الجرائد المصرية صفحات كاملة للإحتفال بإقامة شركات رأسمالية غالباً ما توزع فيها الأرباح، بمساعدة الدولة، على الرأسماليين، وفى كثير من الأحيان يحضر قادة النظام توقيع عقود الشركات، ويشاركون أيضاً فى إحتفالات وضع الحجر الأول والإفتتاح، ولا ينسون تهنئة الرأسماليين وممثلهم بهذه المناسبة.

على الشيوعيين إذن إبراز ما يأتى للعمال وال جماهير الشعبية معاً: يعود الفضل فى إقامة المشاريع إلى العاملين بها وإلى العمال الذين يبنون المصانع لا إلى أولئك الذين "يشجعون" الصناعة أو أصحاب رأس المال؛ إننا لا نريد إنكار أو إحتقار دور الرأسماليين فى هذه المرحلة، لكن علينا الدفاع والإعتراف بدور العمل والعاملين وكرامتهم النابعة فعلاً من أهمية هذا الدور.

إن التركيز على أهمية هذا المفهوم يتيح تعميق مغزى النضال الإقتصادى للطبقة العمالية، كما يساعد العمل فى هذا الإتجاه على قدوم المجتمع القائم فعلاً على العمل بقيادة الطبقة العمالية.

ولايسعنا تحديد برنامج، ولو بشكل تقريبي، للمطالب المترتبة على حق العمل؛ ومع هذا نذكر بعض الأمثلة:

- النضال ضد التسريجات.
- أولوية التعيين للعمال المسرحين لظروف إقتصادية.
- منحة بطالة لائقة.

- حق الشباب فى ممارسة مهنة.
- وضع خطة إقتصادية للتوسع فى العمل لصالح الأمة وليس لتحقيق ربح رأسمالى وذلك بضمان حق العمل الكامل للعاملين.

ب - دور العمال فى عملية الإنتاج:

هناك بعض الإعتبارات الملموسة التى ترتبط بصفة خاصة بالنضال المباشر للطبقة العمالية من أجل وضع خطة إقتصادية، وأهم المجالات فى رأينا هى:

1 - المشاركة فى تحديد ظروف العمل:

تحدد ظروف العمل، سواء فى المهنة أو المؤسسة، تبعاً لثلاثة عوامل رئيسية: الرأسماليون، الذين يهدفون بالطبع إلى الحصول على أكبر قدر من المكسب.

الدولة، وهى أداة تستخدمها الطبقة الرأسمالية لصالحها، وهى إما تحول دون العمال ومطالبهم، أو تعد اللوائح، عندما تسنح الفرصة لذلك، ضد تجاوزات بعض الرأسماليين، مما يضمن حماية النظام فى مجموعه، ولهذا السبب نفسه تستجيب الدولة أحياناً للتهديد خوفاً من حدوث ثورة إجتماعية - العمال هم الذين يشاركون، إلى حد ما، فى تحديد ظروف العمل بطريقة عملية وواعية؛ ويجب أن تكون إحدى مهام الحزب زيادة العمل فى هذا المجال بدرجة كبيرة.

إن مشاركة العمال فى تحديد ظروف العمل ينبغى أن تقوم على دورهم فى عملية الإنتاج، كما ينبغى مقاومة طموح الرأسماليين أو الدولة إلى الإفراد بتحديد هذه الظروف، ومحاربة المفهوم القائل بأن الأساس الذى تقوم عليه مطالب العمال هو الفقر والعمل المضنى وغير ذلك من الإعتبارات الشبيهة.

لهذا يجب التمييز بين مطالب العمال من جهة، ومبدأ المشاركة فى تحديد ظروف العمل من جهة أخرى، لأن هذه المشاركة أهم كثيراً من تحسين هذا الظرف أو ذاك من ظروف العمل.

إن إعداد العقود الجماعية - مثل العقود التى أرسلنا إليكم نسخاً منها - لصالح عمال مصنع ما أو حرفة ما، يؤدى دوراً رئيسياً فى هذا المجال لأنها تتيح مناقشة العمال لظروف العمل وتعمل بصفة خاصة على تطور الحريات النقابية داخل المؤسسة: حق الإجتماع، حق الإتحاد، جرائد الحائط..

إننا لا نعى الأجور وساعات العمل فقط عند الحديث عن ظروف العمل بل نقصد جميع المشاكل المرتبطة بالعمل مثل: مراعاة كرامة العاملين، تعريف الأمراض المهنية، الإشراف على الخدمات الإجتماعية فى المؤسسة: المقصف (المطعم)، العيادة.. وكذا مشاكل التعيين والتسريح وألوية التعيين للعمال المسرحين لظروف إقتصادية.. إلى آخر هذه المسائل التى تعرفونها أكثر منا والتى يجب عليكم تحديدها بطريقة أكثر شمولاً.

2 - الأهم من ذلك هو إشراك العمال فى الإشراف على الإنتاج:

إن تأسيس هيئات عمالية للإشراف على نشاط المؤسسات هو من أهم الإنتصارات التى حققتها الطبقة العمالية بفرنسا وإيطاليا بعد مشاركتها الحاسمة فى إنتصار الحرب العالمية الثانية: لقد إعترف هذان البلدان بحق هذه الطبقة فى التمثيل، لا بواسطة نوابها فى البرلمان وفى مختلف الهيئات السياسية والإقتصادية فقط، بل بطريقة مباشرة داخل المؤسسة ذاتها.

فى إيطاليا تدعى هذه الهيئات باللجان الداخلية، وهى تسمى، فى فرنسا، بلجان المؤسسات؛ نرجو أن ترجعوا للكتيبات التى أرسلناها لكم عن لجان المؤسسات فهى تتناولها بالتفصيل.

إن الوضع هنا لا يختلف عنه فى الخارج حيث لا يعد إعتراف القانون بحق العمال كافياً لممارستهم هذه الحقوق عملياً؛ وفى فرنسا مثلاً لجان عديدة بالمؤسسات لا تعمل بطريقة كاملة حيث تحولت إلى هيئات شكلية يديرها الرأسماليون.

ومن ناحية أخرى لا ينبغى أن يحول غياب القانون دون سعى العمال للقيام بدور فى الإدارة بقيادة نقاباتهم، ونحن نعلق أهمية رئيسية على هذا النشاط للحركة العمالية الدولية التى تعد الطبقة العمالية - وأنتم تدركون هذا بالفعل - بطريقة شديدة الفعالية إدارة عمليات الإنتاج.

أيها الزملاء الأعزاء، ها هى النقاط الرئيسية التى نود توجيه إنتباهكم إليها:

- ضرورة الدفاع عن حقوق الطبقة العمالية على أساس كرامة وظيفتها.
- ضرورة الدفاع عن مبدأ المشاركة المنظمة للعمال فى تحديد ظروف العمل.
- ضرورة الدفاع عن مبدأ المشاركة المنظمة للعمال فى الإشراف على نشاط المؤسسة.

من هنا، يتضح أن عملنا المستمر فى هذه المجالات يعمق مغزى وأهمية النضال الإقتصادى للطبقة العمالية.

قرار المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى

الأسبوع الثانى من مارس سنة 1958

التنظيم

مجموعة روما:

إتخذ المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى (الموحد) قراراً إجماعياً بحل مجموعة روما فى أكتوبر سنة 1957، وقد أقرت اللجنة المركزية للحزب هذا القرار الذى أيدته قطاعات الأقاليم المختلفة؛ ومن المحقق أن القرار ينص على "حل مجموعة روما بأسرع ما يمكن"، وكانت هذه الصيغة، فى رأى بعض الزملاء، غير دقيقة ومثيرة للبلبل، لكن القرار قد إتخذ، وتم تفسير الصيغة كالتالى: "إن الحل يعتبر نهائياً بعد إعلام مجموعة روما والأقاليم وكوادر الحزب بهذا القرار" أى أن الحل سيتم فعلاً فور إعلام مجموعة روما بالقرار وإقراره من مختلف كوادر الأقاليم بالحزب.

لقد ناقشت اللجنة الدائمة هذه المشكلة ورأت ضرورة إصدار المكتب السياسى للحزب لقرار جديد يؤكد به قراره السابق حتى تصفى نهائياً مشكلة حل المجموعة، ويجب الإشارة إلى أن خطاباً صادراً من مجموعة روما تناقض وتعارض فيه على قرار الحل هو ما دفع المكتب السياسى للعودة إلى مناقشة هذه المشكلة، وقد طلب أيضاً بعض الزملاء مناقشة هذا الخطاب وكذلك وضع المجموعة.

بعد الإطلاع على الخطاب المذكور والقرار السابق للحزب الموحد، وبعد المناقشة الموسعة لهذه المشكلة أصدر المكتب السياسى القرار التالى:

"يقرر المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى حل مجموعة روما نهائياً اعتباراً من 14 مارس سنة 1958، ويؤكد قراره السابق إتخاذه فى أكتوبر سنة 1957، ويقوم هذا القرار على الإعتبرات التالية:

1. إنزال المجموعة عن الواقع المصرى.
2. المجموعة بعيدة عن رقابة الحزب.
3. فتح آفاق جديدة لأعضاء المجموعة حيث يمكنهم الإنضمام إلى الأحزاب الموجودة بأماكن إقامتهم.
4. الحرص على إقامة علاقات سليمة مع الأحزاب الشقيقة.
5. التكوين الأجنبى للمجموعة.

إتخذ القرار بالإجماع حتى الفقرة الرابعة، وحصلت الفقرة الخامسة على الأغلبية، "يقرر المكتب السياسى أيضاً إبلاغ مجموعة روما بهذا القرار لوضع حد للمناقشة المفتوحة فى هذا الصدد كما يكلف المكتب التنظيمى بتصفية الوضع القائم مع مجموعة روما والعمل على قطع الصلات بها بإشراف الأمانة المركزية.

إن المكتب السياسى يقرر، بالإضافة إلى هذا، منع جميع أعضاء الحزب من إقامة علاقات سياسية أو تنظيمية مع الرفاق بالخارج دون رقابة المسئول عن العلاقات الخارجية، ولا ينطبق هذا المنع على الصلات الشخصية.

وفى حالة عودة بعض الزملاء بالمجموعة المنحلة إلى مصر، وطلبهم الإنضمام ثانية إلى الحزب، فإن المكتب السياسى سيبحث طلبهم ويتخذ قراراً فيه".

Résolution du Bureau politique du parti Communiste Egyptien.

Seconde semaine de Mars 1958

L'ORGANISATION

Le groupe de Rome:

Le Bureau politique du parti Communiste Egyptien (Unifié) avait Pris, en Octobre 1957, à l'unanimité une décision relative à la dissolution du Groupe de Rome. Le C.C. du P.C.E.U. avait approuvé cette décision qui a été appuyée par différentes régions du parti. Il est vrai que la décision stipulait la "dissolution du Groupe de Rome dans le plus bref délai possible". Cette formulation, selon l'avis de certains camarades, était la source d'une confusion et d'une imprécision. Mais quand la décision a été prise, cette formulation a été expliquée dans ces termes: "La dissolution est considérée comme définitive après que le Groupe de Rome, les régions et les cadres du parti aient pris connaissance de cette décision. "Ainsi la dissolution sera effective aussitôt que le Groupe de Rome aura été avisé de la décision et aussitôt que les divers cadres de régions auront approuvé la décision prise par la direction du Parti unifié, relative à la dissolution du Groupe.

Le Comité permanent a discuté de ce problème et a juge qu'il était nécessaire que le Bureau politique du nouveau parti prenne une décision confirmant celle prise auparavant, afin que le problème de la dissolution de ce Groupe soit liquidé définitivement. Il faut noter que c'est la réception d'une lettre provenant du Groupe de Rome discutant et s'opposant à la décision de la résolution qui a poussé le B.P. à rediscuter ce problème. Certains camarades ont demandé que l'on discute cette lettre ainsi que la position de ce Groupe.

Après lecture de ladite lettre et de l'ancienne résolution du Parti Unifié, et après une large discussion sur ce problème, Le Bureau politique a publié la décision suivante:

"Le Bureau politique du Parti Communiste Egyptien décide de dissoudre définitivement le Groupe de Rome à partir du 14 mars 1958 et confirme la

décision prise par le Bureau Politique de L'ancien P.C.E. Unifié en octobre 1957. Cette décision est fondée sur les raisons suivantes:

1. Le Groupe est isolé de la réalité égyptienne.
2. Le Groupe se trouve loin du contrôle du Parti.
3. De nouveaux horizons s'ouvrent devant les mémoires du Groupe qui peuvent adhérer aux partis de leur lieu de résidence.
4. Le souci de saines relations avec les partis frères.
5. La formation du Groupe.

(Cette décision a été prise à l'unanimité jusqu'au paragraphe 4, et à la majorité pour le paragraphe 5)

"Le Bureau Politique décide également de faire parvenir cette décision au Groupe de Rome, ce qui mettra un point final à la discussion ouverte à ce sujet. Le bureau organisationnel ost chargé de liquider la situation existante avec le Groupe de Rome et de veiller sous le contrôle du secrétariat central à ce que toutes les liaisons actuelles soient interrompues.

"Le Bureau Politique décide en outre d'interdire à tous les membres du parti d'avoir des contacts politiques et organisationnels avec les camarades de l'étranger sans le contrôle préalable du responsable des relations extérieures. Cette interdiction ne s'applique pas pur les relations strictement personnelles.

Au cas où des camarades du Groupe dissout venait à rentrer en Egypte et d'émonderait de nouveau d'adhérer au Parti, il appartiendra au Bureau Politique d'examiner sa demande et de prendre une décision à ce sujet."

قرار الحزب الشيوعى المصرى المتحد بكل مجموعة روما (الأسبوع الثانى من مارس 1958)

إلى عائلة Jules بتاريخ 24 مارس سنة 1958 بواسطة مارى خطاب رقم 40 و 41.
تقرير رقم 8 من جاك Jac

مذكرة عن التناقضات الواجب طرحها وحلها

الزملاء الأعزاء:

إننا نعد من أجلكم سلسلة من الإعتبارات القائمة على وثائق "خط الحزب" التي تسلمناها، ونحن نفضل الاستمرار في طريقة التراسل المتبعة ومعالجة كل نقطة في مذكرة مستقلة بدلاً من إرسالها معاً، كما أننا نبيح لأنفسنا، هذه المرة، توجيه نظركم إلى نقطة أساسية ألا وهي التناقضات الموجودة في المجتمع المصري.

إن التجاهل التام لهذه التناقضات ظاهرة لا يمكن إرجاعها إلى الصدفة البحتة، بل هي تعبير عن إتجاه يمينى واضح وهو إتجاه يتميز، بطريقة ما، بعدم تقرير أو إنكار هذه التناقضات؛ ويجب، على أية حال، تدارك هذا التجاهل بطريقة حازمة وإن كانت غير مباشرة.

إن هذه التناقضات لا يمكن تصويرها "عن بعد"، لذا فإن هذه المذكرة لا تهدف إلى تقديم صورة كاملة لها بل إن الغرض منها هو إثارة المشكلة نفسها وإبراز أهم الأمثلة، في نظرنا، لإثبات أن طرح التناقضات قد يكون مهمة خصبة جداً وقد يصلح أساساً لوضع "خط سياسى" حقيقى.

ينبغى أولاً التركيز على أن موضوعنا هو التناقضات القائمة في قلب المجتمع المصرى فقط أى أننا نطرح جانباً التناقضات الموجودة على الصعيد الدولى كما أننا لا نستعرض مشكلة النضال ضد الإمبريالية؛ ومع هذا فإننا نود التركيز على نقطتين:

- يجب أولاً مراعاة تناقضات المجتمع المصرى فى النضال المنطقى ضد الإمبريالية فى مصر.
- وبعد ذلك ينبغى التغلب عليها مع وضع ضرورات النضال ضد الإمبريالية فى الاعتبار.

ولننتقل الآن إلى تحليل موجز لبعض التناقضات الموجودة فى المجتمع المصرى.

- أ - هناك أولاً التناقض الأساسى بين الملاك وغير الملاك أى المستغلين والمستغلين.
- ب - لهذا التناقض الأساسى مظهر واضح يجب علينا تحديده ومراعاته فى عملنا وهو التناقض بين طبقة الملاك الحاكمة والطبقات الشعبية؛ إن الطبقة الأولى لا تمثل الأخريات وإن كانت الخصومة ليست كاملة لوجود بعض المصالح المشتركة بين هذه الطبقات.

ت - ويؤدى هذا التناقض إلى تناقض آخر فى العمل: من جهة نحن نناضل باستمرار من أجل دعم صلاتنا بالسلطة وإقامة تحالف دائم معها "الحلف الدائم مع البورجوازية الوطنية" (سأتناول هذه النقطة فى مذكرة مستقلة)، ومن أجل حماية مصالح الجماهير الشعبية الكادحة

والمستغلة؛ وينتج عن هذه الضرورة المزدوجة تناقض يجب علينا تحديده وتحليله حتى نتمكن من التغلب عليه، وإذا لم نفعَل فإننا نجازف سواء بوضع تحالفنا مع الجماهير أو تحالفنا مع النظام أو بتعريضهما للخطر بالتردد بينهما.

لا حاجة بنا للإفاضة في هذا التناقض فإننا إذا انفصلنا عن الجماهير وتوقفنا عن النضال ضد الرأسماليين من أجل تحسين ظروفها، سنصبح مجموعة محدودة بلا قوة حقيقية، وعندها لن يمثل التحالف معنا مصلحة ضرورية للنظام؛ ومن جهة أخرى فإننا إذا أضعفنا النظام قد نعرض هدفنا الأساسى للخطر والشكل الفعال الوحيد لنضال حقيقى ضد الإمبريالية وهو النضال من أجل السلام.

ث - لهذا التناقض إمتداد يظهر فى شكل تناقض آخر؛ للنظام نفسه جانبان أحدهما يتجاوز حدود آمالنا وهو الجانب الذى تمثله أساساً على الصعيد السياسى السياسة المسماة "بالحياد الإيجابى": الإعتراف بالصين، إقامة صلات أكثر قوة مع العالم الإشتراكي، مقاومة الأحلاف العسكرية، دعم التضامن الأفريقى الآسيوى، نمو الوحدة العربية إلخ؛ وعلى الصعيد الإقتصادى، هناك الإصلاح الزراعى، الضربة القاضية على النظام الإقطاعى، وتأميم القناة، وتمصير الاستثمارات الأجنبية الرئيسية، سياسة التصنيع إلخ.

ولكن لا يمكن إنكار الوجه الآخر للنظام أى الجانب السئ منه: على صعيد السياسة الأجنبية هناك "الغزل" مع الغرب، الولايات المتحدة وقوى الظلام مثل "ألمانيا الغربية"، إيطاليا، "الأطلسية"، وأسوأ من ذلك أسبانيا فرانكو، والفاثيكان، بخلاف البوادر الملحوظة للإشتراك فى "حلف البحر المتوسط" إلخ، وفى الداخل قمع الحريات الأساسية، ولا يظهر هذا القمع فى تصفية الأحزاب السياسية (إن ديمقراطية "البورجوازية" وتعدد الأحزاب فى بعض البلاد لا يمثلان بالضرورة الوضع الأمثل) بل فى الوسائل المستخدمة ضد الوطنيين المنطقيين، وأيضاً عدد الفلاحين الذين يريدون حماية أنفسهم من الملاك الزراعيين، وضد العمال "المذنبين" للدفاع عن حقوقهم ضد الرأسماليين؛ هناك أيضاً الدور الكبير "للمخابرات الحربية" فى حياة البلد، والتعسف والمحابة المطلقة، والميل للتعصب الدينى، والعنصرية مع الأقليات، ومعاداة السامية إلخ؛ وعلى الصعيد الإقتصادى والإجتماعى: عدم الفعالية، الطمع غير المحدود من جانب الرأسماليين، الفساد العام، الإتجاه إلى حل المشاكل على حساب الجماهير العاملة برفع الأسعار وخفض قيمة العملة، والاستغلال المتزايد للعمال.

إن عدم مراعاة هذا الوجه المزدوج يؤدي إلى وضع أحدهما فقط فى الإعتبار عند تحديد موقفنا من النظام.

ج - هناك تناقض جوهرى آخر ينمو، وقد يتطلب التغلب على هذا التناقض الذى يتوقف عليه مستقبل مصر كلها تحليلاً أعمق من الآخرين لأنه قد يضر تماماً بعملنا؛ ويكمن هذا التناقض فى التوفيق بين التحالف مع النظام، ذلك التحالف الذى يحقق لنا الحماية من سلسلة من الفتوحات الوطنية والشعبية، وضرورة العمل لإعادة بناء المجتمع المصرى بالكامل، وذلك بوضع أسس سياسية وإقتصادية وإجتماعية لبناء مصر الإشتراكية حقاً.

إن مصر عاجزة تماماً، فى ظل النظام القائم، عن حل مشاكلها الأساسية فى أضيق الحدود: مشاكل الغذاء، والعلاج، والملبس والمسكن والتعليم، وهى لا يمكن أن تعوض هذا التخلف بتطبيق النظام الرأسمالى كما أن دعم الصناعة الوطنية، وهذا أمر لا ينبغى تجاهله، مستحيل بدون تحسن ملموس، تدركه الجماهير فى ظروف المعيشة.

ح- هناك أخيراً التناقض الخاص بالطبقة العليا من كوادر الحزب، وهو تناقض ناتج عن ظروف تاريخية ملموسة أدت إلى تشكيل الحزب من مجموعة تنظيمات متنوعة بقيادات ذات إنتماءات مختلفة، ومهما يكن من إختلاف الإنتماءات التى خرجت منها هذه الكوادر، يمكن حصر التناقض الأساسى فى المجموعتين التاليتين: الكوادر التى تعيش فى ظل النظم، وبعضها يعيش فى يسر وأحياناً فى رخاء، ومستوى معيشتهم لا يختلف كثيراً عن ذلك المستوى الذى تعيش فيه البورجوازية، وهناك صلات وثيقة تربطهم بالعناصر البورجوازية، وعناصر الطبقة الحاكمة، وقد تمتد هذه الصلات إلى مجموعة الحكام؛ وقد يلجأ النظام أحياناً إلى هؤلاء الكوادر "المحترمين" الذين يحوزون ثقته فيعينهم فى بعض المناصب الهامة؛ وفى الجانب الآخر نجد أولئك الذين لا مورد لهم، ويعيش هؤلاء فى فقر مدقع حيث لا يختلف مستواهم عن مستوى الجماهير الشعبية فى بلادنا، وهم وإن كانوا يتمتعون بثقة الجماهير إلا أن النظام "لا ينظر إليهم بعين الرضا" فهم مطاردون أو مراقبون بواسطة البوليس، وعدد كبير منهم موجود فى السجون والمعقلات.

من الطبيعى أن يعكس هذا التناقض معظم التناقضات المذكورة عالياً؛ ومن الطبيعى أن يتبنى البعض وجهة نظر الملاك بينما يدافع البعض الآخر عن وجهة نظر غير الملاك، وأن يكون البعض أكثر تفهماً لمصالح الطبقات الحاكمة على عكس الآخرين المتفهمين لمصالح الطبقات الشعبية، وأن يصبح البعض أكثر إهتماماً بتوثيق الصلات بالسلطة بينما يهتم الآخرون بدعم الصلات بالجماهير وأن يتأثر البعض بالجوانب الإيجابية فى النظام القائم بينما لا يرى الآخرون إلا الجوانب السلبية منه، وأن يرى البعض ضرورة مساندة النظام لدعم الإنتصارات التى تحققت بينما يحلم الآخرون بالإنتصارات المقبلة والتحول الإشتراكي.

إن التحليل العميق للمتناقضات يعنى بصفة خاصة مراعاة الجوانب المتقابلة فى كل تناقض: المتناقضات فى فرنسا مثلاً أكثر عدداً منها فى مصر، والخصومة بينها قطعاً أشد لكن الوضع مستقر، والتغييرات قليلة الوضوح وبطيئة نسبياً بينما يتغير كل شيء فى مصر بسرعة قد تثير الإرتباك، وتتأرجح القوى المتواجدة بين الزيادة والنقص ولا تتوقف الصلات بينها عن التغير؛ ولا ينطبق هذا على مصر فقط بل إنه ينطبق على الشرق الأوسط كله بتغييراته المتفجرة فهو يعد الآن أكثر مناطق العالم تميماً.

إن عدم تحديد المتناقضات لا يعنى أنها توقفت عن أداء دورها لكنه يمنعنا من إتخاذ موقف واضح منها بحيث يقتصر رد فعلنا على تأمل هذا الجانب أو ذاك، وإذا ظهرت إتجاهات عامة يمينية أو يسارية نجد التيارين اللذين أشرنا إليهما وإن كانا غير محددين أو لم يتبلورا إلى درجة كافية بسبب عدم تحديد المتناقضات، وتتأرجح مواقف الحزب بين هذا الإتجاه أو ذاك: تارة فى إتجاه يسارى متطرف، وتارة أخرى فى إتجاه يمينى بطريقة مضطربة أحياناً كثيرة.

يمكننا القول بصفة عامة إن الإتجاه اليميني هو الإتجاه الغالب بين المجموعة الحاكمة لكن الوضع قد يكون معكوساً فى القاعدة؛ فيم يظهر هذا الإتجاه اليميني ؟

موقف استسلامى تجاه البورجوازية فى المواقف التى أشرنا إليها عند الحديث عن التناقض الموجود بين الكوادر العليا للحزب.

إن الإتجاه اليسارى "المتطرف" موجود رغم عدم وضوحه، والأخطار التى ينطوى عليها فى هذه الظروف أكثر من أخطار الموقف اليميني، والموقف الثورى حقاً يرتكز على مراعاة المتناقضات وإتخاذ الموقف الذى يتيح التغلب عليها؛ ونحن نرى أن موقف الحزب الشيوعى السورى، حامى الوحدة المصرية السورية، الذى يبرز بطريقة بناءة الأخطاء الناتجة عن تراكم السلطات المفرطة فى يد رجل واحد، هو مثل يحتذى للموقف الصحيح، ذلك الموقف الذى يتيح تطوير الوضع دون المجازفة بتحقيق أهداف الرجعية.

إننا لا نزعم أننا قد قدمنا حلاً للمشاكل فى هذه المذكرة لكننا نأمل أنها ستمد لها الطريق إلى الحل.

رد الفعل لقرار حل مجموعة روما

فى أبريل سنة 1958، وعقب معرفتهم، فى نهاية شهر مارس، بقرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى بحل مجموعة روما، عقد أعضاؤها جمعية عامة لمناقشة وإعتماد تقرير مقدم من لجنة قيادة المجموعة، وقد أقروا، فى هذه الجمعية العامة، المبادئ والقرارات التالية التى وافقوا عليها بالإجماع:

نص القرارات

1. إحتراماً لنظام الحزب، تحل مجموعة روما كهيئة من هيئات الحزب الشيوعى المصرى بالخارج فوراً.

2. تعبر المجموعة عن أسفها للشكل الذى إتخذت به قيادة الحزب هذا القرار:

أ. دون استشارة الزملاء بالمجموعة.
ب. دون أية محاولة للوصول إلى حلول أخرى تتفق مع وضع المجموعة الخاص فقد كانت على استعداد سواء للتراجع أو تغيير بعض أنشطتها، أو تطبيق أساليب عمل مختلفة، أو إتخاذ أشكال تنظيمية أخرى كما سبق لها أن فعلت مرات عديدة فى الماضى.

ت. عدم وجود أدنى إعتبار أو مراعاة لمشاعر الزملاء بالمجموعة، الذين عوملوا كأعداء لا كزملاء مع أنهم أعضاء شديدي الإخلاص للحركة الشيوعية المصرية التى ينتمى معظمهم إليها منذ أكثر من عشر سنوات، والتى كرسوا لها أنفسهم خلال هذه الفترة كلها.

3. تقر المجموعة مبدأ الاستمرار، وهى خارج الحزب، فى بعض المساعدات التى كانت تقدمها أثناء إشتراكها بالحزب:

أ. المساهمة المادية الموازية لقيمة الإشتراك.
ب. إرسال المنشورات الشيوعية والديمقراطية المتنوعة.
ت. وضع آلاف الأعمال النظرية التى فى حوزتها باللغة العربية وكذا تلك التى يمكنها الحصول عليها تحت تصرف الحزب (هذه القائمة ليست محددة).
ث. (غير مقروء).

4. الاستمرار فى بذل الجهود بلا كلل:

أ. للفصل بين مشكلة وجود أو حل المجموعة، ومشكلة الإحتفاظ أو فقد صفة العضوية بالحزب الشيوعى المصرى.
ب. لتحقيق إعادة النظر فى هذه المسألة، وذلك بدحض الأسباب المختلفة التى سبقت لتبرير قرار الحل، وهى إعتبرات قائمة على "كينونتتا" المزعومة لا على "ما نقوم" به من أعمال.

5. نظراً لعدم موافقة أى من الأعضاء على النضال فى بلد الإقامة من ناحية، وأهمية بعض الأنشطة التى لا يمكن تبرير إيقافها من ناحية أخرى، تقرر المجموعة الاستمرار فى عدد من أنشطتها فى إطار خط الحزب ونظامه وإن كانت خارجه.

6. بالنسبة لمشكلة التسمية وتحديد "الماهية" تقرر المجموعة إختيار اسم لا لبس فيه حتى لا يبدو الاستمرار فى هذه الأنشطة كمحاولة لمخالفة قرار الحل وحتى لا يبدو، بعد الآن، كممثلين للحزب الشيوعى المصرى بالخارج.

7. توجيه نظر الحزب إلى أن إلتزاماته نحونا لا تنتهى بحل المجموعة لأن هذه الإلتزامات مرتبطة بالظروف التالية "لن نذكر إلا أهمها":

أ. لم يسبق أن وقع على الزملاء بالخارج جزاء، والإعتبرات التى تبرر قرار الحل لا تمس إخلاصهم، ولا إحترامهم لنظام الحزب، ولا روح الفداء التى يتمتعون بها؛ وليس هناك ما يدعو إذن لمعاملتهم كمبعدين.

ب. إن معظم هؤلاء الزملاء موجودون بالخارج عقب إجراءات القمع التى إتخذتها ضدهم الرجعية المصرية.

ت. إن عدداً منهم ينوى العودة إلى مصر، عندما تسمح الظروف بذلك، لاستئناف النضال بها.

ث. إن هؤلاء الزملاء يزاولون بالخارج عدداً من الأنشطة المرتبطة بمصر.

لهذه الأسباب كلها نطالب الحزب بالحفاظ على بعض الصلات بيننا، وتتبع نشاطنا لأننا بالطبع، نعتبر أنفسنا ملتزمين بواجبات الأعضاء وإن لم يكن لنا حقوقهم؛ وهذا يعنى أننا على استعداد لتغيير أو إلغاء بعض أنشطتنا إذا طلبت منا ذلك السلطة التى قد نكون على إتصال بها؛ كما نطلب من الحزب أيضاً إرسال منشوراته إلينا حتى نستوحى منها نشاطنا.

8. بدون أدنى شعور بالمرارة واليأس بسبب القرار، غير العادل فى رأيهم، الذى يمسه، يلتزم الزملاء بالتالى:

- بذل جهود جديدة من أجل قضايا الطبقة العاملة، واستقلال مصر، والسلام.
- الاستمرار، كعهدهم دائماً، فى الإخلاص للحزب الشيوعى المصرى سواء كانوا أحراراً أو معتقلين، فى مصر أو بالخارج، داخل الحزب أو خارجه.

يحيا الحزب الشيوعى المصرى.

تحيا الطبقة العاملة الدولية

تحيا الإشتراكية.

العداء

كنا قد أحصينا سبع إدارات للمخابرات ينبغي علينا مواجهتها: "بوليس السراى" وكان لدينا، كما سبق أن قلت، صورة له "من الداخل" يختلط بها السخرية بالوساوس، "المكتب الخاص" ضمناً "لمكافحة الشيوعية"، وهو ما يوازى "المخابرات العامة الفرنسية" ويديره بالفعل "أخصائون"، إدارات السفارة البريطانية، إدارات السفارة الأمريكية، وإدارات الجيش البريطانى، أما السابعة فلا أستطيع أن أتذكرها؛ هذا بخلاف إدارات السفارات الأخرى قليلة الأهمية نسبياً، والعون الثمين الذى تقدمه التنظيمات اليمينية المتطرفة وفى مقدمتها الإخوان المسلمون الذين يتيح لهم تنظيمهم فى قلب الجماهير إكتشاف العناصر الشيوعية داخل الجامعة مثلاً.

ونقل هنا إنه بالرغم من هذه المواجهة المستمرة لم يكن "فى صفوفنا أعداء" فأنا لا أعرف إلا حالة واحدة أبعدت "لممارسة نشاط بوليسى" وقد صدر هذا القرار من القطاع الأجنبى ضد أحد أعضائه، وأبلغت به اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية؛ ويدير حالياً هذا العضو مجلة هامة عن العالم الثالث.

ويبقى أنه كان علينا مواجهة تضافر جميع القوى الرجعية النشيطة، المصرية والأجنبية، بوسائلها غير المحدودة.

هل حدث "تسلل" إلينا؟ فى القاعدة بالتأكيد: بعد الوحدة وتطور البناء بجميع مستوياته، أدارت رءوسنا "نشوة النجاح" وأصبح دخول الحركة الديمقراطية يتم بدون رقابة جدية، ولو كان لدينا عدد كاف من الكوادر لضممنا إلينا آلافاً من المصريين، ففى ظل الظروف الراهنة، ومع محاربة جهاز الدولة المستمرة له جمع حزب اليسار مائة وخمسين ألفاً من الأعضاء فى عدة أشهر.

لكن أقصى المصاعب هى تلك التى أتتنا من قلب اليسار سواء فى مصر أو فى العالم العربى أو فى أوروبا: سبق أن تحدثت عن إنقسام الحركة الشيوعية المصرية ولن أعود إليه إلا فيما بعد عند الحديث عن الفترة التى تدخل فيها قسم الشرق الأوسط بالحزب الشيوعى الفرنسى فى شئوننا وزاد من إنقسامنا.

وفى العالم العربى كانت العداوة مؤكدة وإن كنت لا أعرف على وجه التحديد ما يؤخذ علينا؛ من المحتمل أننا لم نكن "نبذو جادين" إذا لم يكن لدينا -الحركة الوطنية والحركة المصرية- ضمان دولى، وكنا نمثل مجموعة "ولدت عفوية" وإعتبرت "برية" لهذا السبب.. ولصعوبة تحليل هذا الخليط من القوة والضعف الذى نتميز به، حملنا مسئولية ضعفنا وأرجعت الإنتصارات الأكيدة للجماهير المصرية إلى الوفد وحركة الجماهير التلقائية والظروف الملائمة التى لا يعود الفضل فيها إلينا إلخ.. وقبل كل شيء إلى الخصومة "الإنجليزية الأمريكية" الشهيرة التى تفسر بها جميع المنعطفات السياسية فى بلاد الشرق الأوسط.

أما فى أوروبا فقد تطورت العداوة بعد ذلك، وبالنسبة لبريطانيا العظمى لم يكن هناك بالطبع وجه للمقارنة بين الحركة المصرية وإسكرا المؤلفة من عناصر تربطها بها صلات شخصية، وهى عناصر تجيد عدة لغات على رأسها الإنجليزية وتتميز بالذكاء بالإضافة إلى

درايتها الكاملة بالنظرية الماركسية، أما الحركة المصرية فلم تكن تعرف منها إلا مجموعة صغيرة جداً لا يمكنها أن توازي إسكرا فى الأهمية.

وبالنسبة للمصريين الذين قد يتاح لهم اللقاء بهم فهم أيضاً لا يوازنون إسكرا أهمية، وذلك من ناحية الإمكانيات التي يحوزونها، وقبل كل شيء عدد ما درسوه من أعمال عن النظرية الماركسية، لقد كان بناء إسكرا "دوراته" الدراسية يبدو لهم أكثر متانة كما أن إسكرا تتفوق كثيراً علينا "بمواقفها" التقليدية:

• نضال إلحادى.

• عمل أكثر فعالية داخل القوات المسلحة المتحالفة.

حقاً، إننا لم نكن أكفاء.

وبعد الوحدة، أصبح لنا بعض الإعتبار، وبدا أننا تغلبنا على الإنقسام بصفة نهائية حيث أصبحت الوفود إلى المؤتمرات الدولية، منذ ذلك الحين، "موحدة".

إن مايو سنة 1948 قد صور على أنه فشل نهائى للشيوعيين المصريين، وأصبح على "الأحزاب الكبرى" بعد الإنقسام الذى بدا وكأنه لا رجعة فيه، توفير البديل: عناصر جادة يتوافر لها الإعداد، وسنجد أن هنالك:

• مفهوماً خاطئاً "للفشل" فقد إحتاج الأمر، بعد "تصفية" الحركة الديمقراطية، إلى إشعال النار فى القاهرة لتصفيتهم مرة أخرى؛ لم يسبق لهم قط أن قاموا بدور هام وحاسم كهذا.

• مفهوماً خاطئاً للبديل: لأن "الإعداد" الذى تلقته المجموعة المصرية بباريس لا يؤهل عنصراً مهماً كان لامعاً، ومهما بدا وطنياً، بالمقارنة بيونس مثلاً لقيادة حزب شيوعى أنشئ على أسس ثقافية مجردة، وهذا رغم الورقة الراححة التى تمثلها آنذاك مساندة الأحزاب الشيوعية الفرنسية والإيطالية وقد يكون هناك غيرها إلا أننى لا أعلم شيئاً عنها.

إننى لأذكر كتيباً صغيراً يذكر فيه إسمى كل سطرين أو ثلاثة سطور مقروناً "بأجمل" الصفات: عميل المخابرات الأمريكية، تروتسكى، سوقى، منحرف، عميل المخابرات البريطانية، هذيان شفوى حقيقى ! إننى فخور بأن أعلن أن وثائق الحركة المصرية والحركة الديمقراطية لم تستخدم قط هذه التعبيرات، وقد أدى "إنعزالنا" بالفعل إلى عدم تأثرنا ببعض الإضطرابات الموجودة فى الحركة العمالية آنذاك.

ولكن كيف السبيل إلى منع "الأحزاب الكبرى" من الإعتقاد بأن الأفراد الذين "أعدتهم" والذين يمثلون مفاهيمها الخاصة قد يكونون على خطأ؟ لقد قام أولئك، بدون مشاركة سابقة فى النضال بمصر، بإنشاء "حزب شيوعى مصرى" بعد عودتهم، وتجمع فى هذا الحزب، بصفة أساسية، العناصر المثقفة التى كان معظمها ينتمى إلى الحركة الديمقراطية ثم تركوها لأسباب مختلفة؛ وكان المؤسسون فخورين بمساندة "الأحزاب الشقيقة الكبرى" وباللافتة

الساحرة "الحزب الشيوعى المصرى" وراحوا يسجلون عدة نقاط لصالحهم حتى يوليو سنة 1952، وكان ذلك يحدث بطريقة هادئة للغاية فهم لم يشاركوا بفعالية فى أحد الأنشطة: النقابات، حركة السلام وإن أعلن بعض الأعضاء إنضمامهم إلى الحزب الشيوعى المصرى، المظاهرات الشعبية، وتنظيم الضباط الأحرار، وقد بدأ الصراع العلنى مع هذا التنظيم الأخير فور استيلائه على الحكم فى سنة 1952، ومنذ ذلك الحين وهم لا يضيعون دقيقة بدون مهاجمة الضباط الأحرار بإعتبارهم عملاء أمريكيين فقد زعموا أن استيلائهم على السلطة ما هو إلا نتيجة للنشاط الأمريكى، وهذا الإدعاء قريب الشبه بالنظرية التى تفسر كل ما يحدث فى الشرق الأوسط بالصراع بين الإنجليز والأمريكان، وقد وافق على هذا الرأى بالطبع الحزب الشيوعى الفرنسى وكذا بعض الأحزاب الشيوعية الأخرى فحدث ضغط مكثف على الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى التى كانت تعلم الحزب الشيوعى الفرنسى بنشاطها داخل تنظيم الضباط الأحرار، وترسل إليه بانتظام مذكرات إخبارية: عند فوز محمد نجيب، مثلاً، برئاسة نادى الضباط ضد مرشح فاروق فى الإنتخابات التى أتاحت للضباط التأكد من نفوذهم الذى جاوز أكثر التقديرات تفاؤلاً، بخلاف جميع منشورات الضباط الأحرار بما فيها منشورهم عن "الحرب البكتريولوجية الأمريكية فى كوريا" الذى كان من الصعب إرجاعه، بالرغم من مكيافيليته، إلى المخابرات الأمريكية فهو على العكس يظهر تأثيراً شيوعياً داخل تنظيم الضباط الأحرار. لكن لم يكن هناك فائدة، فقد أدين الإنقلاب الفاشى، الموالى لأمريكا صراحة فى مصر وأوروبا فالضباط الأحرار لم يكن بينهم عضو بالحزب الشيوعى الفرنسى، وبالتالي لم يكن بينهم "شيوعيون حقيقيون".

رسالتان من هنرى كورييل إلى نعمى كانل من مايو – يونيو 1957

من هنرى كورييل إلى نعمى كانل "فى السجن" 1957/5/10

الزميلة والصديقة العزيزة:

كم أنا سعيد بإمكان مراسلتك؛ لقد عرفت أن معنوياتك مرتفعة، وأنتك تدبرين أمورك بحيث تستطيعين القيام بعمل مفيد، وهذا أمر لم أكن لأشك فيه؛ لكن التعب الجسماني قد عاودك مرة أخرى، يجب حتماً أن تستعيدى صحتك، ولا يكفى لهذا الغرض، الإعتقاد على الأطباء، بل ينبغى أن تقومى بجهد فى ملاحظة أحوالك حتى تتبينى الظروف التى تسوء أو تتحسن فيها صحتك.. فالصحة لا يجب التهاون فيها لأننا جميعاً بحاجة إليك بكامل العافية.

أعرف أنك سعدت بعودة يونس وأعتبرنى مديناً لك جزئياً بهذا، ويكفى أنك، عند عودتك، أعدت الصلات التى تربطه بالعائلة⁶² ومن يدري.. ربما لو عجزت عن ذلك لإنتهى الأمر برفاقه إلى الإقتناع بعدم جدوى مواجهة الصعاب من أجل إعادته.

لهذه العودة أيضاً معان سياسية طيبة، فهى تشير إلى ضعف التيارات المتطرفة داخل الحزب، ولا يمكن من هذه الناحية الاستهانة بأن الحزب الشيوعى المصرى الموحد هو الوحيد فى الشرق الأوسط العربى (لأن هذا موجود فى الدول العربية بشمال أفريقيا) الذى يقبل عودة عنصر يهودى لقيادته، وهى تعنى أن وحدة الحزب الداخلية متينة، وأن سياسة الوحدة مثمرة ولا ينبغى أن "نخشاها".

فيما يتعلق بالوضع السياسى: أعرف أن هناك بعض الخلافات مع قيادة الحزب، وإن كنت لا أعرف إمتدادها داخل الحزب، لكن هناك خلافاً تحليلياً من الصعب معالجته كتابة بعد هذا البعاد الطويل، وبسبب الجهل بالظروف التى بنى عليها كل طرف موقفه؛ ومع هذا أسمح لنفسى بأن أخبرك ببعض ما يدور بخلدى:

أ. أنت تعرفين أن موقفى من النظام القائم كان دائماً إيجابياً، حتى أننى تراجعته عن الإشتراك فى النشرة التى يصدرها الحزب عندما أخذ الحزب خط المعارضة المطلقة له، فظهرت النشرة فى صورة جديدة للدفاع عن هذا الخط.

ب. لكننى لا أعتقد أن النظام يمثل حقيقة القيادة التى تحتاجها مصر:

- فإن إتصارات مصر لم تبدأ مع تغيير النظام، بل مع إزدياد مشاركة الشيوعيين فى قيادة الجماهير الشعبية.
- إن تغيير النظام نفسه يعود فى جوهره إلى عمل الشيوعيين، حيث أن عملهم بين الجماهير أضعف النظام السابق، كما أتاح للعناصر الواعية من البورجوازية الوطنية

⁶² يقصد بذلك حدثو، وربما كان الحديث هنا عن المقعد الذى حصل عليه فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الموحد الذى لن يلبث أن يفقده.

تنظيم أنفسهم وتحديد أهدافهم الوطنية التي لم تكن طائفية ضيقة كأهداف الضباط في البداية: الإصلاح الزراعى والجمهورية، ومقاومة الأحلاف العسكرية إلخ.

- إن النظام يقود مصر إلى التقدم فى حدود ضغط الجماهير الذى يمارس بدوره عندما يقوم الشيوعيون بدورهم القيادى فى توجيههم؛ وفى الفترة التى ترك فيها النظام وحيداً لم يحسب له إنجاز واحد بخلاف سياسة القمع والإرهاب.

- لكنه وإن قاد سياسة وطنية استقلالية – إلى حد ما – إلا أنه لا يزال يعمل لصالح الرأسمالية أساساً؛ لا أستطيع الإفاضة فى هذا لكن يكفى مثال واحد: بعد فشل العدوان، وضعت تحت الحراسة "ممتلكات بعض الرعايا" (الأعداء)، ولا أربغ فى التعليق على الطريقة التى تم بها تنفيذ هذا الإجراء لكننا أيدناه. ومع هذا فقد أسئ تطبيقه كالعادة، إذ ذهبت هذه الممتلكات إلى الرأسماليين المصريين المستعدين دائماً للتنازل عن استقلال مصر لا للدفاع عنه، وقد حصل عليها هؤلاء الرأسماليون – الذين لم يقدموا تضحية واحدة من أجل مصر – بشروط تافهة لا تضر المالكين السابقين بقدر ما تلحق الغبن بالشعب المصرى؛ أليس بديهياً أن عمل الشعب هو خالق هذه الثروات؟ وأن مقاومته بالداخل هى العنصر الأساسى فى فشل العدوان؟ وأنه هو الذى تحمل ثقل هذا العدوان وقدم التضحيات وواجه المصاعب؟ هذا مثال يبرز أسلوب النظام فى محاباة البورجوازية على حساب الشعب.

- وأخيراً فإننى أعتبر النظام عاجزاً عن حل مشاكل مصر على الصعيد الإقتصادى والثقافى والإجتماعى، فهو غير قادر على التقدم خطوات لتعويض مصر عن تخلفها، وغير قادر على تثبيت مستوى معيشة الشعب المصرى رغم إنخفاضه الشديد: انظر أرقام الدخل القومى الثابت منذ عام 1952، والمتناقض بالنسبة للأفراد.

لا أريد الاستطراد فأنا أعتقد أننى أعطيتك فكرة عن تصوراتى، وستلحظين أنها لم تتغير منذ عام 1952؛ إن النظام له مزايا، فى حدود تكوينه الطبقي، وأيضاً فى الحدود التى تفرضها ظروف وطنية ودولية معينة، ولا أود أن تستخلصى من أقوالى أننى أعترض على تأييد حزبنا للنظام، فنحن ننقل هذا التأييد إلى الخارج بكل إمكاناتنا التى لا يستهان بها.

إن الخلافات لا تزال قائمة: فى تحليل الصلات بالبورجوازية الوطنية، وفى تحليل هذه المرحلة من مراحل الثورة، فى مضمون الدعاية والبرنامج، وإرتباط الأهداف الوطنية بالأهداف الإقتصادية والإجتماعية، وكذلك حول موقف النظام من السياسيين الذين صدرت ضدهم أحكام إلخ...

أعود فأكرر أننى مقتنع أن المناقشات المطولة ستؤدى إلى إتحاد كامل فى وجهات نظر أغلبية أعضاء الحزب، ولكن يجب توقع صراع أيديولوجى مكثف ضد التيارات الوطنية – البورجوازية التى لا يستهان بها، سواء داخل حزبنا أو فى الحركة الشيوعية المصرية.

ما كان بوسعى أن أتحدث كثيراً عن "السياسة العليا" فى خطابى الأول، بل كنت أفضل أن أتناول فيه مسائل ملموسة، لكن هذا أمر مؤجل بما أننا سنتراسل بانتظام من الآن فصاعداً؛ حتى ذلك الحين أرجو إبلاغ مشاعرى الحارة وكذا مشاعر جميع أفراد مجموعة روما إلى

الزملاء؛ أما أنت فلك أطيّب التمنيات بالشفاء العاجل، ونرجو أن تعتنى تماماً بصحتك مع إعجابنا بموقفك وسلوكك؛ وأخيراً أرجو أن تقبلى بالغ شكرى وإخلاصى.

أما عن الأخبار فلن أعطيك منها هذه المرة سوى ما يخص عائلتك، وهى أخبار قليلة لكننا سنقوم باللازم من أجل الحصول على معلومات حديثة: والدك بخير وقد أرسلنا إليك خطاباً منه منذ حوالى شهر، وإننى مندهش لعدم وصوله إليك؛ على كل حال سنرسل من الآن فصاعداً صورة من الخطابات إلى مارى؛ وبالنسبة لأخواتك فإن بولا تظهر شيئاً من اللامبالاة على العكس من أليس التى ترسلنا بخصوصك باستمرار، وكنا للأسف قد حرمانا أخبارك لمدة طويلة لكن الوضع سيتغير الآن.

يونس

من هنرى كورييل إلى نعوى كائل (فى السجن) 7 يونيو سنة 1957

م/2 - (48)

عزيزتى لىلى:

فرحت جداً بخطابك رقم 1 "من السلسلة الجديدة" كما فرح به جميع من قرأه.

1. أرسل بالبريد نفسه خطاب إلى أليس، وخطاب آخر إلى إينا "المقيمة الآن بميلانو" لإطلاعهما على أخبارك، وقد بعثت إينا أليس بكراسة موسيقى قمنا بإرسالها إليك.

2. أثار الوصف القصير لنشاطك إعجابنا الصادق.

3. المعتقلون الفلسطينيون⁶³: الأخبار مفيدة للغاية، ونحن نرسلها فوراً إلى إيلي، نرجو الاستمرار مع ذكر تفاصيل أكثر: أسماء المطلق سراحهم، سبب إطلاق سراحهم: إنتهاء العقوبة أو تخفيفها، عدد وأسماء الباقي منهم فى السجن؛ لقد كتب شقيق كوليت، عند وصوله، إلى أسعد مكى لإبلاغه بأخبار أخيه الموجود فى السجن، وتلقى منه رداً مؤثراً للغاية؛ هل أطلق سراح أخيه؟ بوسعنا نقل الأخبار إلى الجهتين إذا كان للمعتقلين الآخرين أسر فى إسرائيل.

إننى أرد بإختصار على بعض أسئلتك إلى أن أتمكن من إرسال رد أطول عليها جميعاً.

4. ليبيا⁶⁴.

أ. فيما يتعلق بوجودها، ليس هناك تغيير فى الموقف إلا من جانب المتطرفين السوريين واللبنانيين الذين يتعرضون لنقد الجميع، وقد أرسلنا بهذا الخصوص مذكرة بسلسلة من تصريحات الإتحاد السوفييتى الرسمية قبل وبعد العدوان: الموقف المبدئى هو نفسه المحدد فى مذكرة 17 أبريل سنة 1956 الشهيرة أى "حل دائم وسلمى للمسألة الفلسطينية على أساس مقبول من الأطراف المعنية مع مراعاة المصالح القومية العادلة لدول المواجهة".

ب. بالنسبة للحزب⁶⁵ هناك، فإن العالم كله يحتفى به بفضل موقفه المبدئى الثابت من العدوان، وفيما يلى ما جاء فى عدد 2 يونيو من لومانيتيه عن المؤتمر المنعقد: "أنهى المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعى الإسرائيلى أعماله بعد ثلاث جلسات خصصت للتقارير والمناقشات الموسعة، وقد أبرزت هذه المناقشات نضال الحزب الشجاع ضد سياسة الحرب التى ينتهجها التحالف الحكومى، كما أوضحت الأخوة الفريدة التى حققها النضال بين اليهود والعرب داخل صفوف الحزب.

⁶³ يقصد الإسرائيليين الذين كانوا محبوسين على ذمة بعض قضايا الأمن القومى من بينها التجسس، وقد أشار جيل بيرو إلى وجود هؤلاء بسجن القلعة عام 1957، وتعاون مندوبة "مجموعة روما" معهم فى أكثر من موضع من كتابه سالف الذكر.

⁶⁴ إسم كودى يستخدمه هنرى كورييل ليعنى به إسرائيل.

⁶⁵ يقصد الحزب الشيوعى الإسرائيلى.

وقد ساد المؤتمر الإيمان بالدولية العمالية، والثبات على المبادئ، والوعى الكبير بالدور القائد للطبقة العمالية بقيادة "الحزب الشيوعى".

ت. إن السلاح الهام فى يد الوائر العدوانية بإسرائيل يرتكز على التصريحات الاستفزازية لبعض قادة العرب، وعلى أعمال "الفدائيين" الاستفزازية، والسلاح المتين الذى يمكننا حيازته ضد هذه الدوائر هو تأكيد وتنمية قوى السلام فى البلاد العربية.

5. العفو عن المعتقلين السياسيين: أبلغتنا نور أنها كتبت إليك عن هذا الموضوع المدرج فى جدول الأعمال، وهو فى رأى يرتبط بنضال الحزب فى كل المجالات، ولقد أرسلنا مرتين على الأقل تقريراً حوله، لكن يبدو أنه لم يصلكم؛ وقد شرحنا، من جانبنا، أن الظروف القائمة، (التي يتطلب شرحها وقتاً طويلاً) لا تتيح لنا بدء عمل ما، وإن كنا نتعهد بمساندة أى عمل يمكن قيادته فى مصر نفسها، ولهذا السبب إكتفينا إلى الآن بلفت النظر إلى أمر يبدو غير معقول وهو عدم إطلاق سراح المعتقلين الشيوعيين فى مصر، لأننا، منذ التأميم⁶⁶، لم نستطع القيام إلا بعمل إعلامى، وعلى كل حال لم يمر بعد، عام ونصف العام على آخر "وأكبر" حملة قمنا بها من أجل العفو عنهم.

6. وبالنسبة للتأميم، سأقول لك رأى بصراحة آملاً ألا يصدملك:

أ. منذ أكثر من 45 عاماً والتأميم مطلب دائم للحركة الوطنية المصرية، وقد طالبت به أيضاً الحركة الشيوعية "حتى أننا قمنا بإعلانه فى نشرتنا بروما" ومع هذا لا أزال مصراً على أن لطريقة وشروط تنفيذه نتائج مؤسفة جداً، كان يمكن تفاديها، بالنسبة لمصر فهى قد عرضت استقلالها للخطر، وكذلك عرضت جميع الانتصارات الشعبية فى العشر سنوات الأخيرة للخطر.

ب. إن وقف التدخل حدث بفضل عدة عوامل، وكان الأساس هو الإنشقاق القائم فى المعسكر الإمبريالى بين فرنسا وإنجلترا الراغبين فى استعادة سيطرتهم على الشرق الأوسط من ناحية، والولايات المتحدة التي رأت فى إنتصار حلفائها خطراً على نفوذها، وقد أتاح لها هذا الإنشقاق التدخل بكامل ثقلها لوقف القتال دون المجازفة بصراع عالمى.

لا يمكن الحديث عن مقاومة عسكرية مصرية (يعطى مقال حديث بروز اليوسف بعض الإيضاحات الصادقة لأول مرة فى مصر عن الجانب العسكرى للتدخل)، ومع هذا فإن إصرار الشعب المصرى على الكفاح من جهة، ومساندة الرأى العام العالمى من جهة أخرى، قد أديا إلى استمرار النظام فى المقاومة، الأمر الذى أتاح التدخل الأمريكى.

⁶⁶ يقصد تأميم قناة السويس.

ت. إن هذه الفترة تؤكد أن البورجوازية ليست دليلاً أميناً فعلاً أو شجاعاً للشعب المصرى، وهى تؤكد أيضاً أن رجلاً "مرسلاً من العناية الإلهية" ليس بكافٍ لحل مشاكل الأمة المصرية.

إن البطولة، داخل مصر، موجودة فى الشعب، فى الطبقة العمالية وفى الفلاحين، إنها لم تظهر أبداً فى البورجوازية، ويصح هذا القول بصفة خاصة عن الفترة الحديثة.

أمل ألا يصدملك ما أكتبه، ولا تظنى أننى أوصى بتغيير سياسة حزبنا، فأنا أنصح فقط بإجراء بعض التعديلات فى بعض المواقف، وعلى كل حال فإن الضرر الناتج عما اعتبره الآن تطرفاً، أقل منه كثيراً فى الفترة السابقة عندما كنا فى موقف المعارضة التامة للنظام.

أرسل إليك، يا عزيزتى ليلي، إعجابى وإعجاب جميع الزملاء بسلوكك، فهو ينطوى على قدر من البطولة أكبر مما تصفين به بعض القادة البورجوازيين وأكبر مما تصفين به من سيظل على الدوام زميلك المخلص.

يونس